kitabweb-2013.forumaroc.net

مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (٦)

محمد المنوني

العلوم والآداب والفنون
على عهد الموحدين

طبعة ثانية مصورة بالأوفسيط



الرباط ١٣٩٧ - ١٩٧٧

العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين

مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (٦)

محمد المنوني

العلوم والآداب والفنون

على عهد الموحدين

طبعة ثانية مصورة بالأوفسيط



الرباط ١٣٩٧ - ١٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تصـــــــــــدير

الاستاذ عبد الله جنون

انها لمنقبة جليلة لمعهد مولاي الحسن، هذه الجائـزة التي يمنحهـا كل عـام لاحسن كتاب يقدم اليه فـي احد المواضيع التي يعينهـا هو، ويكون لها مساس في الغالب الاعم بتاريخ المغرب وأدبه ورجاله. فهـي اول جائـزة من نوعها تقصر على المغاربة وعلى الكـتب التـي تؤلف باللغة العربية. وهي اول جائزة بلغت قدرا من المال لا باس به في الظروف والاحوال الحاضرة، ولا يراعى في منحها الا الاجادة فقط بحيث اذا لم يتقدم للمعهد ما يستحق الاجازة لا تمنح.

وفيها تشجيع للتأليف والمؤلفين، وبعث للتاريخ والادب المغربيين واحياء لتراجم رجال المغرب المنسيين، واعانة على نشر الآثار المغربية

التي كانت تبقى منبوذة في زوايا الأهمال لتعذر النشر على اصحابها، نظراً لارتفاع ثمن الطباعة وعدم وجود دور للنشر تتولى اخراجها على نفقتها، الى غير ذلك من الفوائد التي تضمنتها هذه الجائزة والصعوبات التي ذللتها.

وقد كان من الموضوعات المقترحة في السنة الماضية (1948) هذا الموضوع الذي يتناوله هذا الكتاب الذي بيد القارئ وهو (العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين) الا ان صاحبه لم يتمكن من تقديمه للمعهد في ابانه، فهو ان لم يظفر بالجائزة فلا اقل من ان ينشره المعهد ويعمم فائدته بين الجمهور المثقف، اذ كان من سنة المعهد ان يضطلع بنشر الكتب المفيدة والتآليف القيمة التي بين ايدي الناس كثير منها الان

وصاحب هذا الكتاب عالم من علماء الشباب المثاليين، جمع الى العلم والاطلاع النفس الزكية والاخلاق الفاضلة، وقامت به صفة الباحث الصبور والعامل الدؤوب فلا جرم ان يجني اطيب الثمرات ويحصل على احسن النتائج، فانما هي همة وادراك، واجتهاد ونجاح. وكأن الاقدار لما تطاولت فاغتالت عالم مكناس ومؤرخها وكعبة القصاد فيها المرحوم مولاي عبد الرحمن ابن زيدان ارادت ان تعوض منه خلفا صالحا وتبقي هناك على وارث جدير بسره هو الاستاذ محمد المنوني الذي يعد بحق مفخرة من مفاخر العاصمة الاسماعيلية في هذا الصدد.

أما كتابه هذا فانه غاية ما يدرك في هذا الباب، على الاقل في هذه المدة القصيرة التي اخرج فيها، ومع إعواز المصادر الكافية الذي يحسه كل من عانى هذه المباحث المتشعبة، لا سيما وقد سلك فيها نهجا علميا معبدا قلما تأتى لمن زج بنفسه في هذا الميدان، من الكهول

والشبان، فهو عمل ادبي تام او كاد ان يكون تاما وانتاج علمي محرر قارب ان يكون خاليا مما يلاحظ عليه سواء في مادته واسلوبه ونظامه وترتيبه.

ليس فيه شيء من هذه المقدمات البعيدة كل البعد عن الموضوع التي انما يراد بها الملء والتضخيم حينما يعوز العلم والتحصيل، فترى الكاتب يخبط خبط عشواء ويضرب في كل واد مدعيا انه يهيئ المداخل ويقرب الابعاد فلا يصل الى المقصود بالذات الا وقد استغرق جل الكتاب في اشياء لا علاقة لها بما يقصد اليه. واذا البحث هزيل في مخبره، سمين في مظهره، ولكن اين في نقد الكتب ذلك الميزان الذي يخلص الماء من اللبن المغشوش؟.

لقد هجم الاستاذ المنوني على موضوعه ولم يتناوله من ذيوله ولا من اطرافه. بل قصد الى اللب والصميم، وترك اللف والدوران وان كان قد قدم بين يديه مقدمات فانها مما يرتبط بمادته تمام الارتباط ويكون كالاطار الجميل المحيط بالصورة والمتمم لمنظرها البديع. ثم هو قد رتبه ترتيبا طبيعيا فتناول العلوم ثم الآداب ثم الفنون، وهذه ايضا تناولها بالنظام الكامل والترتيب الواجب اتباعه في كل منها. فالسلسلة متتابعة الحلقات، والافكار متسلسلة لا يجد القارئ ادنى عنت في الربط بينهما بل انها في ذلك النظام والترتيب لتغريه بالمطالعة والاسترسال في القراءة حتى يفرغ من كل بحث وقد احاط به علما تصوريا وتصديقيا في زمن يسير وجهد غير كثير.

على ان جوهر الموضوع ومادة البحث في كل باب من هذه الابواب الثلاثة، قد أستوفي استيفاء تاما بالنسبة لما هو موجود ومعروف في المصادر حتى الان. فلم يترك شاذة ولا فاذة الا احصاها وحصلها ولا شاردة ولا فاردة الا تتبعها وقيدها، وهذا جهد المقل الذي يستوجب،

الشكر الكثير. والاقلال هنا راجع الى ناحية المصادر لا الى ناحية الكاتب، فاذا ظهر قريبا تاريخ ابن صاحب الصلاة والجزء الرابع من ابن عذاري وبعض المجموعات الادبية التي تزيد الموضوع اتساعا، فقد تمتد رحاب البحث الى ابعد مما وصل اليه المؤلف. ولاكن ذلك لا يزري بكتابه كدرس حافل بالغض الجني مما وصلت اليه المعارف في عصر الموحدين من نضج واثمار.

وللمؤلف حس دقيق ونظرة نافذة في تعليل الامور وتحقيق المسائل والتنبه الى الاخطاء التي وقع فيها بعض الكتاب فعقب هو عليها بما يبين وجه الصواب فيها كهذا النص المتعلق بنسب ابن تومرت والمحرف، عند يوسف اشباخ وقد رده المؤلف الى ما يظهر انه الصواب، ورد ايضا نسبة كتاب في الفلسفة الى المهدي بن تومرت وقعت غلطا في كتاب تاريخ الآدب العربية لجرجي زيدان كما صحح بعض الاوهام في مبحث الجغرافية وهذا المبحث في الكتاب بلغ من الدقة والتحرير حد الاتقان فنهنى عليه المؤلف.

ونحن مع كامل التقدير لجهود المؤلف وتمام الموافقة على جل ماله من انظار، فاننا لا نخفي عدم قبولنا لبعض الآراء التي ذهب اليها في بعض المسائل كترجيحه ان الموحدين كانوا ظاهرية في الفقه وان دعوتهم لنبذ مذهب مالك لم تكن الا للتمسك بمذهب داود، وتأويله للنصوص التي تدل على انهم كانوا اهل سنة وحديث، وان دعوتهم كانت للاجتهاد المطلق، بما يؤيد نظره ويعضد ترجيحه.

وكإنكاره للمحاورة الشعرية المشهورة التي جرت بين عبد المومن ابن علي ووزيره ابي جعفر بن عطيه تاييدا لما ذهب اليه من ان الطابع الديني الغالب على الدولة جعل الشعر الغزلي يقل بل ينعدم من بين موضوعات الشعر وهذا تعمق كبير فما منع الروح

الديني المسيطر على الصحابة في عصر النبوة من ان يقـول كعـب ابـن زهير (بانت سعاد) وينشدها النبى صلى الله عليـه وسلـم والصحابة في المسجد وتكون سببا في نجاته واجازته.

ومخالفتنا او مخالفة غيرنا للمؤلف في نظر يذهب اليه. لا تقدح في قيمة الكتاب، لان الانسان قد يذهب في مسألة ما اذا كانت نظرية، مذهبا يخالف مذهب غيره، وليس بلازم ان يتفق كل الناس في كل المسائل. والذي يقدح في قيمة كتاب من الكتب هو مخالفته للقواعد المقررة والاصول المحررة وتحريفه للنصوص وعدم احاطته بالموضوع وما الى ذلك . وقد علم ان كتاب العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين بريء من كل هذه العيوب بالغ الغاية في الجودة والاتقان يستحق عليه مؤلفه كل ثناء وشكر. فنهنيه من صميـم الفؤاد على توفيقه ونجاحه ونقدمه الى الشباب المثقف والباحثين فـي التـاريـخ المغربي والحضارة الاسلامية كأحسن طرفة يقدمها صديق الى صديـق.



مقدمـــــات الكتـــــاب

طابع دولة الموحدين

المؤثرات التي اثرت في نهضة المعارف على عهد الموحدين

ازدهـار المعـارف بـالمغرب

I معاهد التعليم

منـاهج التعليم واساليبه

(1) المدارس (2) الجوامـع (3) التعليم الاجبـاري
(4) كتـب الدراسة (5) ملاحظـات (6) تذييـل

II المجامع العلمية

مجـامع الخلفاء

مجـامع الامراء

طابع دولة الموحدين

كانت حالة العالم الاسلامي في الوقت الذي قامت فيه دولة الموحدين لا تبعث على الاطمئنان،فالدولة العباسية بالعراق ودولة الفاطميين بمصر بلغتا إلى طور الهرم المزمن الذي لا قيام بعده، ودولة المرابطين بالمغرب كانت كافرة مجسمة في نظر المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين،وان كان لم يشايعه على هذه النظرية سوى اتباعه منهم، وكان ابن تومرت هذا ساح في الشرق حيث أخذ عن الغزالي وأبي بكر الشاشي وابن عبد الجبار ببغداد، وعن ابي بكر الطرطوشي بمصر، وفي المغرب حيث قرأ على ابن حمدين بقرطبة من الأندلس،وعاين حضارة هذه البلاد التي ساح فيها، وتشبع بافكار أهلها عامة،وبخاصة أساتذته،وبصفة أخص الغزالي.

وأدرك خطر الحالة التي عليها العالم الإسلامي،وقدر أن علاجها ليس في تأسيس إمارة أو مملكة، بل في إنشاء خلافة إسلامية عامة، تضم تحت لوائها العالم الإسلامي بكامل حدوده،وتتولى زعامتها الدولة الموحدية.

ولاجل أن تؤدي هذه الدولة مهمتها حق تأديته،أراد إبن

تومرت ومؤسسوها من بعده أن تكون حضارتها مطبوعة بطابع العظمة والدين والتجديد في سائر مظاهرها

ولتوضيح شأن هذا الطابع الثلاثي: نبين أن من مظاهر عظمة هذه الدولة تلقيب ملوكها بامراء المومنين وبالخلفاء، وانظر في هذا الثاني إلى ما جاء في المعجب 138: أن ولد الشريف الطليق المرواني، لما أتم إنشاد قصيدة صنعها في مدح عبد المومن قال هذا الأخير: بمثل هذا تمدح الخلفاء. وفي المعجب 188: إن يعقوب المنصور كان في أول امره أراد الجري على سنن الخلفاء الأول، وكذا أسسوا أكبر مملكة شاهدها الإسلام في المغرب، فقد امتدت المملكة الموحدية من المحيط الأطلانطيكي إلى قرب حدود مصر هذا طولها، أما عرضها فكان فيما بين الصحراء الكبرى وجبال الشارات بالأندلس

وحاولوا الاستيلاء على مصر واسسوا بها جمعية لهذه الغاية، جاء في المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب 30 ـ 32: أنه كان للمهدي بالبلاد المصرية جمعية من أنصاره ينشرون دعوة الدولة الموحدية في البلاد المشرقية، وقد عد اسماءهم واحداً واحداً، وفي أواخر أيام يعقوب أراد أن يحقق هذه الفكرة؛ جاء في المعجب 188 : «وبلغني عن غير واحد أنه صرح للموحدين بالرحلة إلى المشرق، وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع، ويقول نحن إن شاء الله مطهروها. ولم يزل هذا عزمه رحمه الله إلى ان مات» ولم يكن غزوهم لمصر إلا طريقا لما وراءها من العالم الاسلامي، يشير لهذا ما جاء في ترجمة أبي الوليد القرطبي: أنه قدم مصر هاربا من عبد المومن ودولته لما ظهر على المغرب، ثم خاف من استيلائه على مصر فقدم الحجاز، فخاف أن يحج فدخل اليمن، ثم خاف أن يظهر على اليمن

فاراد أن يتوجه إلى الهند،فمات بزبيد. الديباج ص 322. النفح (1) 435 ـ 436، وكان أسطولهم أكبر اسطول في وقته،بشهادة طلب كل من صلاح الدين وملك الإسبان له ،استقصا (1) 174 و 176 ، وكان جيشهم في واقعة العقاب أكبر جيش شاهده المغرب الإسلامي، ونطقت بهذه العظمة آثارهم متمثلة في صوامع الكتبيين وإشبيلية وحسان.

ويظهر طابعهم الديني في اهتمامهم به على أتم ما عرف . فقد كانت لهم همة عالية في الجهاد ،وكان يعقوب يريد أن يجعل من الأندلس دار إسلام (حلل 122)

ولقد رمزوا لعلو همتهم في الجهاد برمزين ناطق وصامت: فالناطق يتمثل في الآيات التي كتبوها على باب القصبة الشرقي بالرباط: يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم:تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله،إلى قوله: وبشر المومنين (مقدمة الفتح 47).

والصامت هو ما نقش حول إحدى نوافذ صومعة حسان جهة البحر: من صورة سيفين عظيمين مصلتين رؤوسهما إلى السماء، وفي تخصيص تلك الجهة بهاتين الصورتين إرهاب للعدو المهاجم من البحر، ورمز إلى التهيء له والاستعداد،(مقدمة سوق المهر ج ـ د).

وإنهم بلغ بهم الاهتمام بإقامة الإسلام إلى حد أن قتل بعض خلفائهم على شرب الخمر، وفيات الأعيان (2) 432. النفح (2) 100 ، وقتل آخر من رؤى وقت الصلاة غير مصل، تاريخ أبي الفداء (3) 42. وإلى حد أن لم تنعقد عندهم ذمة ليهودي إنما هو الإسلام أو القتل الطر المعجب 203 ـ 204 ، وإن شئت شاهدا آخر على عظيم اهتمامهم بالإسلام

فاستمع لشهادة رحالة عظيم - هو ابن جبير - الذي ساح في كثير من ممالك العالم الإسلامي، وقال: وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب، لأنهم على جادة واضحة .. كما أنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين..
من رحلته 49.

ويتجلى طابع التجديد في ابتداعهم فكرة المهدوية بالمغرب، ونشرهم عقائد الأشعرية والشيعة، وحمل الناس على مذهب الظاهرية، وتأسيسهم (لأول مرة في المغرب) المستشفيات والمدارس العديدة والمكاتب العامة ودار الضيافة، وفيما ظهر في وقتهم من كثير من العلوم والآداب والفنون، مما لم تكن شائعة من قبل، وفي ابتكاراتهم في غير ما ميدان، سيما في ميدان الحرب والإدارة، انظر (مجموع رسائل موحدية 53).

وبالإجمال كانوا يريدون أن ينشروا حضارة مطبوعة بطابعهم الثلاثي: «العظمة - الدين - التجديد»، وكانوا يريدون أن تكون هذه الحضارة لا شرقية ولا أندلسية محضة، ولكنها حضارة قائمة بنفسها، آخذة من هذه وتلك وغيرهما، وان طغت عليها الحضارة الأندلسية فيما بعد.

وقبل ان ننظر في اثر هذا الطابع نقدم بين يدينا مقدمات.

المؤثرات التي اثرت في نهضة المعارف على عهد الموحدين

إن الموحدين لم يجدوا من المغرب بلاداً قاحلة من المعارف، وبالعكس وجدوها بلغت شأوا كبيرا في هذا الميدان، بشهادة قول المعجب 104: فانقطع إلى أمير المسلمين - يوسف بن تاشفين - من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار، وقوله (III) ولم يزل أمير المسلمين - علي بن يوسف - من أول إمارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس، وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك، وإن المرابطين لم يكونوا يولون في عملهم إلا الفقهاء، قرطاس 85 جذوة 342، وهذا يتطلب عددا كثيرا جدا منهم.

نعم، كان فضل الموحدين على المعارف عظيما، فانهم حافظوا على ما اختاروه منها إلى حد كبير وشجعوها، كما شجعوا كثيرا من العلوم التي لم تكن رائجة او كان محظورا رواجها في العهد المرابطي، وطبعوا كل ذلك بطابعهم الثلاثي الخاص، وإن تشجيعهم للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم بلغ مبلغا عظيما، وكان تشجيعا ماديا وأدبيا تفننوا فيه ما شاءت لهم هممهم الكبيرة أن يتفننوا.

فأسسوا المدارس، وعمروا المعاهد، وجلبوا كبار العلماء، واقترحوا تدوين الكتب، وعقدوا المناظرات والامتحانات، وجمعوا المجامع العلمية المتنوعة، وأسسوا خزائن الكتب، وسبقوا الى التعليم الإجباري، وابتكروا التعليم المجاني، ووضعوا مناهج التعليم، ولإنهم لرغبتهم في نشر العلم علموا حتى باللسان البربري.

وكذا احيوا سنة اهتمام عظماء المسلمين بالترجمة، فأمروا بترجمة كثير من الكتب المهمة. وانظر بخصوص هذا ما سنذكره في مبحث الفلسفة.

هذا إلى ما أضفوا على العلم وأهله من مرتبات وجوائز وصلات، وخلع ومراكب، وإقطاعات وتنويهات وولايات، فقد فعلوا في ذلك ما سارت بحديثه الركبان، بل إنهم شجعوا المعارف بأنفسهم وفي شخصهم، فكان كثير من خلفاء الموحدين وأمرائهم فقهاء علماء، قال السرخسي في رحلته: وهؤلاء بنو عبد المومن كلهم فقهاء علماء.. نقله الزياني في الروضة السليمانية عن النفح.

هذا إلى ما وجد في المغرب على عهدهم من أعلام كبار من الأندلس والقيروان وغيرهما، حتى اجتمع في فاس - على حد تعبير المعجب 238 - علم القيروان وعلم قرطبة ..

وصارت مراكش هي الأخرى عاصمة علم ثانية، الأمر الذي له دخل كبير في تسمية غير واحد لها ببغداد المغرب، وكذا سبتة وطنجة وغير مدينة من مدن المغرب، وكذا وجد في المغرب لهذا العهد عدد عديد من الأدباء والفنانين من أهله ومن الوافدين عليه.

يضاف إلى هذا الجم الغفير من العرب الذين توافد على المغرب في غضون هذه الدولة أيام عبد المومن ثم يعقوب، هؤلاء العرب

الذين بلغوا من الكثرة الى حد أن قاسموا سكان المغرب الأولين الأرض، وأصبحوا يعمرون جزءًا كبيرا منه، انظر المقدمة 27 والاستقصا (1) 166

ولقد كان من أثر هذه الهجرة أن طبع المغرب نهائيا بالطابع العربي، وارتكزت فيه اللغة العربية والدم العربي على أساس وإلى الابد.

وكذا عمر المغرب في هذا العهد عمارة كبيرة، والمعارف تكثر حيث يكثر العمران. مقدمة 379

وانتشر الأمن في غير ما حقبة من أيام الموحدين، حتى كانت الظعينة تخرج من بلاد نول لمطه وتنتهي إلى برقة وحدها لا ترى من يعرض لها ولا من يكلمها. القرطاس 188

وكان من نتائج هذه العلمية أن مهدت الطريق لمن أراد أن يسافر من المغرب أو اليه للعلم أو للسياحة .

وشاعت الحرية في هذا العهد في الجملة، حتى استطاع الشاعر الجراوي أن يرد على يوسف بن عبد المومن رده المشهور، انظر وفيات الأعيان (2) 494 ـ 495، والمؤلفات التي كانت تطعن في حكومة الموحدين وفي المبادئ التي تقوم عليها، كان عبدالمومن يأمر العلماء والكتاب الذين امتازوا بقوة الحجة بكتابة الردود عليها، مثال ذلك ما أمر بكتابته ضد الكاتب القرطبي ابي الحسن عبد الملك بن إياس. تاريخ الاندلس (2) 54 .

هذا إلى أن المال تدفق على القوم تدفقا حتى كان خراج أفريقية وحدها في كل سنة وقر مائة وخمسين بغلا. معجب 167، وأنفق الناصر في غزوة أفريقية مائة وعشرين حملا ذهبا، معجب 213، واعطى يوسف لهلال بن سعد في يوم واحد فقط إثني عشر ألف دينار،

---

1 ـ تونس .

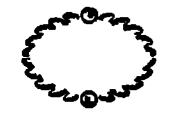
معجب 166، ولما تمت بيعة يعقوب المنصور كان أول شيء فعله أنه أخرج مائة الف دينار ذهبا من بيت المال،ففرقها في الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب،قرطاس 137، وتصدق قبل خروجه إلى غزوة الأرك بأربعين الف دينار، قال في المعجب 190: خرج منها للعامة نصفها،والباقي في القرابة،أدركتهم وقد قسموا مدينة مراكش أرباعا وجعلوا في كل ربع امناء،معهم أموال يتحرون بها المساتير وأرباب البيوتات، وفرق يعقوب هذا على الجنود والامراء والفقراء في عيد (594) : 73000 شاة من ضأن ومعز، نفح (2) 100.

وكان بستان واحد - هو الذي غرسه عبد المومن خارج مراكش - يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه عام (543) : 30000 دينار، على رخص الفواكه بمراكش، قاله ابن اليسع، حلل 100، وبلغ ثمن زيتون بحيرة مكناس 35000 دينار ونحوها في السنة،وزيتون بحيرة فاس 50000 دينار ونحوها كذلك،(الروض الهتون)، ورأى ابن سعيد بسجلماسة صكا لأحدهم على آخر مبلغه 40000 دينار، صبح الاعشى (5) 164، وأمثال هذا كثير.

وبالطبع نال أهل المعرفة حظهم وافرا من هذا،ومن امثلته: أن يوسف جعل المرتبات للأطباء والمهندسين والكتاب والشعراء وغيرهم، حسبما أشار لهذا عرضا في المعجب 157،وبديهي أنها ما كانت لهؤلاء حتى كانت لغيرهم، وأجرى يعقوب المرتبات على العلماء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم: قرطاس 138، ووصل للقاضي العقلي من يعقوب المذكور فقط 19000 دينار،خارجا عن الخلع والمراكب والإقطاع، معجب 209 . الذخيرة السنية 50، وأعطى عبد المومن للشاعر التيفاشي على بيت واحد أنشده إياه من قصيدة: ألف دينار، وفيات

الأعيان ج (1) 391، وأعطى يعقوب لرسول صلاح الدين ابن منقـد لما مدحه بقصيدة تشتمل على أربعين بيتا ألف دينار لكل بيت، نفح (1) 207. وأمثال هذا كثير، تلك جملة من دواعي نهضة المعارف فـي عصر الموحدين.

وبما أنه ورد في حديثنا في هذا الموضوع ازدهار حركة التعليم بالمغرب والمجامع والخزائن، وبما أن هذه الثلاثة تتطلب شيئا من التبسط، فسنتكلم على أوليها هنا مرجئين حديث الخزائن إلى محله: (مبحث الفنون).



ازدهار المعارف بالمغرب

I معاهد التعليم

لا شك اننا سنجد في مقدمة معاهد التعليم لهذا العهد الجوامع والكتاتيب،وسأكتفي في الحديث عن هذين المركزين للتعليم بما سأذكره عنهما بعد، أما ثالث هذه المراكز - المدارس - فهي التي سأتحدث عنها في هذا المكان،وابين - ردا لبعض الاعتقادات - أنها كانت متوافرة بالمغرب لعهد الموحدين، وذلك بما أسسه هؤلاء من مدارس بمدائن سبتة وطنجة وفاس ومراكش، انتجت مدرسين بارعين سابقوا علماء قرطبة واشبيلية وغرناطة، كما تقول هذا ترجمة تاريخ العرب للأستاذ سديو - المعنونة بخلاصة تاريخ العرب - **(215)**.

ويقترن اسم عبد المومن وحفيده يعقوب المنصور بكثير من المدارس المنشأة في هذا العصر، فقد أسس عبد المومن مدارس بمراكش، واستدعى ابن رشد الثاني ليستعين به على تنظيمها، الإعلام **(3) 47**. ولا شك ان في مقدمة هذه المدارس (1) المدرسة العامة لتخريج الموظفين، المذكورة في الحلل الموشية **(114)**، و(2) المدرسة الملكية لتعليم الأمراء الموحدين اخذا مما سنذكره في منهاج المدارس قريبا.

كذلك أسس عبد المومن بالرباط (3) مدرسة تعليم فن الملاحة، انظر مقدمة الفتح 42 و 61.

ويعقوب المنصور هو الآخر أسس مدارس لا في المغرب فحسب، بل وفي أفريقية والاندلس، القرطاس. 138. رقم الحلل 55 ، ومن المدارس التي حافظ التاريخ على اسمها مما أسسه بالمغرب: (4) المدرسة التي أنشأها بالمدينة التي اختطها خارج مراكش، ذكرها في مسالك الأبصار و وصفها بانها مكان جليل به خزائن الكتب. و (5) مدرسة المسجد الاعظم بطالعة (سلا). الاستقصا (1) 180 و (6) المدرسة التي سلمها المنصور للامام ابي العباس السبتي. الاعلام (1) 269 .

وفوق هذا فإن بعض الأفراد ساهموا كذلك في إنشاء المدارس، ونقصد بهذا البعض أبا الحسن الشاري الغافقي السبتي، ابتنى (7) المدرسة المنسوبة إليه ببلده سبتة، ثم أراد ان يجعلها على النسق الجاري بالمدارس ببلاد الشرق، فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفتن .. صلة الصلة ع 300. اختصار الأخبار (9)، ويفيد هذا المصدر الثاني (5): أنه كان لهذه المدرسة بقعة محبسة على دفن من يموت من طلبتها الغرباء.

(8) بيت الطلبة: ويلحق بالمدارس بيت الطلبة بمراكش، الذي ورد ذكره عرضا في عنوان الدارية (161)، ثم في النفح (1) 369، وقالا عنه إنه امتحن به ابن عات في كتاب مسلم، ولست أدري عن هذه المؤسسة أكثر من هذا، وهو يفيد انها كانت معهدا للمناظرة وامتحان الواردين على مراكش.

ذلك ما وقفت عليه من المدارس وما إليها المؤسسة لهذا العهد فاذا ضمت للمركزين للتعليم المشار لهما أولا ، تكون معاهد التعليم

حينئذ تتنوع الى جوامع، وكتاتيب، ومدارس، بما فيها من عامة، وملكية وبحرية، وبيت الطلبة الملحق بها .

وبعد ان اؤكد ان الذي استفدته من غير ما مرجع ان منهاج الكتاتيب في هذا العهد كان جاريا على مذهب المغاربة في تعليم القرآن الذي ذكره ابن خلدون في المقدمة: 495، وهو الاقتصار على تعليم الولدان القرآن، واخذهم اثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه، بعد هذا نحاول فيما يلي ان نستعرض نظام الدراسة في هذا العهـد.



مناهج التعليم واساليبه

وحسب تنوع مراكز التعليم بالمغرب لا بد ان تكون مناهجها مختلفة، فهناك منهاج للمدارس، وآخر للجوامع، وثالث للتعليم الإجباري.

ومن المؤسف أننا لم نقف على نصوص تلقي الضياء واضحا على المسألة، فبعض المدارس كمدرسة تعليم فن الملاحة بالرباط، لم نقف من منهاجها على قليل ولا كثير، وبعض المدارس وكذا الجوامع مع التعليم الاجباري، عثرت بفقرات عرضية تلقي بصيصا من العلم على الموضوع، وهذا ما وقفت عليه على علاته.

(1) المدارس

من حسن الحظ أن صاحب الحلل الموشية أفادنا معلومات ـ وان كانت غير كافية ـ فهي قيمة وفريدة عن منهاج المدرسة العامة لتخريج الموظفين بمراكش، قال 114: وربى ـ عبد المومن ـ الحفاظ: صغار الطلبة ـ بحفظ كتاب الموطا؛ وهو كتاب أعز ما يطلب، وغير ذلك من تواليف المهدي، وكان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه؛ وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم ابناء ليلة من المصامدة وغيرهم، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده، فياخذهم يوما بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة؛ طول تربيعه نحو ثلاثمائة باع، ويوما ياخذهم بأن يحدقوا على قوارب وخوازيق صنعها لهم في تلك البحيرة، فتأدبوا بهذه الآداب، تارة بالعطاء، وتارة بالأدب.

---

1 - الواقع أن هذا غير كتاب الموطا.

وكانت نفقتهم وسائر مؤنتهم من عنده، وخيلهم وعددهم كذلك، ولما كمل له هذا المراد فيهم عزل بهم اشياخ المصامدة عن ولاية الاعمال والرئاسة، وقال: العلماء أولى منكم فسلموا لهم.

ويفيد الأستاذ يوسف أشباخ في تاريخ الاندلس (2) 51 أن هؤلاء الحفاظ كانوا يدرسون ايضا عدة كتب في ادارة الولايات ومزاولة شئون الدولة دراسة حسنة. وارجع اليه (2) 248 و 252.

فهذا الكلام يصور لنا بعض منهاج هذه المدرسة، ويبين أنها كانت مخصصة لتخريج موظفين علماء كما قلنا أولا، كما أن الجوامع كانت تخرج العلماء الآخرين، ولا يبعد أن باقي مدارس الموحدين (1) - غير البحرية - عامة وخاصة؛ كانت مناهجها على غرار منهاج تلك المدرسة، وإن كانت المدرسة الملكية تمتاز بمبالغة الخلفاء الموحدين في اختيار أساتذتها، الذين نذكر منهم على سبيل المثال: أبا العباس احمد بن عبد الجليل التدميري المتوفي 555، استأدبه السلطان - عبد المومن - بمراكش لبنيه. (التكملة ط الجزائر) ع 175. وأبا العباس احمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي المتوفي بعد 560؛ أدب بني عبد المومن، بغية 130. وابا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد اللخمي الاشبيلي المعروف بابن علوش والمتوفي بعد 599 - استأدبه المنصور لبنيه، التكملة 1421. وأبا محمد عبد الله ابن سليمان ابن حوط الله الانصاري الحارثي البلنسي 549 - 612، استأدبه المنصور لبنيه. تكملة 1435، وأبا الحسن علي بن محمد ابن يوسف الفهري اليابري الضرير المتوفى: 617، أدب ولد السلطان بمراكش. تكملة 1892.

---

(1) لا ينبغي ان تتناول المدارس بيت الطلبة الذي لم اقف من نظامه على اكثر مما ذكرت عنه سابقا.

(2) الجوامع

والجوامع كانت كبارا مثل القرويين وجامع سبتة، وكذاجامعا مراكش ومكناس، وجوامع كبريات المدن المغربية الأخرى، كما كانت - طبعا - جوامع صغار.

وكانت العادة أن لا ينتصب للتدريس في الجوامع الكبار إلا من انتهت اليه المهارة في العلم والدين في وقته، وكانوا ينازعون أنفسهم في هذه المرتبة،حسبما يوخذ هذا من النشر المخطوط، ورقة 286 نسخة - المكتبة الاحمدية - بفاس، وكان أسلوب التدريس عندهم ممتازا، وكان يقوم على التدريج بالمتعلمين في مدارج التعليم، ومن أمثلة هذا ما جاء عن الأستاذ ابي علي الشلوبين أنه دخل مراكش فوجد الشيخ الجزولي النحوي يدرس في مسجده علم العربية، فلما قعد إليه اذا بين يديه حلقة من المتبدئين يقرئهم على قدر أفهامهم،فالقى عليه سؤالا فاجابه بجواب متوسط على قدرهم، ثم ارتفعوا فجاءت حلقة أخرى للمنجباء الشادين، فكان يلقي حينئذ الاسئلة فيجيبه بغاية التحقيق والتدقيق هـ نقله في القانون ص 126 - 127 .

ومن أمثلة هذا ايضا، ما جاء عن الحفيد أبي بكر بن زهر الأندلسي الإشبيلي 507 - 595، وهو ممن أقام بمراكش من المغرب مدة وتوفي بها، الأمر الذي يمكنه معه ان ينشر مثل افكاره الآتية:

قال في عيون الأنباء في طبقات الاطباء (2) 69 - 70: كان الحفيد أبو بكر بن زهر قد أتى إليه من الطلبة إثنان ليشتغلا عليه بصناعة الطب، فترددا إليه ولازماه مدة، وقرءا عليه شيئا من كتب الطب،

ثم إنهما أتياه يوما وبيد أحدهما كتاب صغير في المنطق...

وكان غرضهم أن يشتغلوا فيه، فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال: ما هذا؟ ثم أخذه ينظر فيه، فلما وجده في علم المنطق رمى به ناحية، ثم نهض إليهم حافيا ليضربهم، وانهزموا قدامه، وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبالغ في شتمهم وهم يتعادون قدامه إلى أن رجع عنهم عن مسافة بعيدة، فبقوا منقطعين عنه أياما لا يجسرون أن ياتوا اليه.

ثم انهم توسلوا إلى أن حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم ولا لهم فيه غرض أصلا، وأنهم إنما رأوه مع حدث في الطريق وهم قاصدون إليه فهزءوا بصاحبه وعبثوا به وأخذوا منه الكتاب قهراً، وبقي معهم ودخلوا إليه وهم ساهون عنه، فتخادع لهم وقبل معذرتهم، واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب.

ولما كان بعد مدة مديدة أمرهم أن يجيدوا حفظ القرآن، وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والاقتداء بها، ولا يخلوا بشيء من ذلك، فلما امتثلوا أمره، واتقنوا معرفة ما اشار به عليهم، وصارت لهم مراعاة الأمور الشرعية سجية وعادة قد ألفوها، كانوا يوما عنده وإذا به قد (أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق، وقال لهم الآن صلحتم لان تقرءوا هذا الكتاب وأمثاله علي وأشغلهم فيه).

ومما يذكر من مناهج التعليم الجامعي: أن التلاميذ كانوا أحراراً في إلقاء الاسئلة على الأستاذ، وانظر في ذلك إلى ما جاء في ترجمة أبي ذر الخشي من التكملة رقم 1098 : قد منع تلاميذه التبسط في السؤالات، وقصرهم على ما يلقى إليهم دون استزادة؛ ولم يكن ذلك لأحد من أهل عصره.

كما كان التلاميذ أحراراً في اختيار الأستاذ الذي يقرؤون عليه، يشير لهذا ما فعله طلبة سبتة مع أستاذها أبي علي الرندي؛ فإنه لما ورد عليها الأستاذ أبو علي ابن عاشر الملقب بقريعات،مال اليه ناس من طلبتها،وزعموا أنه أبسط عبارة من الرندي وأسهل القاء، فاستجاب إليهم غيرهم. صلة الصلة رقم 126 . ولم تخل دروسهم في هذا العهد من المناظرة:

هذه الطريقة التي بالغ ابن خلدون في الثناء عليها في مقدمته تحت عنوان : فصل في أن التعليم العلم من جملة الصنائع، ص 375 وما بعدها، وفيما سيأتي في مبحث علم المناظرة نذكر أسماء طائفة من العلماء الذين كانوا مبرزين في هذا الفن.

(3) التعليم الاجباري

وهذا نوع آخر من مناهج التعليم لدى الموحدين، وهو الذي وضعه عبد المومن للتعليم الاجباري، ويقوم هذا المنهاج على أنه يجب على كل من انضوى تحت راية الموحدين أن يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة.

ولقد بالغ عبد المومن في هذا الامر؛ فجعله حتما لازما على كل مكلف -الرجال والنساء الأحرار والعبيد - ورخص لمن يفهم اللسان البربري دون العربي أن يقرأ بلسانهم عقيدةابن تومرت البربرية - التوحيد -.

أما الذين يفهمون العربية؛ فكان لزاما أن يقرأوا عقيدة ابن تومرت العربية - المرشدة - وأكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره، وملازمة قراءته وتعاهده، كما أكد على العوام ومن في الديار في

حفظ أم القرآن وما تيسر من القرآن، وألزم نوابه أن يقدموا علماء أمناء من قبلهم ليعلموا الناس ما ذكر. «مجموع رسائل موحدية» 131 ـ 133 و 137.

وزيادة في الاهتمام بهذا الأمر، نرى عبد المومن يشرف بنفسه على مباشرة هذا النوع من التعليم الإجباري بمراكش وناحيتها، ويكتب إلى نواحي المملكة الأخرى يقص عليها عمله هذا، ويامرها بأن تحتذي حذوه، وتقوم بدورها بتطبيق هذا المنهاج. إرجع الى المصدر المذكور 52 ـ 54.

ويلحق بكتابي المهدي المقررين في التعليم الاجباري «مجموع أحاديث الجهاد» الذي أمر يوسف العلماء بتدوينه ليملى على الموحدين ليدرسوه، فكان يمليه على الناس بنفسه، وكان كل واحد من الموحدين والسادة يجيء بلوح يكتب فيه الإملاء. معجب 167.

وكذا مجموع أحاديث الصلاة وما يتعلق بها الذي جمعه بأمر يعقوب طائفة من العلماء، فكان يمليه بنفسه على الناس ويامرهم بحفظه، وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من العوام والخاصة، فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني من الكسا والاموال معجب 184.

(4) كتب الدراسة

(أ). التفسير. الحديث. السيرة.

الكتب الخمسة: صحيح البخاري، صحيح مسلم (1) . سنن ابي داوود (2)، سنن الترمذي، سنن النسائي، مسند البزار الكبير.(صلة الصلة 300 التكملة 2006 الدر النفيس 351. الاعلام(1) - 237 -(3) 42 الجذوة 334)

موطا مالك، (صلة 208، 242 ، 300. الدر النفيس 351)، موطا ابن تومرت-أعز مايطلب، (الحلل الموشية 114)، أحاديث الجهاد التي أمر يعقوب المنصور بجمعها، (معجب 167)، الشهاب للقضاعي المسمى بشهاب الأخبار في الحكم والأمثال والاداب من الاحاديث النبوية، للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، (التكملة 1608. الجذوة 263)، سيرة ابن إسحاق بتهذيب ابن هشام، (الصلة 300).

(ب) الفقه - الأصلان - التصوف :

الأحاديث التي جمعها ابن تومرت في الطهارة، أحاديث الصلاة التي امر يعقوب بجمعها، (المعجب 184). الاحكام الصغرى لعبد الحق، (التكملة 1067. زهرة الآس 48 الدر النفيس 351).

النوادر لابن ابي زيد، (مقدمة ابن خلدون 393)، كتاب ابن يونس، (المقدمة 393 المعجب 185)، تهذيب البراذعي للمدونة، (جذوة 254). رسالة ابن ابي زيد، (الديباج 129 - 130 . الاعلام (1) - 288). تآليف عباد بن برجان في الفرائض، (التكملة 1674). البرهان لامام الحرمين، (الصلة 242). التلخيص مختصر التقريب والارشاد له،

(1) وكان اشيع من سابقه لما علم من عناية علماء المغرب به واكبابهم عليه . انظر المقدمة 387

(2) كان له شيوع في هذا العهد كما يوخذ من المعجب 185

(التكملة 1062)، المستصفى للغزالي، (الديباج 142)، رجز ابن الكتاني، (التكملة 1062)، الارشاد لامام الحرمين، (التكملة 868، 1062) عقيدة ابن تومرت العربية - المرشدة - (رسائل الموحدين 132)، عقيدته البربرية: التوحيد - القواعد - الامامة - الاثنان لابن تومرت ايضا، (الحلل 80). العقيدة البرهانية للسلالجي، (الجذوة 289). شعب الإيمان للقصري، (التكملة 1495. الجذوة 247) الإحياء للغزالي، (السلوة (3) 73) رعاية المحاسبي، (الجذوة 282، 294، 333)

(ج) النحو، اللغة، القرآت، الأدب، الحساب:

كتاب سيبويه، (تكملة 122. الإعلام (3) 192)، الجمل بشرحه لأبي بكر العبرري، (التكملة 751)، شرح أبيات الجمل، نكث على شرح الأعلم لشواهد كتاب سيبويه، الاثنان لابن هشام اللخمي السبتي، (التكملة 1053. البغية 19)، مقدمة الجزولي المسماة بالقانون، (الصلة 95)، شرح أبي ذر على غريب السير لابن اسحاق، (تكملة 1098) المذهبة في الحلي والشياب وغيرها لابن اصبغ الازدي، (تكملة 962). شرح أبي عمرو الغافقي على قصيدة الحصري في القرآت، (التكملة 1152)، المنصف في رسم هجاء المصحف، (شرح ابن عاشر على مورد الظمآن) رسالة القلم والدينار لابن ماكولا، (التكملة 1674)، مقامات الحريري، (التكملة ط. الجزائر 461)، مقصورة ابن دريد بشرح ابن هشام السبتي، (التكملة 1053. بغية 19)، صفوة الآداب ونخبة ديوان كلام العرب للجراوي، (التكملة ط. الجزائر 323). لب اللباب في مسائل الحساب لابي الحسن ابن فرحون القيسي، (صلة 238. جذوة 306) منظومة ابن الياسمين في الجبر، (التكملة 1492، الجذوة 237، الدخيرة 39).

هذه الكتب هي التي امكنني الآن استخراجها من المصادر المشار لها تصريحا في الأكثر وتلويحا فى الأقل.

ولئن هذه الكتب وإن لم تستوعب كل كتب الدراسة في هذا العهد، ولم تتناول كثيرا من كتب الفلسفة بسائر أنواعها التي كانت شائعة في هذا العصر، ولم تتناول كتب كثير من العلوم الأخرى، فانها بالرغم عن ذلك تعطينا مثالا يدل على ما وراءه.

(5) ملاحظات

تبين مما ذكرنا عن مناهج التعليم وأساليبه لهذا العهد أمور جديرة بالاهتمام، فإن عبد المومن نشأ التلاميذ الذين جمعهم في مدرسته على حفظ كثير من الكتب.

وكان هؤلاء التلاميذ كأبناء ليلة واحدة، وكانوا يمرنون على أنواع الرياضات، ويربون بالأدب تارة وبالعطاء أخرى، وكانت نفقتهم وسائر مئونتهم على حساب عبد المومن - كما رأينا في التعليم الجامعي؛ أنهم كانوا يتدرجون بالتلاميذ في مدارج التثقيف - وفي التعليم الإجباري أنه كان حتى بالبربرية،وتناول حتى النساء

ولا نرى أن نمر بهذه النقط البارزة في تلك المناهج والأساليب، دون أن نعلق عليها في شيء من التوسع؛ ونبين أن الموحدين تأثروا بالغزالي شيخ إمامهم ابن تومرت في شيء غير قليل من تلك الأنظمة، فإنهم قلدوه (1) في إدماج الرياضة في مناهج التعليم، هذه المسألة التي أهملت باوربا في القرون الوسطى، وأحياها الموحدون تبعا للغزالي الذي يقول في الاحياء: (3) 63 : - ويعود الصبي في بعض النهار المشي

والحركة والرياضة،حتى لا يغلب عليه الكسل... وينبغي أن يوذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب،بحيث لا يتعب في اللعب، فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائما يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغض عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا. - وانهم كانوا يرمون بهذا إلى (2) قرن الخدمة العسكرية والتمرين في فنون الحرب بالتعليم،ذلك أنهم كانوا يخشون أن يؤدي الا نسقطاع للعلم والدرس إلى إضعاف الهمم وفتور الحماسة الحربية لدى المغاربة، انظر تاريخ الاندلس (2) 51.

كما تأثروا بالغزالي أيضا في (3) مزج الأدب بالعطاء،وفي هذا يقول في الاحياء (3) 63: ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، فإن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه... ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه.

وتاثروا به أيضا في (4) مراعاة التدريج في ترقية التلاميذ من رتبة إلى رتبة،وهذا كلام الاحياء في الموضوع (1) 51. وفيه يقرر أنه يطلب من المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه،فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره أو يخبط عليه عقله... وأنه ينبغي أن يلقي الى المتعلم القاصر الجلي اللائق به، ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه...

وإن الموحدين لم يقفوا عند تقليد الغزالي؛ فقد ابتكروا

(5) التعليم الاجباري الذي لم يفكر فيه باوربا إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (م)، وجروا على منهاج (6) التعليم بأكثر من لغة، و (7) سنوا التعليم المجاني بأوسع معانيه، فإن عبد المومن - كان زيادة على قيامه بنفقات التعليم - يقوم إلى جانب ذلك بنفقة التلاميذ ومئونتهم وخيلهم وعددهم كما تقدم لنا.

وكانوا يراعون (8) وحدة السن في التلاميذ الذين كانوا في مدرسة عبد المومن ثلاثة آلاف كأنهم ابناء ليلة واحدة، وكذا اهتموا (9) بالحفظ في هذه المدرسة اهتماما ظهر اثره في نبوغ حفاظ كبار في العهد الموحدي في مختلف العلوم، وسوف يمر بنا ذكر زمرة كريمة من هؤلاء في تضاعيف الحديث عن العلوم والآداب.

وبعد هذا ننبه - تعليقا على إدخالهم النساء في التعليم الإجباري إلى أنهم لم يقفوا بالمرأة عند هذا الحد من التثقيف، بل وسعوا نطاق تعليمها، وضربوا ببناتهم مثالا لما ينبغي ان تكون عليه المرأة المغربية، ومن بنات الخلفاء المثقفات التي حافظ عليها التاريخ (زينب بنت يوسف بن عبد المومن) حرم الامير عبد الرحمن بن عمر بن عبد المومن، أخذت عن ابي عبد الله بن ابراهيم علم الكلام وغير ذلك، وكانت عالمة صائبة الرأي فاضلة معروفة بالشفوف على نساء زمانها، وترجمتها في (التكملة وزوائدها عدد 2122).

وكما ضربوا ذلك المثل الملكي لتعليم المرأة، كذلك نراهم يولون النساء المثقفات على عهدهم التفاتا خاصا يفتحون ابوابهم في وجوههن، ويصلونهن، ويزيحون ظلامتهن، ويستمعون - هم وبعض امرائهم - لأدبهن، بل لقد وظفوا بعضهن معلمات بقصر الخلافة.

وعلى سبيل المثال نذكر (1) الأديبة الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية

الغرناطية، كانت أستاذة وقتها، وانتهت إلى أن علمت النساء في دار المنصور، وتوفيت بمراكش آخر سنة 586 الاحاطة (1) 318.

ومما قالته في عبد المومن وانشدته ارتجالا بين يديه:

ياسيد الناس يامن يؤمل الناس رفده
امنن على بطرس يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه الحمد لله وحده

التكملة 2891 النفح (2) 430.

وكتبت الى السيد ابي سعيد أمير غرناطة تهنئه بيوم عيد:

ياذا العلى وابن الخليفة والإمام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه في قيد الانابة والرضى
ليعيد من لذاته ما قد تصرم وانقضى

النفح (2) 433.

و (2) الاديبة اسماء العامرية الإشبيلية، كتبت إلى عبد المومن رسالة تمت إليه فيها بنسبها العامري، وتسأله رفع الإنزال عن دارها، والاعتقال عن مالها، وفي آخرها قصيدة أولها:

عرفنا النصر والفتح المبينا لسيدنا امير المومنينا
اذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فيها شجونا
ومنها: رويتم علمه فعلمتموه وصنتم عهده فغدا مصونا

زوائد التكملة 2880. النفح (2) 493.

و (3) الاديبة الشلبية - لم يعرف اسمها - كتبت الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها:

قد آن ان تبكي العيون الابية ولقد أرى أن الحجارة باكيه
ياقاصد المصر الذي يرجى به ان قدر الرحمن رفع كراهيه
ناد الامير اذا وقفت ببابه ياراعيا ان الرعية فانيه
ارسلتها هملا ولا مرعى لها وتركتها نهب السباع العافيه
شلب كلا شلب وكانت جنة فاعادها الطاغون نارا حاميه
خافوا وما خافوا عقوبة ربهم والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال: انها القيت يوم جمعة على مصلى المنصور، فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القصة فوقف على حقيقتها وامر للمرأة بصلة، زوائد التكملة 2890. النفح (2) 494

ومن النساء الاندلسيات اللاتي دخلن المغرب لهذا العهد واتصلن بأعلامه وتوفين به: (4) امرأة تسمى خيروذة او خدونة، كانت فقيهة صالحة.

ومما يذكر من مفاخرها أن باقتراحها وضع الامام السلالجي عقيدته الشهيرة، توفيت سنة 594، ودفنت خارج باب الفتوح بازاء قبر الفقيه دراس ابن اسماعيل، (مشاهير أعيان فاس في القديم) المنسوب لابن الاحمر (خ)، الجذوة 290، السلوة (2) 183 .

ونتابع هذه الملاحظات ببيان أن منهاج الموحدين في التعليم كان يقوم على (II) اختصار مراحل الدراسة، وهذا ما يفيده ظهور نوابغ مبكرين على عهدهم.

ونثبت من هؤلاء ابا محمد عبد الله ابن المعلم تولى خطابة القرويين - وناهيك بها إذ ذاك - وسنه 18. سنة، قرطاس 42 ، وصاحب المعجب عبد الواحد المراكشي كان من هذا الرعيل كما يفصح عن هذا كتابه المذكور، وكذا صديق له، فقد اثبت لهذا الصديق في المعجب (212 - 213) رسالة فائقة كتبها من انشائه وهو لا

زال لم يحتلم بعد، يضاف لهؤلاء الإمام ابو عبد الله محمد بن يوسف المزدغي الفاسي العالم الجامع المؤلف الكبير، توفي وهو ابن 32 سنة فقط. جذوة 138 ـ 139 .

وكثيرا ما نرى الموحدين يهتمون بهذا النوع من النوابغ المبكرين، فالوزير بن عطية واخوه ابو عقيل اللذان بلغا في اول الامر مبلغا كبيرا لدى عبد المومن، قتلا وسن الاول 36 سنة، وعمر الثاني 23 سنة، كما يذكر هذا في الحلة السيرا لدى ترجمة عبد الله بن خيار الجياني.

وفي الندوة الأدبية التي أقامها عبد المومن فوق جبل الفتح، انشد بين يديه الشاعر ابو عبد الله محمد بن غالب البلنسي المعروف بالرصافي قصيدته المطولة، وسنه اذ ذاك لا يبلغ العشرين سنة، معجب 142، كما أنشد في هذا اليوم الشاعر ابو حفص بن سعيد العنسي قصيدة وهو لايزال حدث السن، حلل 118 .

كذلك نرى ابن رشد الثاني يتولى القضاء بالمغرب والاندلس وهو ابن 27 سنة، الإعلام (3) 47 ـ 48 ، وبعد ابن رشد نرى ابا محمد بن الحفيد ابي بكر بن زهر الطبيب الاول للخليفة الناصر وجليسه، يتوفى وهو لايتجاوز 25 سنة، طبقات الاطباء (2) 74.

(6) تذييل

ونختم الحديث عن مناهج التعليم في هذا العهد بمسائل ثلاث:

(1) استدعاء العلماء للتدريس، قال في المعجب 227: وقد جرت عادتهم ـ الموحدين ـ بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرتهم من أهل كل فن وخاصة أهل علم النظر.

ومن امثلة هذه العادة ما جاء في المصدر المذكور 130: ان عبد

المومن كان يستدعي اهل العلم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، وما جاء في الإعلام (1) 65: أنه في سنة 585 استدعى يعقوب المنصور العلماء ورواة الحديث وأمرهم بتدريس حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيما يلي أسماء طائفة من هؤلاء العلماء نذكرهم كمثال لسواهم، وهم: ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي المالقي 509 - 581،(تكملة 1613)، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم الأنصاري المالقي يعرف بابن الفخار 511 - 590، تكملة 836، وأبو محمد عبد الله بن محمد الحجري المري 505 - 591، تكملة 1416، وأبو الحسن نجبة بن يحيى الرعيني الإشبيلي 521 - 597، تكملة 1276، وأبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد القرطبي 520 - 595، تكملة 1853، إعلام (3) 47. قرطاس 131، وابو بكر محمد بن عبد العزيز الرجيني السلاقي الاشبيلي ت 607، بغية 67، وأبو جعفر أحمد بن عتيق البلنسي 554 - 607، بغية 145، وابو عبد الله محمد بن احمد اللخمي التلمساني المكناسي الاصل ابن الحجام 558 - 614، إعلام (3) 87.

(2) انهم كانوا يبالغون في اختيار العلماء المدرسين وامتحانهم واختبارهم، ومن أمثلة هذا ما كتب به عبد المومن إلى نوابه في شأن التعليم الإجباري، فانه أكد عليهم في اختيار طلبة امناء، وأن يكونوا من الذين يراقبون ويحافظون، ولا يراعون في حقوق الله ولا يداهنون، انظر مجموع رسائل موحدية 137.

وفي شرح رقم الحلل 58: أن المنصور طلب يوما من قاضيه أن يختار له رجلين لغرضين من تعليم ولد وضبط أمر، فعرفه برجلين

قال في احـدهما: وهو بحر في علمه، وقال في الأخر: وهو بر في دينه. ولما خرج المنصور أحضرهما واختبرهما فقصرا بين يديه، وأكذبا الدعوى، فوقع المنصور على رقعة القاضي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ظهر الفساد في البر والبحر.

(3) طلبة الموحدين: وكان المعتنون بالعلم قدقسمهم الموحدون إلى طبقتين: طلبة المصامدة،وهم من عنى بالعلم من هؤلاء، وطلبة الحضر وهم العلماء من غير المصامدة من المغاربة والواردين على المغرب معجب 130، 227.

وكان للطلبة بقسميهم ناد يجتمعون فيه المناظرة وامتحان الواردين من اهل العلم، وهو (بيت الطلبة)،حسبما يوخذ هذا مما مر لنا عن العنوان 161 والنفح (1) 369.

كما كان لهم رؤساء مختارون من علية العلم وجلتهم،نذكر منهم على سبيل المثال: عبد الله بن محمد الأنصاري يعرف بابن المالقي، 574،رأس طلبة مراكش تكملة 1394. نيل 134، واحمد بن عتيق البلنسي ابا جعفر الذهبي 607، كان مزوارا للطلبة، طبقات الاطباء (2) 77، وعلي بن محمد الكتامي الحميري الفاسي يعرف بابن القطان 628،رأس طلبة العلم بمراكش، تكملة 1920. نيل 207 جذوة 299،ووصفه في العنوان 21 بمزوار الطلبة بالمغرب.

ويفيد ابن ابي زرع في حوادث 573 ص 172: أن ابن المالقي المذكور أولا.إنما كان رئيسا لطلبة الحضر فقط،مما يشير الى انه كان لكل صنف من الطلبة رئيس خاص

II المجامع العلمية

أ - مجامع الخلفاء

كانت هذه المجامع يعقدها خلفاء الموحدين مع أشياخ علماء الموحدين، وكبار العلماء من الواردين عليهم من مختلف الجهات، معجب 227.

وكانت حافلة بالمذاكرة والمناظرة في أنواع العلوم،لما كان يحضرها من علماء وادباء وأطباء وفلاسفة من مغاربة، ومن الواردين على المغرب:مثل الذين جلبهم الى يوسف ابو بكر ابن طفيل، جاء في المعجب 158: ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الاقطار، وينبهه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم، وسلف لنا انهم جرت عادتهم - الموحدين - بالكتب الى البلاد واستجلاب العلماء الى حضرتهم من أهل كل فن وخاصة اهل علم النظر.

ولم تكن هذه المجامع خاصة بفن، بل كانت تتناول غير ما فن، وكان لكل فن مجلس، فهناك مجلس للمذاكرة في الادب، ومجلس للمذاكرة في العربية،وهلم جرا. انظر طبقات الاطباء (2) 78 - 81.

وكانت تفتتح بإلقاء مسئلة من العلم يلقيها الخليفة بنفسه،أو يلقيها باذنه بعض الجلسة من الحاضرين، وكان عبد المومن ويوسف ويعقوب يلقون المسائل بانفسهم، معجب 227.

وكانت هذه المجالس مطبوعة بطابع النظام حتى في ترتيب الجلوس، فكان يجلس إلى جانب الخليفة خطيبه فقاضي الجماعة

بمراكش فرئيس الاطباء، فأكبر علماء الحضرة، فباقي الاعلام الحاضرين على اختلاف مراتبهم. انظر طبقات الاطباء (2) 74.

وكان يجب أن يراعي الحاضرون في هـذه المجامع مـا يجـب لمجالس الخلفاء من التزام الجد والمحافظة على الآداب الملوكية، فإن أبا بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري القرطبي ت 567، كان يحضر مجلس عبد المومن مع جملة العلماء، ويبدي ما عنده مـن المعارف معظما موقرا، إلى أن أنشد يوما في المجلس أبياتا ثلاثـة قالها يتغزل في شاب من اهل أغمات، فكان هذا سببا لأن هجره عبد المومن ومنعه من الحضور في مجلسه، بل وصرف بنيه عن القراءة عليه. البغية 62 .

وكذا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المهـري المشتهر بالأصولي ت 614، ممن كان يحضر مجلس المنصور. فإن عدم مراعاة هذا ما يجب من الأداب في المذاكرة مع الخلفاء كان من أقوى الاسباب لا لأبعاده عن مجلس المنصور فقط، بل ولحلول النكبة التي لحقته مع ابـن رشـد إعلام (3) 85 ، وأخيرا كانوا لا ينفصلون عن هذه المجالس إلا على الدعاء، يدعو الخليفة ويؤمن الوزير جهرا يسمع من بعد مـن النـاس، معجب 227 .

وهذه أسماء بعض البعض ممن كانوا يحضرون هـذه المجـامع: (1) ابو العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري يعـرف بـابن الصقر 492 - 569، التكملة ط. الجزائر 201، القرطاس 131 مكنيا له ابا عبد الله. (2) محمد بن عبد الملك بن طفيل ابو بكر ت 587، أخذا من المعجب 158، (3) أبو بكر محمد بن عبـد الله بن الجـد الفهري الإشبيلي 596 - 586. القرطاس ص 131. (4)، أبو زكرياء

يحيى بن أبي الحجاج اللبلى ت 590، صلة الصلة 370. بغية 411، (5) محمد بن احمد ابن رشد الثاني القرطبي 520 ـ 595، نفح (1) 75. (6) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الايادي الإشبيلي 507 - 595. نفح (1) 75، (7) أحمد بن عتيق البلنسي: أبو جعفر الذهبي 554 ـ 601، طبقات الأطباء (2) 81، (8) أحمد بن محمد بن هارون ابن عات النفري الشاطبي ت 609 ديباج 60. (9) يوسف بن أحمد ابن علي ابو الحجاج المريبطري ت 619، طبقات الأطباء (2) 78، (10) ابو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي الإشبيلي 564 ـ 635، قال في التكملة رقم 1006 ص 760: كان يتولى الإملاء في مجالس بني عبد المومن على الطلبة، (11) ابو عبد الله محمد بن حماد العجلاني الفاسي ت 609، كان المخصوص بقراءة كتب الحديث ودواوينه على الأمراء، تكملة 1068.

ب - مجامع الامراء

والأمراء هم الآخرون كانت لهم مجامع علمية، منها مجالس الأمير ابي زكرياء يحيى بن يوسف بن عبد المومن، وممن كان يحضرها عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب المؤرخ الشهير، والكاتب الشاعر ابو اسحاق ابراهيم الزويلي، معجب 182.

ومنها مجلس صاحب سبتة: الأمير أبي يحيى بن أبي زكرياء الذي ضم ابا الوليد الشقندي وأبا يحيى بن المعلم الطنجي، حيث وقعت المناظرة في المفاضلة بين الأندلس والمغرب. وكان من فوائد هذا المجلس أن كتب كل من الشقندي وابي يحيى الطنجي رسالته، انظر النفح (2) 138.

المعارف

بعد تلك المقدمات ننقل الحديث الى المعارف على عهد الموحدين، لنراها كيف كانت - في ظل طابعهم الثلاثي - ناهضة مزدهرة، وسأتناولها على الترتيب التالي:

العلوم - الآداب - الفنون

العـلـــــــــوم

الـديـنيــة:

التفسير : العادي، بالإشارة - التجويد، القرآت، الرسم، الحديث، الفقه : الظاهري، المالكي - الفرائض، الوثائق، اصول الفقه، اصول الكلام، العصمة والمهدوية -

اللسانيـة:

اللغة، النحو، البيان : 3 ، العروض.

التـاريـخ :

السير، النسب، التراجم، تاريخ الملوك، تاريخ البلدان - الجغرافيا -

العـقـليـة :

الطبيعية، العدد ، الحساب، الجبر، المعاملات ، الهندسة، التنجيم ، الهيئة، الميقات، الزيج، المنطق ، الجدل، المناظرة ، الكيمياء. الطب، الصيدلة.

التفسير: العادي والإشاري
التجويد-القراءات-الرسم

ان الموحدين اهتموا بالتفسير اهتماما كبيرا،فاستدعوا المفسرين من الأندلس،ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة الذين نبغ منهم في هذا العهد مثل (1) أبي الحسن علي بن أحمد التجيبي الحرالي المراكشي ت 637، أقرأ الفاتحة في نحو ستة اشهر، وابتدع علما جديدا لقواعد التفسير، فكان يلقي في التعليم قوانين تتنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الاحكام، وعلى احكام هذه القوانين ألف كتابه:(مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل)،انظر عنوان الدراية 85 - 86، و (2) عبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي القصري ت 608، الف في تفسير القرآن، وفسرمشكل الكتاب والسنة، صلة ع 44، و (3) أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمران المزدغي ت 655، له كتاب في تفسير القرآن انتهى فيه الى سورة الفتح، جذوة 138، و (4) أبي عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري الفاسي ت 662، اختصر الكشاف للزمخشري وحذف منه مسائل الاعتزال، بغية 77. جذوة 144،و (5) أبي العباس أحمد بن فرتوت السلمي الفاسي، ت 660،ألف في الاعلام المبهمة في القرآن كتابه: الاستدراك والإتمام، استدرك فيه على السهيلي في كتابه: التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام، جذوة 57

ولم يكن اشتغالهم في هذا العهد بالتفسير العادي فقط،بل تجاوزو إلى الاشتغال بالتفسير بالإشارة. وممن اشتغل به الحرالي

الآنف الذكر، قال الذهبي: له تفسير فيه اشياء عجيبة،تكلم في وقت خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج، ورأيت شيخنا المجد التنسي يتغالى في تفسيره.

قال بعضهم والموجود من تفسيره من أوله الى قوله تعالى في آل عمران: فلما دخل عليها زكرياء المحراب، وهو تفسير حسن، وعليه نسج البقاعي في مناسباته، وذكر ان هذا القدر هو الذي وقف عليه منه،نقله في النيل 202.

وينبغي ان يذكر مع الحرالي ابو محمد عبد الله بن محمد زغبوش المكناسي، وسيأتي لنا: أن له تاليفا في اثبات الهداية الوحدية،استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز، وكذا بعض الافاضل الذين لقيهم ابن عربي الحاتمي بفاس سنة 591، فقد ذكر عنه في كتابه الفتوحات:أنه استخرج - بحساب الجمل - من آية (انا فتحنا لك فتحا مبينا): انتصار الجيش الإسلامي في غزوة الارك في السنة المذكورة:591، الاستقصا (1) 179.

وكان تفسيرابن برجان - بالاشارة - له رواج في هذا العهد،ترجم في الصلة ع 370 لابي زكرياء يحيى بن ابي الحجاج اللبلي السالف الذكر ص 40، وبعد ما ذكر انه نشأ بمراكش انتقل اليها صغيرا... قال: وهو الذي استخرج من تفسير ابي الحكم بن برجان من كلامه على سورة (الم غلبت الروم) فتح بيت المقدس في الوقت الذي فتح فيه على المسلمين، وحقق وعين ما كان اغمض فيه ابن برجان وأبهم، ووقف عليه المنصور فبقى مرتقبا له ومعتنيا في نفسه به حتى كان ذلك على حسب ما قاله... ونقله في بغية الوعاة، ص 411.

التجويد. القراآت. الرسم

وكان لملوك الموحدين اعتناء بهذه العلوم،فقد كان يوسف - كما في المعجب- 155 - من احسن الناس إلفاظا بالقرآن، ولما رفع الى يعقوب ابو بكر يحيى بن محمد بن خلف الهوزني الاشبيلي نزيل سبتة (ت 602) أراجيزه الحسان في القراآت والتجويد ومخارج الحروف أجازه المنصور عليها، صلة ع 376.

وممن ألف في القراآت على هذا العهد من المغاربة ابو عبد الله محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربي الفاسي (ت 656)،صنف شرح الشاطبية. شذرات الذهب (5) 283 - 284.

ودون فيها ممن استوطن المغرب:أبو عمر ومرجى ابن يونس الغافقي الأندلسي الاصل،كان ساكنا بطنجة وأقرأ بها وبسبتة، وله شرح على قصيدة الحصري في القراآت، تكملة 1152، وفي هذا العصر إقترح طلبة مراكش على المقرئ أبي الحسن علي بن محمد المرادي البلنسي سكين المغرب: أن يضع لهم تاليفا في الرسم،فنظم لهم في أيام قليلة رجزا في رسم هجاء المصحف،سماه المنصف، ودعا في طالعته لعبد المومن وأولاده،انظر أوائل شرح ابن عاشر على مورد الظمآن، وابو الحسن هذا له ترجمة في زوائد التكملة تحت عدد 2330.

وبعد هذا نلفت النظر إلى أن اعتناء الموحدين بالقرآن لم يقف عند حد الاشتغال بالتفسير وما ذكر بعده، وأنهم أضافوا لذلك ان أنشأوا المحافظة على القرآن الكريم حزبا منه يقرأ يوميا بعد صلاة الصبح والمغرب،حسبما أمر بهذا يوسف في سائر البلاد التي تحت طاعته. جذوة 47 .

الحديـــــــث

وكذا ازدهر الحديث في هذا العهد ازدهارا لم يكن له من قبل، وقد استمد نهضته من اهتمام الموحدين به اهتماما كبيرا ظهر في استدعائهم للمحدثين من الأندلس،وامرهم بتدريسه الى جانب المحدثين المغاربة، كما يعلم مما سلف

وظهر ايضا ذلك الاهتمام في المكانة الكبرى التي كانت لطلاب الحديث في دولتهم وبخاصة ايام يعقوب، جاء في المعجب 188: ونال عنده - يعقوب - طلبة الحديث ما لم ينالوه في أيام ابيه وجده. هذا الى أن غير واحد من خلفائهم وامرائهم كانوا محدثين حفاظا، فيوسف كان يحفظ أحد الصحيحين، معجب 155، ويعقوب كان يحفظ متون الأحاديث ويتقنها،نفح (2) 99،والمامون كان معدودا من حفاظ الحديث لم يزل أيام خلافته يسرد كتب الأحاديث مثل البخاري والموطا وسنن ابي داوود، قرطاس 161. الاستقصا (1) 200،وكذا الأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المومن،قال في المعجب 207: لم أر في العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر.

ومن الأدلة الأخرى لنفاق علم الحديث في هذا العهد قصة امتحان ابن عات المذكورة في عنوان الدراية 161. والنفح (1) 369 ببيت الطلبة بمراكش، فإنها تدل بدورها على عناية القوم بالحديث وامتحان الواردين عليهم من أهله،ولقد كان من اثر هذه النهضة أن ظهر بالمغرب محدثون كبار: مثل (1) أبي الخطاب ابن

دحية السبتي،كان يقول إنه حفظ صحيح مسلم كله، الشذرات (5) 160.

وقد امتحن علماء مصر حفظه للحديث فذكروا له أحاديث بأسانيد حولوا متونها،فأعاد هذه المتون المحولة وعرف عن تغييرها، ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية ،عنوان الدراية 161،نفح (1) 369،و (2) عبد الرحمن بن محمد من اهل ناصنا بالمغرب الأقصى يعرف بالمكولي، قال في التكملة 1657: يقال إنه كان يستظهر كثيرا مما ألف في الأثار والأخبار وغيرها، و (3) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني الشريف الصقلي الفاسي، قال في الذيل والتكملة: كان راوية للحديث حافظا لمتونه بصيرا بعلله عارفا برجاله مشرفا على طبقاتهم وتواريخهم،عنى بهذا الشأن أتم عناية،ودرسه ببلده،الإعلام (3) 79، و (4) أبي الحسن علي بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي يعرف بابن القطان من أبصر الناس بصناعة الحديث،وأحفظهم لأسماء رجاله،وأشدهم عناية بالرواية، قاله في التكملة 1920.

وقال ابن سعيد في رسالته التي ذيل بها رسالة ابن حزم في مفاخر الأندلسيين : إن له في تفسير غريب الحديث وفي رجاله مصنفات، وإليه كانت النهاية والإشارة في عصره .. نقله في النفح (2) 135، و (5) أبي إسحاق إبراهيم ابن محمد بن احمد بن هارون المرادي الفاسي، كان أحفظ اهل زمانه للحديث،وأذكرهم للتاريخ والرجال والجرح والتعديل والخلاف العالي، يقوم على الكتب الخمسة قياما حسنا، ويتكلم على أسانيدها ومتونها،لم يكن له في عصره مثيل، جذوة 84. الشذرات (5) 315، و (5) أبي عبد الله محمد بن يحيى ابن صاف يعرف بالمواق

المراكشي ثم الفاسي الآتي الذكر، كان ـ كما في الذيل والتكملة ـ حافظا محدثا... ألف شرح مقدمة صحيح مسلم، وجملة من شرح الموطا وقف عليها ابن عبد الملك وقال انها في غاية من النبل وحسن الوضع، الإعلام (3) 142



الـفـقـــــــــه

الظاهري ـ المالكي ـ الفرائض ـ الوثائق

ان الفقه ازدهر على هذا العهد ازدهارا كبيرا، ويلفت النظر فيه أنه نهض في مظهرين، وشاع في مذهبين: المذهب الظاهري، والمذهب المالكي، وفيما يلي تفصيل حركة المذهبين:

المذهب الظاهري

وهذا المذهب كان محبوبا من طرف الخلفاء الموحدين، وبصفة اخص لدى يعقوب المنصور، فقد بلغ من إعجابه به إلى حد أن كان يقول عن أحد اشياخ الظاهرية الكبار ـ ابن حزم ـ إن كل العلماء عيال عليه النفح (2) 162.

ويعقوب هذا هو الذي حمل الناس بالفعل على المذهب الظاهري واحرق كتب المالكية، وفاقا لما في المعجب ـ وسنورد عبارته ـ ولما في التكملة ع 870، وقوانين ابن جزي والفكر السامي (4) 9 ـ 12.

وجعل ابن خلكان في الوفيات (2) 432، وقلده في الشذرات (4) 322 ـ عمل يعقوب هذا إلزاما للاجتهاد واستنباط القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس، ولا شك أن هذا غلط من ابن خلكان ومقلده نشأ من بعد الدار، وإنما الذي أمر به يعقوب هو العمل بالمذهب الظاهري كما تنطق به عبارة غير واحد ممن ذكرنا اولا.

ومن المفيد ان ننبه الى ان الذي قام به يعقوب

هو ابراز الفكرة وتنفيذها بصفة عملية، أما الفكـرة نفسها فقـد كان مسبوقا بها. ويثبت المراكشي في المعجب 185: ان كلا من يوسف وعبد المومن كانا يميلان الى هذا الرأي، إلا أنهما لم يظهراه واظهره يعقوب، قال: يشهد لذلك عندي ما أخبرني به غير واحد ممن لقي الحافظ أبا بكر بن الجد أنه اخبرهم قال: لما دخلت على أميـر المومنين أبي يعقوب أول دخلة دخلتها عليه، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس، فقال لي يا أبا بكر: أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله، أرأيـت يابا بكـر المسالـة فيها اربعـة اقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا ! في أي هذه الاقـوال هو الحق؟! وأيها يجب أن يأخذ به المقلد؟ فافتتحت أبيـن له ما أشكـل عليه من ذلك، فقال لي وقطع كلامي أبا بكر ليـس الا هذا، واشار الى المصحف، أو هذا وأشار الى كتاب سنن ابي داوود - وكان عن يمينه - أوالسيف، فظهر في أيام يعقوب هذا ما خفي في أيام ابيه وجده.

هذا كلام المعجب، ونعلـق عليه بـأن الواقـع أن مسالة الظاهرية ليست آتية من عبد المومن ثم يوسف فقط، وانمـا منشؤهـا الاصلي من ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، يدل لهـذا ما اثبتـه ابن الخطيب في شرح رقم الحلل (57): أن ابن تومرت كان ينكر كتب الرأي والتقليد، ومراد ابن الخطيب بهذا الانكـار انـه كـان ينتحل المذهب الظاهري كما تنطق بهـذا تحلية الونشـريشي فـي المعيار (2) 361، للمذكور بالظاهري.

ويـؤيـده أيضـا نسبتـه إليـه فـي كـتـاب بيوتـات فاس لأبـي زيد عبـد الرحمـن الثـانـي الفـاسـي وعبارته (5)؛ أن ملوك الموحدين قد تحلوا بالمذهب المعروف لهم من إنكار الرأي

في الفروع الفقهية،والعمل شرعا على محض الظاهرية،وجـروا على ذلك سنين بطول ايالتهم إلى ان انقرضوا، اولهم في ذلـك مهديهـم أول ملوكهم...

فقد تبين أن هذه الفكـرة متأصلة مـن ابن تومرت، ولكنها لم تظهر إلا على عهد يعقوب الذي ابرزها ونفذها بالفعل، ولا يرد على هذا ما جاء في القرطاس 124، ثم في الاستقصا (1) 150: أن عبد المومن أمر سنة 555 بتحريق كتب الفـروع ورد النـاس إلى قراءة الحديث، وكتب بذلك إلى طلبة المغرب والأندلـس والعـدوة.

وبيان عدم ورود هذا النص على ما قررنا،أنه لا يفيد إلا أن عبد المومن أمر بما ذكر ليس إلا، ولم يذكر أن هذا الأمـر نفذ،لأن التنفيذ غير واقع،ولو وقع لكان جديرا بالتصريح به والتنصيص عليه، فكأن عبد المومن أمر بذلك أولا ثم رأى أن الأمـر سابق لأوانـه، فوقفت المسالة عند حد الأمر، ولـم تدخل إلى حيـز التنفيـذ. هكذا ينبغي أن يفهم كلام القرطاس والاستقصا وما على شاكلتهما، وذلك هو المحمل الذي يتعين أن يحمل عليه، وبه يحصل الجمع بينـه وبين كلام المؤرخـين الذين ذكرتهم في صدر هذا الموضوع،بما فيهم من عبد الواحد المراكشي الذي كان معاصرا للدولة الموحديـة،ومطلعـا على أخبارها.

وبعد هذا نذكر تفصيل عمل يعقوب في حمل الناس على المذهب الظاهري وتحريق كتب الفروع، وتوعد من خالـف أمـره في ذلك، قال في المعجب (184): وفي أيامـه - يعقـوب - انقطـع علـم الفروع وخافه الفقهاء، وأمر باحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن، ففعـل ذلـك،فأحرق

منها جملة في سائر البلاد،كمدونة سحنون. وكتاب ابن يونس ونوادر ابن ابي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب البرادعي. وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها.

لقد شهدت منها-وأنا يومئذ بمدينة فاس يوتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه،وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة...

وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك،وإزالته من المغرب مرة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، ومما يفسر تلك العقوبة الشديدة التي توعد بها يعقوب من اشتغل بالفقه المالكي، ما ورد في كتاب بيوتات فاس المذكور آنفا (5) ان الموحدين - والمراد يعقوب - أوقعوا المحن بذوي الفروع وقتلوهم وضربوهم بالسياط،والزموهم الأيمان المغلظة من عتق وطلاق وغيرهما على أن لا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه.

ولقد استفاد الفقه من هذه الحركة الظاهرية أن نبغ في هذا العصر فقهاء عظام،يستنبطون الفقه من معين الكتاب والسنة،ويفتون ويحكمون بها، وكان على رأس هذه الطائفة يرعاها ويشجعها يعقوب المنصور، ذكر عنه السرخسي في رحلته: أنه يتكلم في الفقه كلاما بليغا، وأن فقهاء وقته كانوا يرجعون إليه في الفتاوي، وله فتاوي مجموعة . نقله في النفح (2) 99.

كما ذكر عنه في المعجب 184 : أنه امر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع احاديث من المصنفات العشرة: الصحيحين، والترمذي، والموطا، وسنن ابي داوود، وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن ابي شيبة، وسنن الدراقطني،

وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها، على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة، فاجابوه إلى ذلك،وجمعوا ما أمرهم بجمعه، فكان يمليه بنفسه على الناس وياخذهم بحفظه وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب،وحفظه الناس من العوام والخاصة، فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني من الكسا والاموال.

وبعد يعقوب نذكر بعض المغاربة الآخرين الذين كانوا حينئذ ينتحلون هذا المذهب، ومنهم ابو الحسن علي بن محمد بن خيار البلنسي الاصل الفاسي 541 - 605، التكملة 1917. الذخيرة السنية 40 - 41. الجذوة، 306 - 307 ،وأبو اسحاق إبراهيم بن احمد بن هارون المرادي الفاسي يعرف بابن الكماد، ت 663. الجذوة 84، وكذا ابو الخطاب بن دحية الكلبي السبتي 547 - 633 ،وأخوه ابو عمرو 546 - 634، وصفهما بن خلكان في الوفيات (2) 432 بالاجتهاد، والمراد أنهما كانا معتنقين للمذهب الظاهري اخذاً مما تقدم، وقد صرح بهذا في الشذرات (5) 160 في حق ابي الخطاب.

وكما استفاد الفقه ما ذكر، كذلك ظهرت تآليف مهمة في احاديث الاحكام استدراكا ونقدا وشرحا،فقد استدرك القاضي الصقلي على الاحكام الكبرى لعبد الحق أحاديث كثيرة في اكثر الكتب رأى ان صاحب الاحكام أغفلها، وأنها اولى بالذكر مما اورده،الإعلام (3) 79،

وألف ابن القطان كتابا في بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام،صلة الصلة 268، وتعقب كتاب ابن القطان تلميذه ابو عبد الله محمد بن يحيى ابن صاف يعرف بالمواق، الإعلام (3) 141، كما شرح احكام عبد الحق الإمام المزدغي الفاسي انتهى الى الاقضية منها، وسمى الشرح أنوار الأفهام في شرح الأحكام،الجذوة 138.

الفقه المالكي

وبقدر ما كان الخلفاء الموحدون محبين للمذهب الظاهري،كان أكثر فقهاء عصرهم من المغاربة وغيرهم ساخطين على هذا المذهب، متعصبين للمذهب المالكي مناصرين له، وللتدليل على هذا نثبت فيما ياتي جملة مهمة من المغاربة الذين كانوا يعتنقون المذهب المالكي لهذا العهد، ومنهم ابو محمد يشكر بن موسى الجورائي الغفجومي ثم الفاسي فقيهها ت 598، له حواشي على المدونة،(وفيات ابن قنفد 46)، عبد الرحيم بن عمر اليزناسني كان يعيش نحو اواخر القرن السادس، امام في فقه مالك محصل له،العنوان 153 - 154 الجذوة 266 - 267 ، ابو الحسن علي بن سعيد الرجراجي كان حيا في التاريخ المذكور، ألف مناهج التحصيل فيما للأيمة على المدونه من التاويل، (النيل 200)، إسحاق بن ابراهيم الغماري السعيدي المجابري قاضي فاس وسبتة وشلب. ت609، فقيه مالكي حافظ للرأي قائم على المدونة، يقال: انه كان يستظهرها،التكملة ط. الجزائر ع 517. الجذوة 99، النيل 99، أبو زيد عبد الرحمان بن يوسف الفاسي الشهير بابن زانيف ت 612،كانت تشد إليه الرحال في مذهب مالك، وكان يقوم على المدونة قياما تاما، الجذوة 254، عبد الله بن محمد التادلي كان حيا سنة 623. كتبت المدونة من حفظه النيل 138 ؛ ابو محمد صالح الفاسي، ت 631 [1] ،قيد عنه شرح الرسالة انظر الديباج 129 - 130، ابو الحسن علي بن احمد التجيبي المعروف بالحرالي

(1) هذا ما اثبته الديباج في تاريخ وفاة ابي محمد صالح الفاسي . والصحيح انها كانت عام 653 انظر السلوة (2) 43 .

المراكشي ت 637، من أعلم الناس بمذهب مالك،ولما ظن فقهاء عصره أنه لا يحسن المذهب أقرأ التهذيب وابدى فيه الغرائب، وبين مخالفته للمدونة في بعض المواضع.. العنوان 85 - 86. النيل 201. النفح (1) 411.

فهذه زمرة كريمة من الفقهاء المغاربة الذين كانوا يعتنقون المذهب المالكي ويتعصبون له، ولم يكن هذا في المغرب وحده، وإن الأندلس هي الأخرى كان لمذهب مالك بها رواج حينئذ،ونذكر من رجاله على سبيل المثال: سليمان بن عبد الواحد الغرناطي ت 599، ألف في الفقه كتاب المسائل المجموعة على التهذيب للبرادعي في تسعة أسفار، الديباج 123، وجعفر بن عبد الله الخزاعي الأندلسي ت 624، حفظ نصف المدونة وأقراها، النيل 103، وعبد الله بن علي الانصاري الاوسي الأندلسي الاستجي، ت 646، كان يدرس الأصول ومذهب مالك بإشبيلية وقرطبة، التكملة 1461 - بل إن بعض أعلام المالكية لهذا العهد جاهر بالرد على شيخ الظاهرية الثاني ابي محمد ابن حزم.

ومن هذا الصنف أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد الأنصاري الاشبيلي المعروف بابن زرقون 539 - 621، ألف المعلى في الرد على المحلى والمجلى لابن حزم،التكملة 967. الديباج 286. الشذرات (5) 96،ومن هذا الصنف أيضا من تقلد القضاء في عاصمتي الموحدين: مراكش بالمغرب وإشبيلية بالأندلس، وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الله الانصاري المهدوي الأصل ت 631،له بدوره كتاب في الرد على بن حزم، دل على فضله وعلمه، قاله في التكملة ع 1812 ونقله في النيل 184.

الفرائض. الوثائق.

ويتبع الفقه الفرائض والوثائق، وقد كانا مزدهرين على هذا العهد، وممن ألف في الفرائض ابو الحسن الحرالي الآنف الذكر، قال في عنوان الدراية 87: بأن كتابه في علم الفرائض المسمى بالوافي ما ألف مثله في ذلك الفن،لأنه أعطى الفرائض موصلة مفصلة معللة باخصر بيان وأوضح تبيان، كما ألف في الوثائق أبو الحسن علي ابن يحيى الصنهاجي الريفي، (ت 585): مختصره «المقصد المحمود في تلخيص العقود»،وهو كتاب مفيد جدا قال في «التكملة» رقم 2378: وكثر استعمال الناس له لجودته.



اصول الفقه ـ اصول الدين
المهدوية والعصمة

وعلم اصول الفقه شاع في هذا العهد بعد أن لم يكن كذلك بالمغرب، يقول ابن رشد في كتابه فصل المقال (5) : ان علم الأصول يروج في جميع البلاد ما عدا المغرب.

أما الكلام فكان قبل إنما هي العقيدة السلفية، وفي هذا العصر تقرر علم الكلام على مذهب إمام الموحدين ـ ابن تومرت ـ في التوحيد، وكان مذهبه فيه كما في المعجب (121) على مذهب الأشعري في اكثر المسائل،إلا في إثبات الصفات فانه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها، وكان يبطن شيئا من التشيع، غير انه لم يظهر منه الى العامة شيئا.

ولقد ازدهر العلمان في ظل الموحدين ازدهارا،ناهيك منه أن الأندلسيين صاروا يرحلون إلى المغرب لقراءة هذين العلمين، ترجم في التكملة 1445 لابي محمد عبد الله بن باديس بن عبد الله اليحصبي الاندلسي من اهل جزيرة شقر ت 622،فذكر عنه أنه ارتحل إلى فاس فلقي بها أبا الحجاج بن نموي وطبقته من اهل علم الكلام واصول الفقه فأخذ عنهم.

ومن اشياخ المغرب في هذين العلمين ابو الحسن علي بن محمد بن خليد الاندلسي المعروف بابن الإشبيلي ت 567،قال في الصلة في ترجمته 205 : وهو الذي قرر علم الأصول وعلم الكلام بمدينة فاس حيث انه استقر بها، وكذا أبو عمروعثمان بن عبد الله

القيسي القرشي المعروف بالسلالجي ت 564 تلميذ ابي الحسن قبله، واليه مرجع الفاسيين في علم الكلام، صلة 205،وهو منقذ اهل فاس من التجسيم، جذوة 290، ومختصره في التوحيد المسمى بالعقيدة البرهانية والذي لا زال مخطوطا مشهوراً-محفوظ فى بعض المكاتب، وقد شرحه أبو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله الانصاري الاشبيلي المعروف بالخفاف كما في كشف الظنون.

وممن نبغ من المغاربة الآخرين فى العلمين أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي الفاسى يعرف بابن الكتانى ت 596،كان إماما في علم الكلام وأصول الفقه،وله رجز في هذا العلم الثاني، تكملة 1062، وأبو الحسن علي بن محمد الخزرجي الاشبيلي الأصل الفاسي يعرف بابن الحصار ت 611، صنف في أصول الفقه كتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب البيان في تنقيح البرهان، وأرجوزة في أصول الدين شرحها في اربعة اسفار، تكملة 1918، وأبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد الفاسي يعرف بابن نعوي 554 - 614،كان إماما في علم الأصول والكلام.. تكملة 2099

المهدوية والعصمة:

ومن نوابع علم الكلام مسألة المهدوية والعصمة عند ابن تومرت، فقد كانت هذه في أول امر الموحدين عقيدة مفروضة لا مجال للبحث فيها، ولقد بلغت من السمو أول أيامهم إلى حد أن بعض علمائهم وضع تاليفا في اثبات الهداية الموحدية، استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز.

قال ابن غازي في الروض الهتون بعد هذا: كان شيوخ طلبة الموحدين يسألون أبدا عن هذا الكتاب، ويثنون عليه وعلى واضعه، إلى أن ولي الشيخ أبو ابراهيم إسماعيل بن محمد بن أيوب المجالي عمل مكناس، وكان متشيعا للمهدي حافظا لتآليفه قائما على مذهبه من طلبة الموحدين وزهادهم، وكان ناقدا عليهم غير راض عما ابتدعوه، فألح في طلب هذا الكتاب حتى ظفر به، فكان آخر العهد به ه.

ومؤلف هذا الكتاب كما في المصدر المذكور هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن حماد بن زغبوش المكناسي، وله ترجمة في التكملة تحت عدد 1486 باسم عبد الله بن حماد...

ولئن بلغت هذه العقيدة أول أيام الموحدين المبلغ الذي وصفنا، فإنها لم تلبث أن اخذت تفقد صولتها. فقد كان يعقوب المنصور لا يرى رأي الموحدين في ابن تومرت ولا يقول بعصمته، ارجع الى المعجب 193.

ثم أجهز على هذه العقيدة تماما إدريس المامون الموحدي الذي لعن ابن تومرت فوق منبر جامع المنصور بمراكش، وقال: أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم، وادعوه بالغوي المذموم، وأعلن نبذ أمره النحس - على حد تعبيره - ثم كتب إلى جميع البلاد بتغيير سير المهدي، وما كان ابتدعه للموحدين وجرى عليه عملهم وسير ملوكهم، انظر القرطاس 161.

العلوم اللسانيـــــــــــة
لغة ـ نحو ـ بيان ـ عروض

ان هذه العلوم كانت شائعة في هذا العهد ولا سيما اللغة والنحو، فقد بلغا غاية كبرى، وكان على رأس اعلامهما يوسف بن عبد المومن الذي كان من احفظ الناس للغة، واسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، معجب 155 .

وفيما يخص اللغة ظهر لهذا العهد لغويون حفاظ كبار، منهم محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي لم يستظهر احد في زمنه منها ما استظهره. بغية 69. وكذا ابو الخطاب بن دحية، عنوان 160. واخوه ابو عمرو بن دحية، صلة 140 الوفيات (1) 482. النفح (1) 366.

ومن اللغويين الذين كانوا موجودين بالمغرب في هذا العصر ابو القاسم علي بن حمزة البصري، فقد اكتشف بمكتبة القرويين أوراق من تأليف في اللغة بخط مؤلفه المذكور كتبها برباط الفتح سنة 586. وكذا أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن اصبغ الأزدي المعروف بابن المناصف 563 ـ 620، كان له حظ وافر من اللغة، وله فيها: أرجوزته الألفية الفائقة، المسماة المذهبة في الحلى والشيات وغيرها نظمها بمراكش كما في النيل 229، توجد نسخة منها بمكتبة برلين تحت عدد 5370، وأخرى بمكتبة الاسكوريال بإسبانيا تحت عدد 518، وفي بعض المكاتب بالمغرب، وقد نشرت كاملة ضمن التقويم الجزائرى لسنة 1330 = 1912، صحائف 73 ـ 122.

وعلم النحو كذلك ازدهر حتى في مدن المغرب الثانوية، ومنها

طنجة التي كانت احد مراكز النحو، وفي هذا العهد رفع نحاتها ومقرئوها سؤالاتهم للنحويين والمقرئين من اهل اشبيلية حيث انتدب للجواب عنها في تقييد خاص ابو بكر محمد بن خلف بن محمد ابن صاف اللخمي الإشبيلي 512 - 586، تكملة 821، بغية 40.
ولا شك أن رئيس نحاة المغرب في هذا الوقت هو أبو موسى عيسى ابن عبد العزيز الجزولي المراكشي، ت 607، له: المقدمة المشهورة التي ألفها إملاء على الجمل للزجاجي، وتسمى بعدة أسماء: بالمقدمة الجزولية وبالجزولية، وبالقانون والاعتماد، وبالقانون، وهي كتاب جليل في هذا الفن، قال عنها ابن خلكان في الوفيات (1) 498: ولقد أتى فيها بالعجائب، وهي في غاية الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، ولم يسبق إلى مثلها، واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها، ومنهم من وضع لها أمثلة، ومع هذا فلا تفهم حقيقتها، وأكثر النحاة ممن لم يكن قد أخذوها عن موقف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده منها، فإنها كلها رموز وإشارات.
ولقد سمعت من بعض أيمة العربية المشار اليه في وقته وهو يقول: أنا ما أعرف هذه المقدمة، وما يلزم من كوني ما اعرفها أن لا أعرف النحو، وبالجملة فإنه أبدع فيها، وقال عنها ابن مالك أول شرحه عليها: إن كتاب القانون في النحو وإن كان صغير الحجم، لاكنه كثير العلم مستعصى على الفهم، مشتمل على لباب الأدب، منطو على سر كلام العرب، متضمن للنكات الغريبة التي خلا عنها اكثر شروح النحو... ذكره في كشف الظنون (2) 505.
ولهذه الأهمية الكبرى التي للجزولية اشتهرت من عصر مؤلفها وقرئت عليه، صلة 95، كما وضعت عليها شروح عديدة في عصر

المؤلف وقريب منه، كتبها غير واحد من المغاربة والأندلسيين وغيرهم، وفي مقدمة المغاربة الجزولي نفسه، شرحها في مجلد كبير أتى فيه بغرائب وفوائد، وفيات (1) 499

ومن الأندلسيين إمام نحاتهم في عصره: ابو الحسن بن عصفور الحضرمي 597 - 663، بغية 357، وكان هذا الشرح يحتاج إلى تكميل فاتمه الشاوبين الصغير الأندلسي تلميذ بن عصفور، ت حدود 660، بغية 80

وسوى هؤلاء كثير، وسيمر بنا بعضهم، وتوجد طائفة من شروح الجزولية بمكتبة القرويين بفاس أرقام: 1181، 1185، 1192، 1198، وبمكتبة الإسكوريال من إسبانيا أرقام 2، 36، 190.

ومن مؤلفات الجزولي الأخرى: شرح أصول ابن السراج، بغية 339، أما بقية النحاة المغاربة، فمنهم أبو القاسم عبد الرحمان بن القاسم بن يوسف المغيلي الفاسي ت 619، من اعيان اهل هذا الشان، تكملة 1656. بغية 300 - 301، وأبو العباس أحمد بن محمد ابن خلف البكري السلوي ثم المراكشي 581 - 641، له: شرح على المفصل، وشرح على الجزولية، بغية 156 - 157، وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن داوود التادلي المراكشي، مبرز في النحو متحقق به درسه طويلا، الإعلام (3) 144، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المصمودي ت 649، النحوي الإمام، كان يقرأ كتاب سيبويه. بغية 301، وابو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد العبدري الفاسي يعرف بالصرفي ت 651، من أيمة هذا الشان وحفاظه، بغية 114. جذوة 138.

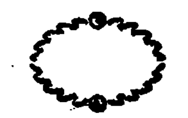
ونختم ذكر علماء النحو بعد علماء اللغة بعالم لغوي نحوي،

وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي ت 570، كان قائما على العربية واللغة، وألف فيهما: كتاب الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل، وإصلاح ما وقع في شواهد سيبويه وفي شرحها - للاعلم - من الوهم والخلل، وكتاب لحن العامة، وشرح الفصيح لثعلب، تكملة 1053. بغية 19 - 20 .

* * *

وعلوم البيان هي الأخرى كان لها بعض رواج على هذا العهد، سيما في أواخره، ولا شك أن من أبرز شخصياتها حينئذ أبا عبد الله محمد بن العابد الانصاري الفاسي، أخذا مما تقدم عنه لدى الحديث عن علم التفسير: أنه اختصر الكشاف للزمخشري... فإن هذا الكتاب لا يمكن أن يقرأه فضلا عن أن يختصره إلا من كانت له ملكة تامة في هذه العلوم. وراجع مقدمة ابن خلدون 507.

وكذلك علم العروض كان شائعا في هذا العصر، وممن الف فيه ممن استوطن فاسا: أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجياني الاصل 535 - 604، له فيه تأليف صغير، التكملة ع 1098 .



التـــــاريـخ
السيـر ـ النســـب ـ التراجم
تاريخ الملوك ـ تـاريخ البلدان

إن التاريخ ازدهر بهذا العهد ازدهارا يتناسب ومقام الموحدين العلمي، وظهرت طائفة كبيرة من المؤرخين المغاربة كتبوا تواريخ عديدة، وتناولوا كثيرا من فنون التاريخ،فألفوا في السير، والأنساب، والتراجم، وتاريخ الملوك، وتاريخ البلدان، وفي غير ذلك، وهذا تفصيل الفنون التي ألفوا فيهـا:

فـن السير:

من حسن الصدف أن نجد ـ في هذا العهد ـ مغربيين من أهل سبتة كانا من أول من ابتكر التاليف في مولـد الرسـول صلـى الله عليه وسلم، وأول هذين المغربيين هو أبو العباس أحمد بـن محمد العزفي اللخمي 557 ـ 633،له: (1) الدر المنظم في مولد النبي المعظم صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، وقد أكمله ولده أبـو القاسـم، ذكر فيه بعض ما خص به النبي (ص) وفضل به، وما امتن بـه عليـه وعلى أمته.... انظر: أزهار الرياض (2) 375 ـ 376، توجد نسخة منـه بالمكتبة الزيدانية العامرة بمكناس في مجلد كبير.

اما المغربي الثاني فهو أبو الخطاب عمر بن حسن ابن دحيـة الكلبي المعروف بابن الجميل 547 ـ 633، ألف (2) كتاب التنوير، في مولـد السراج المنير. أنظر وفيات الأعيان (1) 482 والنفح (1) 371.

ومن مؤلفات المغاربة الأخرى فى السير: (3) اللمعة فى ذكر أزواج النبي (ص) وأولاده السبعة، تصنيف أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي ت 603، السلوة (3) 269، (4) كتاب نهاية السول، في خصائص الرسول، (5) الآيات البينات، في ذكر ما في أعضاء رسول الله (ص) من المعجزات، ومن ملحقات السير: (6) كتاب الإعلام المبين، في المفاضلة بين أهل صفين: الثلاثة لابي الخطاب ابن دحية، نفح (1) 371

فن النسب :

وهذا الفن كان به مزيد اعتناء في هذه الدولة، ومن مظاهر هذا ما ذكره أبو القاسم الزياني في كتابه: تحفة الحادي المطرب، في رفع نسب شرفاء المغرب (خ): فإنه بعد ما ذكر أن منصب النقابة فى بني أمية وبني العباس كان يعدل منصب الوزارة، وأفاض في هذا ، قال: وكذلك كان شأن النقابة بالمغرب أو قريب منه أيام لمتونة والموحدين... كما ذكر قبل هذا عند حديثه عن بيت آل عبد الرحمان من ذرية السيد عبد الله بن المولى ادريس الثاني: أنه كان في هذه العائلة نقيب الاشراف ايام الموحدين .

ومن التئاليف التي وضعت في النسب لهذا العهد : (7) كتاب الأنساب فى معرفة الأصحاب ، لمؤلف مجهول كان يعيش فى هذا العهد، وقد عثر الأستاذ: م ليفي بروفنسال في مكتبة الاسكوريال على تاليف مقتبس منه فأخرجه وصححه وترجمه للفرنسية ونشره سنة 1928 ضمن : (كتاب اخبار المهدي للبيدق)، (8) تقييد أبي عبد الله المراكشي المعروف بالأصولي في الشرفاء العمرانيين، وبعض وفيات الاعيان، وغير ذلك من الأمور المهمة، الإعلام (3) 86.

التراجم:

وزيادة على ما ذكر، فقد قامت لكتب التراجم سوق في هذه الدولة، ومنها:

(9) ذيل الصلة البشكوالية لأبي العباس أحمد بن يوسف ابن فرتوت السلمي الفاسي ت 660 عن نيف وثمانين سنة، وهو كتاب حفيل، وان كان مؤلفه لم يتفرغ لتنقيحه وتصحيحه، جذوة 56، ومما يدل على أهميته، ما ذكره الأستاذ بروفنسال في تصديره للقسم المطبوع من صلة الصلة: ان أهم مآخذ ابن الزبير في مجموعه اثنان: تاريخ الملاحي. والذيل لابن فرتوت الذي هو من أشياخ ابن الزبير نفسه، قال: فكاد ينقل من كتاب الذيل في كل ترجمة من تراجم مجموعه، ويذكره قائلا: قال الشيخ في الذيل، ومن كتب التراجم: (10) اختصار المدارك لابي عبد الله بن حماد السبتي تلميذ القاضي عياض، ولا نعلم عن هذا المؤلف شيئا [1]، كما أننا لا نعلم عن المؤلف سوى أنه من جملة مراجع صاحب الديباج، وهو الذي نبه اليه أولا ص 361،

ثم من مراجع مؤلف الدر النفيس الذي نبه عليه ثانيا ص 16، وأفادنا أنه بقي موجودا الى عصره، (11) كتاب المستفاد. في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، في سفرين، تصنيف أبي عبد الله بن عبد الكريم التميمي المار الذكر، انظر عن نسبة الكتاب للمؤلف المذكور: السلوة (1) 9 و(3) 269،

---

(1) يوجد في الجذوة 304. والسلوة (3) 309 - 310 ترجمة لابن حماد السبتي، ولكن بكنية ابي الحسن، وهذا موجز ما كتبا عنه: علي بن موسى بن حماد من اهل عدوة سبتة، يكنى أبا الحسن، من أهل العلم والأدب والنباهة، توفي بفاس سنة 564 ومولده سنة 503.

والفتوحات (1) 244، والغالب أن هذا الكتاب هو المذكور في كشف الظنون في حرف التاء باسم تاريخ فاس لابن عبد الكريم، (12) بستان العابدين، وريحان العارفين، في ذكر أهل الصفوة، والانقطاع إلى الله بالخلوة، للمؤلف المذكور، السلوة (3) 269، (13) التشوف، إلى رجال التصوف، لابي الحجاج يوسف بن يحيى التادلي، ت 627، مخطوط محفوظ بعدة خزائن، (14) تاليف في صلحاء المغرب للمؤلف المذكور، النيل 352، (15) تصنيف أبي الخطاب ابن دحية في رجال الحديث، رآه الغبريني وذكرأنه لاباس به، عنوان 161، (16) شيوخ الدرا قطني، لابي عبد الله محمد بن يحيى بن المواق المراكشي ثم الفاسي 583 ـ 642، الإعلام (3) 142.

البرامج والفهارس:

وهي في عداد كتب التراجم، ومما ظهر منها في هذا العهد: (17) برنامج عبد الرحيم ابن الملجوم الفاسي 524 ـ 603، صلة 358، (18) فهرسة محمد بن قاسم التميمي السالف الذكر، التي جمعت نحوا من 100 شيخ، واسمها: النجوم المشرقة، في ذكر من أخذت عنه من كل ثبت وثقة (19) اختصارها، تكملة 1064، (20) فهرسة إس ابي الصبر السبتي ت 609، صلة 201، تكملة 2380، (21) برنامج ابن القطان الفاسي ت 628، زوائد التكملة عدد 1920، (22) برنامج ابي العباس العزفي السبتي 557 ـ 633، صلة 357 زوائد التكملة 1903، (23) فهرسة أبي الحسن علي الغافقي الشاري ت 649، فهرس الفهارس (2) 251، (24) برنامج أبي العباس ابن فرتوت الفاسي، جذوة 57.

والغالب أن من نوع فن التراجم (25) تقييد أبي زيد عبد الرحمن ابن الملجوم الفاسي الذي نسب له في ترجمته من التكملة 1652، وعبارته في تحليته : من أهل المعرفة بالشعر والأنساب والحفظ للتواريخ،وله في ذلك تقييد مفيد ، وقد وقع النقل عن هذا التقييد في زوائد التكملة عدد 2119.

تاريخ الملوك:

(26) تاريخ الدولة العباسية، المسمى: كتاب النبراس، في أخبار خلفاء بني العباس، لابن دحية. نفح (1) 371، (27) كتاب المجموع في تاريخ الموحدين، لمؤلف غير معروف من أهل هذا العصر،اقتبس منه البيدق في تاريخه الآتي الذكر 81 ـ 84، وقد يكون من مصادر الأنيس المطرب ينقل عنه باسم بعض المؤرخين، كأنه لم يقف كذلك على اسم مؤلفه، انظر 113 و 114 ، (28) تاريخ الموحدين لابي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، وهو عبارة عن مذكرات شاهد عيان، كتبها المؤلف المذكور عن قيام الموحدين وانتهى الى أواخر ايام عبد المومن، وهو مطبوع مترجم ايضا ضمن (كتاب اخبار المهدي للبيدق).

تاريخ البلدان:

(29) المعجب، في أخبار المغرب ، لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي 581 ـ 625،مشهور مطبوع مترجم، (30) تقييد القاضي أبي الخطاب سهل بن القاسم زغبوش المكناسي في تاريخ مكناس، وهو أحد مصادر ابن غازي خلال الروض الهتون.

وينبغي أن يلحق بهذا النوع (31) رسالة أبي يحيى ابن المعلم الطنجي في تفضيل المغرب على الأندلس، هذه الرسالة التي عارض بها أبا الوليد الشقندي الذي فضل الأندلس على المغرب، وكان كل هذا بملجس الأمير أبي يحيى ابن أبي زكرياء والي سبتة، فإن ابا يحيى بن المعلم كتب رسالته المذكورة كما ينطق بهذا كلام النفح (2) 138 في حديثه عن هذه القصة، إلا ان رسالة الشقندي حفظها قومه وخلدوها، ورسالة أبي يحيى اهملها اهله واضاعوها.

ونذيل الحديث عن التاريخ لهذا العهد بالتنبيه على أوهام وقع فيها المؤرخ الألماني يوسف أشباخ في كتابه : (تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين)،عند تعرضه لبعض مؤرخي هذا العصر (2) 262، فقد ذكر : أن من مؤرخيه أبا علي بن رشيد، وابن ختم، وقد عاشا في أواسط القرن الثاني عشر، وعاصرا المهدي وحملا عليه صراحة، وقد اختصرهما أبو مروان الذي عاش في القرن الثالث عشر، هذا كلام المؤرخ الالماني،ونعلق عليه أولا بأن الظاهر أن غالبه مأخوذ من الحلل الموشية 75 . .

وعبارتها بعد ذكر نسب المهدي ابن تومرت الى علي بن ابي طالب : اثبت هذا النسب ابو علي بن رشيق في شجرة أنساب الخلفاء والامراء، وحققه ابن القطان،واختصره ابو مروان ابن صاحب الصلاة، فقد بينت الحلل الموشية أن المؤرخين الذين مسخ اسماهما الى ابن رشيد وابن ختم إنما هما ابن رشيق وابن القطان، كما أنها لا تنص على معاصرة هذين المؤرخين للمهدي، وسياتي ما يؤيد هذا في الجملة، وأخيرا تذكر الحلل أن ابن صاحب الصلاة إنما اختصر النسب ولم يختصر التاليفين .

وبعد هذا فمن هم هؤلاء المؤرخون:ابن رشيق وابن القطان وابن صاحب الصلاة؟ اما ابن رشيق فقد عقد له ترجمة في الجذوة 111 ـ 112 وسماه الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي يكنى ابا علي، مرسي الاصل، سبتي الاستيطان، وبعد ما وصفه باوصاف عالية ذكر له : التاريخ الكبير، وميزان العمل، وغيره.

ومن هذا الغير شجرة أنساب الخلفاء والامراء، الذي نقلت عنه الحلل الموشية آنفا ، وإننا لا نعلم شيئا عن التاريخ الكبير، كما لا نعلم عن شجرة الأنساب سوى أنه أحد مصادر الحلل، أما الكتاب الثالث: ميزان العمل، فهو أيضا من مصادر الأنيس انظر ص 114، وقد حظي بشيء من الاعتبار من صاحب كشف الظنون فوصفه في العبارات التالية : ميزان العمل في التاريخ، اقتصر فيه على عدد الأيام من دول الملوك .

ومن المفيد أن ننبه إلى أن صاحب الجذوة قال عن ابن رشيق إنه كان حيا سنة 777،ولا شك أنه سبقه القلم فجعل سبعمائة عوض ستمائة، كما أن صاحب الكشف التبس عليه ابن رشيق هذا المرسي ثم السبتي بابن رشيق القيرواني، فنسب ميزان العمل للثاني غلطا ، والأنيس هو الآخر تصفه نسخه المتداولة بابن رشيق المو يسي تصحيف المرسي .

اما ابن القطان فلا نعلم عنه أكثر مما ذكره الأستاذ م. ليفي بروفنسال في مقدمة (مجموع رسائل موحدية) : أنه عثر على جزء من كتاب : (نظم الجمان) لابن القطان، يشتمل على تاريخ ابتداء الموحدين، وسيطبع عن قريب، (ولم يطبع وقد مر على هذا الوعد زمن غير قريب)،هذا ما نعرفه عن ابن القطان.

وقد جاء في النفح (2) 136 نقلا عن ابن سعيد ما ياتي :

وذكر ابن غالب ان الفقيه ابا جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة إلى أن انتهى في أخبار الأندلس إلى دولة عبد المومن، قال ابن غالب: وفارقته سنة 565، والظاهر أن ابن عبد الحق القرطبي هو المترجم في التكملة باسم محمد بن عبد الحق بن احمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي الفقيه، ارجع اليها عدد 729.

كما جاء في ترجمة ابي الحسن ابن القطان المحدث الشهير المار الذكر أنه كان ذاكرا للتاريخ، انظر الصلة ع 268 ص 132، فهل ابن القطان صاحب نظم الجمان واحد من الاثنين او ثالث لا نعلمه ؟ هذا ما لم يترجح عندي فيه شيء، ثم تبين أن المؤلف هو ابن ابي الحسن

وبعد ابن القطان نحاول أن نعرف من هو ابن صاحب الصلاة؟ إن هذه الكنية اطلقت على غير واحد من فضلاء الاندلسيين، ولكن صاحب التاريخ هو المترجم في التكملة عدد 1726 بالعبارات التالية: عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الباجي، يكنى ابا مروان وابا محمد، ويعرف بابن صاحب الصلاة، وهو صاحب التاريخ هذا ما كتبه ابن الابار في ترجمة ابن صاحب الصلاة، وهو ان لم ينص على تاريخ وفاته ولا ولادته، فقد ذكره بين تاريخ 580 وتاريخ 608، مما يدل على ان وفاته كانت بين التاريخين ، وكما لم ينص ابن الابار على ما ذكر، كذلك لم يبين نوع التاريخ الذي لابن صاحب الصلاة، ونرى المقري في النفح ينقل عنه في (1) 484 باسم تاريخ للموحدين ، وفي (2) 136 يذكره باسم تاريخ في الدولة اللمتونية ، وجمعا بين كلام النفح، نرجح أن له تاريخين: في دولة المرابطين وفي دولة الموحدين، أو أن له تاريخا واحدا يتناول الدولتين ،

والظاهر ان هذا التاريخ او تاريخ الموحدين، هو الذي يسميه مؤلف الانيس 114 و 116 : كتاب المن بالإمامة .

ونختم هذا الموضوع بذكر ترجمة مؤرخ لهذا العهد يحليه في الأنيس بمؤرخ دولة الموحدين، ويذكره بالقاضي ابي الحجاج يوسف ابن عمر، وقد وقفت له على ترجمة قصيرة في التكملة رقم 2826 ، وعبارتها : يوسف بن عمر منسوب إلى جده الاموي من اهل اشبيلية يكنى أبا الحجاج، له تاريخ .

ولم يذكر له وفاة ولا ولادة، ولكنه أورده بين سنة 605 ونحو سنة 620 ،فتكون وفاته بين التاريخين ، ونجد النقل عن تاريخ ابي الحجاج في التكملة 1207، مسميا والده هناك غمر بالغين المنقوطة .

الجغرافيا

وكانت للجغرافيا دولة أيما دولة في هذا العهد، بما توافر من السائحين والجغرافيين والجغرافيات، وبما اكتشف فيه من المجاهل ، وظهر فيه من الأفكار الجغرافية المبكرة.

ومما أذكى هذه النهضة: أن بعض خلفاء وأمراء الموحدين كان لهم - بدورهم - ذوق جغرافي خاص، ظهر في كثير من ملاحظاتهم ومخاطباتهم ومجالسهم، ومن هذا: أنه لما قال الخليفه يوسف بن عبد المومن لأبي عمران موسى بن سعيد العنسي، ما عندك في قرطبة ؟ قال له: ما كان لي أن أتكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها؛ فقال الخليفة: إن ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة: الديار المنفسحة الكبيرة، والشوارع المتسعة، والمباني الضخمة المشيدة، والنهر الجاري، والهواء المعتدل، والخارج الناضر، والمحرث

العظيم، والشعراء الكافية، والتوسط بين شرق الأندلس وغربها. قال:
فقلت ما أبقى لي أمير المؤمنين ما أقول، النفح (1) 75 .

وقال الخليفة يعقوب المنصور لأحد رؤساء أجناد الاندلس ما تقول في قرطبة؟ فخاطبه على ما يقتضيه كلام عامة الأندلس بقوله: جوفها شمام، وغربها قمام، وقبلتها مدام، والجنة هي والسلام. ـ المصدر (1) 75 ، وقال تاج الدين ابن حمويه السرخسي ـ حاكيا عن يعقوب المذكور ـ وقال لي يوما: كيف ترى هذه البلاد؟ وأين هي من بلادك الشامية؟ فقلت له: يا سيدنا بلادكم حسنة أنيقة مجملة مكملة، وفيها عيب واحد، فقال: ما هو؟ فقلت: إنها تنسي الأوطان؛ فتبسم وظهر إعجابه بالجواب، وأمر لي من غد بزيادة رتبة ، النفح (2) 100.

وقيل للسيد أبي يحيى أخي السلطان يعقوب لما انفصل عن ولاية قرطبة : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ فقال: مثل الجمل، إن خففت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلته صاح، ما ندري أين رضاهم فنقصده، ولا أين سخطهم فنتجنبه ، نفح (1) 75 ، وجرت مناظرة بين يدي يعقوب المنصور بين الفقيه أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة: ما أدري ما تقول، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية ، المصدر المذكور(١) ٧٥ .

وكانوا يهدون لأمراء الموحدين رسائل من هذا النوع، ومن هذا رسالة تتضمن المفاضلة بين بلاد الاندلس خاطب بها أديب الاندلس ابو بحر صفوان ابن ادريس الأمير عبد الرحمن بن الخليفة يوسف بن عبد المومن، وقد أوردها بنصها في النفح (1) 80 ـ 83، وإن قصة التفضيل

بين المغرب والاندلس جرت في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى ابن ابي زكرياء صهر ناصر بنى عبد المومن ، وبأمره كان تدوين هذه المفاضلة ، ارجع إلى النفح : (2) 138 ـ 155 .

وإلى جانب هذا فإن ملوك الموحدين قاموا بأعمال كان لها أثر في تشجيع الرحلات والأبحاث الجغرافية، مثل توطيد الأمن بالمغرب حسبما تقدم (ص17)، ومثل بناء المنازل من السوس الأقصى الى سويقة بني مطكود ـ قرطاس 138 ، ومثل ما قاموا به من تكسير بلاد المغرب وأفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الاقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا ، قرطاس سنة 554 ـ ص 126 ، ومثل حركة الإحصاء التي كانوا يقومون بها ، وحافظ لنا ابن ابي زرع ـ ص 26 ـ وغيره على نوع منها ـ بفاس ـ يعطينا أنموذجا من الإحصاء الذي كانوا يقومون به في سائر المغرب بعد فاس .

السياحة

وكان للمغاربة غرام خاص بالسياحة ، وولوع بالتجول في الأرض: طولها والعرض، شأن العرب إبان نهضتهم الكبرى ، وشأن الغربيين في نهضتهم الحالية ، وقد شهد لهم بهذا الاهتمام بالرحلة والتجوال غير واحد ، نذكر منهم ـ الآن ـ الاستاذ برانشفيك الذي قال في مقدمة كتابه عن رحلة عبد الباسط : ومن الطبيعي أن ينتج المغرب الإسلامي مؤلفي الرحلات بوفرة عظيمة ، وينبغ به عدد جم من الرحالين الذين أثبتوا مشاهداتهم وتاثراتهم في تصانيف قيمة ، فإن الأندلسيين والمغاربة كانوا يشعرون بدافع شديد ينزع بهم الى كتابة ذكرياتهم ، وتسجيل ما يختلج بأنفسهم عن رحلتهم الى الشرق بقصد طلب العلم واداء فريضة الحج.

وقد كانوا يشدون الرحال الى الشرق بقصد زيارة البقاع المقدسة أولا ، وبالجاذبية القاهرة التي تستقدمهم كالمغناطيس لزيارة مراكز الدين، ومعاهد العلم الكبرى مثل مصر وسوريا والعراق، وقد نبغ هؤلاء في جميع العصور . (من مقال نشره العلامة البحاثة الاستاذ عثمان الكعاك بمجلة الثريا السنة الاولى عدد (11) .

وما ذكره حضرة الأستاذ برانشفيك من أن المغاربة كان يدفعهم للرحلة للشرق طلب العلم واداء فريضة الحج، نلاحظ عليه أولا: أن سياحة المغاربة ـ في هذا العهد وغيره ـ لم تكن المشرق دائما وأبدا ، بل كانوا يقصدون نواحي أخرى غير الشرق ، وسنذكر كثيرا ممن رحلوا للسودان وسائر البلاد الأخرى .

ثانيا: أن دافع المغاربة للرحلة ليس هو العلم والحج فقط، بل كما كانوا يرحلون لهذين،كانوا يسيحون للتجارة، ومنهم من كان يرحل للبحث والاكتشاف أو للسفارة، ومنهم ملوك رحلوا بدافع الغزو والجهاد، أو التفقد والتعهد، وممن رحلوا في هذا العهد للبحث والاكتشاف. كما سياتي لنا ـ الإدريسي، والمراكشي، وصاحب الاستبصار، وابن فاطمة.

أما سياحات المغاربة للتجارة في السودان وسائر البلاد الأخرى فمن شواهدها قول الشريشي في شرح المقامات : وبها ـ غانة ـ من تجار المغرب كثير ، يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجر، ويقول الادريسي في النزهة عن أهل أغمات : وهم أملياء تجار مياسير، يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال، الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الاحمر والملون، والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر، وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار، وضروب الأفاويه والعطر، وآلات الحديد.

وفيها ايضا ، لدى كلامه على سبتة: ويصاد بمدينة سبتة شجر المرجان، الذي لا يعدله صنف من صنوف المرجان المستخرج بجميع أقطار البحار، وبمدينة سبتة سوق لتفصيله، وحكه وصنعه خرزا، وثقبه وتنظيمه، ومنها يتجهر به إلى سائر البلاد.

وكان الموحدون جدا يشجعون السياحة التجارية، ومن امثلة هذا ما جاء في النفح (2) 100 ـ من رسالة للامير الموحدي ابي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن إلى ملك السودان بغانة،ينكر عليه تعويق التجار، ومما جاء في هذا الكتاب: وقد بلغنا احتباس مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده، وتردد الجلابة الى البلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية، لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق ونأتي مثله.

السياحة البحرية

ولا ننسى أن ننبه هنا إلى أنه نشطت في هذا العهد السياحة البحرية نشاطا كبيرا، حتى إنه بلغت أساطيل المسلمين على هذا العهد من الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا من بعد، انظر ما سيأتي عن مقدمة ابن خلدون في مبحث الفنون ، وهنا إلفات نظر لا بد منه، وهو أن العلامة سارطون في مقدمته لتاريخ العلوم،يثبت أن البحارة المسلمين ـ على الأرجح ـ هم أول من استعمل خاصية الاتجاه المغناطيسي في عمل الابرة في الاسفار البحرية، حسبما نقله بعض الباحثين عن المقدمة المذكورة، (1) 741، فاذا لاحظنا تفوق المغاربة في البحرية على هذا العهد، نرى أنه لا يبعد أن يكونوا استعملوا بيت الابرة في عهد الموحدين.

الجغرافيا والجغرافيون

(1) الشريف الادريسي السبتي

1166 = 562 — 1100 = 494

خرائطه - مؤلفاته

هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي السبتي، من نسل الامام ادريس الفاتح العربي الشهير، ولد بسبتة - أو تطوان سنة 494 =1100، وتوفي في صقلية نحو سنة 562 = 1166.

إننا لا نعلم شيئا عن نشأة الادريسي وأساتذته، وإنما نعلم أنه بدأ اسفاره وهو في 16 سنة من عمره، وأخذ في قرطبة عن علمائها، فاشتهر في معرفة الهيئة، والجغرافيا، والفلسفة، والطب، والنجوم، وقرض الشعر، ولقد كانت سلسلة تلك الأسفار التي بدأها الإدريسي في حداثة سنه طويلة جدا، فقد سافر إلى بقية بلاد الاندلس، ومصر، وشمال أفريقيا وتغلغل فيها، وساح في آسيا الصغرى والقسطنطينية، ودرس خصائص أهل هذه البلاد وعوائدها، كما طاف في سواحل فرنسا وانكلترا، وبعد هذا توجه قبيل سنة 533 = 1138 إلى صقلية بدعوة ملكها روجر الثاني ملك صقلية وايطاليا وانكردة وقلوية، كما يحليه بهذا الادريسي طالعة النزهة.

(1) الخريطة الحائطية: وقد رغب روجر من الإدريسي أن يرسم له خريطة عالمية كاملة، يبين فيها مواقع البلدان والبحار والأنهار والجبال الى غير ذلك، فرسم له الإدريسي هذه الخريطة الحائطية وفق رغبته.

(2) المائدة الفضية - او الخريطة الأرضية : ثم رغب منه ثانيا ان تحفر هذه الخريطة على لوح من الفضة، فأحضر روجر الصناع المهرة الذين اتقنوا هذا العمل تحت رعاية الإدريسي ورقابته.

وبعد أن جعل الملك مقدار 400 ألف درهم من الفضة - كما روى خليل الصفدي - تحت تصرف الإدريسي لهذا الغرض، اتخذ الادريسي أقل من ثلث المقدار مائدة مستطيلة، يبلغ طولها - كما قدر الاستاذ ميللر - ثلاثة أمتار ونصفا، وارتفاعها مترا ونصف متر تقريبا، ثم حفر عليها بواسطة الصناع المهرة خريطة بغاية الدقة والإتقان، وتمام الموافقة لتلك الخريطة التي رسمها من قبل، وكتب على هذه الخريطة الفضية بأحرف عربية كل ما عرفه من البلدان المختلفة. ولقد بلغ ثقل هذه المائدة الفضية نحو 140 كيلو غرام، وكان الفراغ من هذا العمل الجليل في يناير 1154م.

(3) كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وكشرح للخريطتين، وتعليق عليهما، ألف الادريسي كتابه هذا، وهو يقسم - فيه وفي الخريطة - الأرض المعروفة - اذ ذاك - إلى سبعة أقاليم او مناطق، ثم يقسم كلا من هذه إلى عشرة أقطار متساوية (1)، فجاءت 70 قطرا، ضمنها 70 خريطة، لكل قطر خريطة، وطريقه في هذا التقسيم: أنه ابتدأ بوصف القسم الأول من الإقليم الأول، متدرجا من الشرق إلى 10، ثم عاد إلى القسم الأول من الإقليم الثاني متدرجا الى العشرين، وهكذا سار في طريقه إلى أن تم الكلام على القسم الأخير من الكرة، وهو القسم السبعون، وعند كلامه على كل

---

(1) هذا ما يقوله هذا المصدر، أما المعلم البستاني في دائرته (2) 675 والدكتور يوسف شغث - في مقال له نشره بمجلة المستمع العربي (3) 15 - فيثبتان أن الإدريسي قسم كل إقليم الى أحد عشر جزءا - لا عشرة، حيث اصبح العالم المعروف اذ ذاك يتكون من 77 جزءا او قطرا.

قسم منها حدده وبين موقعه، وتكلم عن مدنه وجباله، وبحاره وأنهاره، وعن كل ما يحويه من ماء ويابس، وعن الدول التي تشغله، وعن سكانه وجنسياتهم وعاداتهم، وعما يعيش فيه من حيوان، وما ينبت من نبات، مبينا كثيرا من خواص ذلك، طبيعية وطبية، وقد وصف البحار وصفا مسهبا دقيقا، ووصف جزرها والبلاد التي تقع عليها،إلى غير ذلك.

ومما يذكر للإدريسي بالإعجاب،أنه حاول بتقسيمه الارض إلى الأقاليم السبعة إثبات درجات العرض وتحديدها، وإنه افلح فى هذا إلى حد كبير، ولقد أثبت درجات العرض بعد قياسات صحيحة مطابقة للواقع،بمقدار يدعو المقدر للخريطة الإدريسية علميا إلى أن ينظر لها بعين الاكبار والإجلال.

أما خطوط الطول فقد ترك الإدريسى إثباتها عن قصد، إذ تبين له أن مقادير المقاييس التي وصلت إليه غير صحيحة، ولأنه لم يتيسر له - بعد - إجراء قياسات أرضية لبيان درجات الطول، وقياس الكرة السماوية - ولئن كان فى الاستطاعة - فإنه لا يعطى نتيجة مقطوعا بها

وخريطة الإدريسى تمثل القسم المعمور، وهو القسم الشمالي من الكرة الأرضية، وأضاف الإدريسى إلى القسم الشمالي من الكرة الأرضية، جزءا بسيطا من القسم الجنوبي الى درجة 16 جنوب خط الاستواء، هذا الجزء الذي تقع فيه منابع النيل، حيث يبين عليه منابع النيل بشكل واضح، يدل على مقدار براعته العلمية، وقد مد من الساحل الشرقي لأفريقيا نحو الشرق، وجعله حد المحيط الهندي من جهة الجنوب، ولم يلق هذا الجزء عناية من الإدريسي لخلوه من السكان...

كذلك لم يثبت الادريسي درجات العرض إلى درجة 28 شمال خط الاستواء، وإنما اكتفى بوضع أرقام بجانب أسماء البلاد التي تقع في هذه المنطقة.

مآل الخريطتين والكتاب

المائدة الفضية:

ولقد ضاعت هذه المائدة خلال الثورة التي قامت سنة 555 = 1160م على ابن روجر (فلهلم)، كسرها الثوار واقتسموها فيما بينهم.

الخريطة الحائطية:

وكما ضاعت المائدة الفضية، كذلك فقد الأصل للخريطة الحائطية، وانما بقيت أجزاؤها موجودة في قطع متفرقة داخل كتاب نزهة المشتاق، موزعة في السبعين قطعة التي هي أقسام الأقاليم، أو مستقلة بذاتها، ومجموع هذه القطع الموجودة إلى الآن يبلغ 255 قطعة، كما ذكر الاستاذ ميللر - توجد بمكاتب باريس، واكسفورد، وأستانبول، ولينغراد، والقاهرة

وعن هذه القطع استخرج الأستاذ ميللر خريطة تامة مشتبكة الاجزاء، وطبعها طبعة ملونة سنة 1928، وهي أول طبعة لها، وتتضمن هذه الخريطة من أسماء المدن فقط، التي كانت مائجة بالعمران في ذلك العصر 2064 اسما، (365) بأفريقيا،(740) باوربا،(959) بآسيا.

وهناك خريطة أخرى تدعى الخريطة الادريسية الصغيرة طبعها ميللر كذلك في مجموعته، وهي ليست للإدريسي وانما هي لابنه محمد، وضعها سنة 588 = 1192م واسمها روض الفرج.

ولقد وجدها بعض الباحثين في استامبول في 73 قطعـة، وإذا وازنا بينها وبين خريطة والده، فإننا نجده قد أخذها صـورة طبـق الأصل عنها بشيء يسير من التغيير، ومع هـذا فقـد فاقته عنايـة والده في الرسم.

نسخ النزهة المخطوطة

كانت توجد نسخة كبيرة لها في دير الإسكوريال، فتلفت في حريقه، ويقول المعلم البستاني في الدائرة بعد هذا : إنه كان مـع غريو في انكلترا النسخة الأصلية بكمالها مع عدة خارطات متقنـة الرسم، وإنه حصل المعلم باكوكا على نسختين عظيمتين منـهـا، اتـى بهما من مصر.

أما النسخ المعروفة الآن من كتاب الادريسي، ففي مكتبة باريس مخطوطان، واكفسورد مخطوطان، واستامبول مخطـوط واحـد في ايا صوفيا، وعن هذا المخطوط الأخير نقل المرحوم زكي باشا نسخـة مصورة بالفوتغراف محفوظة في دار الكتب المصريـة، كما يوجـد بمكتبة القرويين جزء منها متضمن للخرائط والرسوم، وقد غـاب هذا الجزء عن علم كثير من الباحثين في هذا الموضوع، كما أن خرائطه غابت عن علم الاستاذ فيللر.

ما طبع وترجم من النزهـة

لم تطبع النزهة طبعة كاملة مع رغبة الأوربيين فيها وحاجتهم اليها، وأول ما طبع منها مختصـرها العربي، طبع في رومـا سنـة 1001 = 1592م في صحائف 326، بعنوان نزهـة المشتاق في ذكر

— ٢ — ...

الأمطار والاقطار، والبلدان والجزر والمدائن والآفاق، وهو أول ما طبع بالعربية، ونشر بباريس سنة 1029 = 1619 م ترجمة هذا المختصر اللاتينية الناقصة التي قام بها المارونيان جيربيل سيونيتا، وجون هرنيتا، كما ترجم أصل الكتاب الى الفرنسية عن نسخة مكتبة باريس الملكية ترجمة كثيرة الخطأ، قام بها امديه جوبير، ونشرت الترجمة سنة 1252 = 1836 ـ 1256 = 1840.

وقد نشرت من النزهة أقسام بالعربية وغيرها على حدة، فطبع بالعربية المعلم باكوكا المبحث الذي يتعلق بمكة المشرفة مما استخرجه من النسختين اللتين اتى بهما من مصر، ثم أعاد طبع هذا المبحث ثانيا المعلم قاسيري، وطبع قسم من هذا الكتاب في بانور سنة 1205 = 1790، كما طبع القسم المختص بالأندلس تحت إسم ذكر الأندلس، تاليف شريف الادريسي مع ترجمة كوندي له الى الاسبانية، مدريد 1214 = 1799 ، صحائف 234، 20.

وطبع أيضا في مدريد ومعه ترجمة إسبانية سنة 1299 = 1881، وطبع ميللر وصف الشام وفلسطين في ليبسيك 1244 = 1828، وطبعت القطعة نفسها في 1303 = 1885ـ صحائف 28، وطبع دوزي قسما منها فيه صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، ومعه مقدمة وترجمة وفهرس الاسماء، وشرح الكلمات الاصطلاحية الموجودة في الكتاب، وكلها بالفرنسية، وسمى الكتاب: صفة المغرب والسودان؛ ماخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن 1281 = 1864- صحائف 23، 391، 242، وكذلك طبعت قطعة تشتمل على مقدمة وصف البلاد التي هي الآن مملكة ايطاليا، ومعها ترجمة ايطالية، وشروح وتعاليق، روما 1296 = 1878 ـ صحائف 15، 156، 144، ونشر منه العلامة الالماني هارتمان قطعا اخرى.

مميزات الخريطة وشرحها

إن الخريطة الإدريسية أقدم خريطة عالمية يعرفها التاريخ، وانها قد امتازت مع شرحها بالمميزات الآتية:

1) تجنب الإدريسي ذكر الخرافات التي كانت شائعة في العصر المتوسط، والتي تورط في ذكرها غيره من المؤلفين.

ولقد كان من حنكته أنه إذا ذكر شيئا خارجا عن حدود العادة نسبه إلي ناقله، ثم أعقبه بكلمة احتياط كقوله: والقادر على كل شيء أعلم بما في هذا من الحقيقة؛ ولم يرسم ما كان شائعا عند علماء الجغرافية مما يمثل الغرائب الخرافية، وطبعا كان لتعاليم الإسلام الفضل الأكبر في هذا.

2) انفردت الخريطة الادريسية بأنها هي الخريطة الوحيدة التي تعطينا صورة صحيحة عن البلاد الواقعة حول البحر القزويني وصحراء العجم، في مدة من الزمن تبلغ نحو قرن، هذه المدة التي لولا خريطة الإدريسي لظلت حلقة مفقودة في تاريخ هذه البلاد.

3) ان خريطة الادريسي وحدها هي التي مثلت لنا دولة الإسلام العربية وهي في عصرها الذهبي قبل ان تجني عليها ايدي التتار الأثيمة.

ملاحظتان

1) لا ينبغي أن يفهم من وصف المائدة الفضية بالاستطالة ص 79 ما يفهمه ظاهر هذه العبارة: من أن لها طولا وعرضا، بل الواقع أنها كانت مستديرة، وممن صرح بهذا الأستاذ سيديو في خلاصة تاريخ العرب ص 229، والأستاذ جرجي زيدان في مختصر آداب اللغة العربية 184، ولكن استدارتها كانت على شكل اهليلجي على هيئة البيضه، وهذا هو المراد باستطالتها حسب مذهب الإدريسى في تكوير الأرض، فإنه كان يعتقد أن الأرض مكورة على شكل بيضوي، ومما يؤكد هذا: أن الأستاذ ميلر لم يقدر عرض المائدة الفضية، وانما قدر طولها قاصدا به تقدير محيطها.

2) شاع في غير ما كتاب: أن المائدة الفضية هي أول كرة عرفها التاريخ، وهذا كلام مخالف للواقع، ومما يرده ما أثبته العلامة درابرد الأستاذ بجامعة نيورك الامريكية في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : أنه كان بالمكتبة الفاطمية بالقاهرة كرتان أرضيتان: أحداهما من الفضة، والأخرى من البرنز، قيل ان الأولى صنعها بطليموس الفلكي نفسه، وإنها استدعت ثلاثة آلاف كورون (نقود يونانية) من الذهب، اه. نقله في الدائرة الوجدية - 8 - 586 و 587، وفي غير هذا المكان.

وأصل هذا الكلام لابن القفطي في أخبار الحكماء ص 286، فقد نقل في ترجمة ابن السنبدي عنه: أنه عاين في مكتبة الفاطميين كرة نحاس من عمل بطليموس وعليها مكتوب: حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية، قال: وتأملنا ما مضى من زمنها فكان 1250 سنة، وكرة أخرى من عمل أبي الحسين الصوفي للملك عضد الدولة، وزنتها ثلاثة آلاف درهم، فداشتريت بـ 3000 دينار.

ثنـــاء علماء الجغرافية على الخريطة الادريسية وشـرحهـــا

وهذه كلمات تقدير وتنويه للخريطة الادريسية وشرحها صدرت عن كبار علماء الجغرافية، نثبتها فيما يلي:

ان كتاب الادريسي لا يمكن أن يوازن به اي كتاب جغرافي سابق له، وان ثمت بعض اجزاء من المعمورة لا يزال هذا الكتاب دليل المؤرخ والجغرافي في الأمور المتصلة بها. البارون دي سلان:

في عدد ابريل سنة 1841 من المجلة الاسيوية الفرنسية

ان روجار الثاني والادريسي بوضعهما هذه الخريطة قد وضعا أهم حجر أساسي في انتشار العلم الإنساني. كوزاد ميللر.

في خاتمة بحثه عن كتاب نزهة المشتاق.

وسيذكر إسم الإدريسي ويخلد. إن لم يكن لخدماته في سبيل النهوض بالعلم، فللتقدم العظيم الذي يمثله مجهـوده فـي ميـدان الجغرافيا العلمية، وحصافة رأيه، وتجرده من التحيز، وموقفـه الانتقادي الدال على ذكاء نحو اسلافه. الدكتور يوسف شخت:

من مقال له عن الادريسي بمجلة المستمع العربي السنة (3) العدد 15.

ولقد كانت جغرافية الشريف الادريسي معول أهل اوربا في تقويم البلدان أجيالا، ولا سيما عن بلاد الشرق، وقد رسموا خرائطها وتناقلوها وترجموها الى السنتهم. جرجي زيدان: في تاريخ الآداب العربية.

تركت ـ خريطة الادريسي ـ أثرا واضحا في المؤلفات والخرائط الجغرافية التالية لهذا العصر في الشرق والغرب، وظلت مـع شرحها

مآت السنين المرجع الوحيد لعلماء الجغرافيا من العرب والافرنج، ومعينهم الذي يستمدون منه معلوماتهم محمد عبد الله ماضي:

في مقال نشر بمجلة الرسالة (مج) 2 عدد 65.

تتمة مؤلفات الإدريسي الجغرافية

4) روضة الانس ونزهة النفس - أو كتاب المسالك والممالك - وهو نسخة كبيرة منقحة من نزهة المشتاق، وضعها الادريسي لابن روجر الثاني (غليوم الاول) 1154 - 1166م.

وقد فقد هذا الكتاب ولم يبق منه إلا بعض مقتبسات اقتبسها أبو الفداء عند كلامه على الجغرافية العربية، كذلك حدث عنه الشاعر الاندلسي ابن بشرون، وذكر أن الإدريسي ألفه سنة 557 = 1161.

5) أنس المهج وروض الفرج - أو روض الفرج ونزهة المهج - كتاب جغرافي صغير، اختصره الإدريسي من الكتاب قبله، وهو لا يزال باقيا إلى اليوم، محفوظا في مكتبة حكيم اوغلو علي باشا باستانبول رقم 688، وكان أول من أشار إليه هروفتز عند ما كان ينقب في مكاتب استانبول باحثا عن مخطوطات في التاريخ.

والغالب أن خريطة ابن الادريسي المارة الذكر، ص 81 والمسماة روض الفرج، هي خريطة لهذا الكتاب كما يشير لهذا موافقة اسمها لاسم الكتاب [1]

(1) رجعت فيما كتبته من الادريسي وآثاره زيادة على المصادر التي صرحت بالنقل منها: الى دائرة المعارف البستانية (2) 674 - 675 ودائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3) وتاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان (3) 84 - 86 وتاريخ سوريا للمطران يوسف، وكتاب الرحالة للسلمون في العصور الوسطى للدكتور زكي محمد حسن، 64 - 67 ومجلة الرسالة السنة الثانية، أعداد 64 - 66، ومجلة المستمع العربي السنة الثانية، عدد (15) وبرنامج مكتبة القرويين، وتحسن مقارنة هذه الصفحات عن الإدريسي، بما نشر عنه في مجلة دعوة الحق: السنة 9، العدد 8

الجغرافيون المغاربة الـآخرون

أما بقية الجغرافيين المغاربة فمنهم:

2) صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار؛ ممن نشأ بالمغرب. يدل لهذا ما ذكره عند حديثه عن مراكش: أنه كان أيام عبد المومن يعوم هو (ورفقاؤه) في البحيرة التي غرسها هذا الخليفة غرب مراكش، وأنه لا يكاد القوي منهم يقطع الصهريج إلا عن مشقة، وكانوا يتفاخرون بذلك

ونحن نعلم أن العوم في هذه البحيرة من جملة ما ربى به عبد المومن الحفاظ : صغار الطلبة - فقد كان ياخذهم يوما بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه، الخ ما في الحلل الموشية ص 114

فاذا لاحظنا هذا وذاك، نستنتج استنتاجا لا غبار عليه أن مؤلف الاستبصار ليس من اهل المغرب فحسب، بل من حفاظ الموحدين، ثم إذا لاحظنا بعد هذا أن حفاظ الموحدين لما أتموا دراستهم عزل بهم عبد المومن اشياخ المصامدة وولاهم الولايات كما في الحلل ايضا ص 114 ، فإذا لاحظنا هذا يترجح أن صاحب الاستبصار لا بد ان تكون له وظيفة في الدولة الموحدية، وقد يكون توظيف بفاس لما يفهم من كتابه الاستبصار أنه كان وقت تاليفه سنة 587 بفاس.

وبعد هذه اللمحة القصيرة عن المؤلف ننتقل الى المؤلّف، ونبين أنه يتنـــاول البلاد ومسافاتها، وطبائعها، وعـادات اهلها، يبدؤ بطرابلس الغرب ففاس، والقيروان وتاريخها، وما يليها من البلاد، مثل صبرة، ورقادة، وسائر مدن المغرب، وهو جزيل الفائدة، ومنه نسخ

مخطوطة محفوظة بالرباط والجزائر، وفيينا، وبهذه المدينـة الاخيـرة طبع طرف يسير منه سنة 1856، وترجم الى الفرنسية وطبع سنة 1910.

3) عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي - 581 = 1185 - 625 = 1228، ختم كتابه المعجب في تلخيص اخبار المغـرب بنبـذة غير مطولة، ذكر فيها أقاليم المغرب وعين مدنه، وحدد ما بينهما مـن المراحل عددا: من لدن برقة إلى السـوس الأقصـى، وذكـر جزيـرة الأندلس وما يملكه المسلمون من مدنها، كما ذكر معادن المغرب وأنهاره العظام، مـع الأنهـار الـكبـار المشهـورة بالأنـدلـس، وهـو مطبوع مترجم.

4) أبو علي المراكشي، وهو وإن اشتهر في الحساب والفلك، فقد كان له اعتناء بالجغرافيا، حسبما يوخـذ مـن خـلاصة تاريخ العرب لسديو ص 230.

5) ابن فاطمة: الغالب أنه مغربي، أخذا ممـا جـاء عنـه أنه قام برحلة بحرية جنوبي مراكش، وغرقت السفينة التي كان فيها عند الرأس الابيض (جنوبي المستعمرة الاسبانية التي تعـرف الآن بـاسـم ساحل الذهب)، بعد أن توغل في كشف الساحل الأفريقي الغربـي الى أبعد مما كان معروفا عند الأوربيين حينذاك، والظاهر أن ابن فاطمة قام بأسفار طويلة في أفريقية. ولعله كتب أخبار هذه الرحلات، ولكن شيئا من آثاره لم يصل إلينا، ما خلا الذي نقله عنه ابـن سعيد حين أشار إليه في أكثر من موضع واحد - الرحالة المسلمـون 122.

6) المسالك والممالك للمراكشي، هكذا ذكره فـي كـشـف الظنون (2) 423، وقبله ذكره ابن الوردي في طليعـة خريدتـه (3) كمصدر من المصادر التي رجع إليها، وبين العلامة المؤرخ عباس بـن

ابراهيم في مقدمة الإعلام (1) 140 هذا المراكشي بانه ابن عذارى
والغالب أن هذا إنما هو مجرد فهم فهمه الأستاذ المذكور، فإنه لم
يؤكده بنص يستند إليه، والظاهر ان المراكشي مؤلف المسالك
هو الشريف الادريسي، فقد تقدم لنا أن من جملة تآليفه: كتاب المسالك
والممالك، وهذا وإن كان يبعده وصف المؤلف بالمراكشي
مع أن الإدريسي سبتي بلدة وشهرة، فإنه يقربه أن الإدريسي هو
المغربي الوحيد الذي عرف له كتاب المسالك والممالك.

7) عبد الرحمن بن هرون المغربي: ممن سافر إلى الصين وأقام
به وبجزائره مدة طويلة حتى صار يعرف بالصيني، وكان صاحب
غرائب، واتصل بالحافظ ابن الجوزي المولود والمتوفى نحو 508 ـ 597
وذكره في كتابه المسمى بكتاب الحيوان، انظر خريدة العجائب
76 ـ 77 ـ 97، وهذا الأخير لا اجزم بمغربيته الأقصوية، لما أن مادة
(مغربي) مشتركة اشتراكا واسعا، وانما ذكرته ليحتفظ به ويبحث
عن نوع مغربيته.

* * *

أمثلة اخرى لنهضة الجغرافيا بالمغرب

ونتبع الحديث عن الجغرافيين والجغرافيات بما ظهر في هذا
العهد من الأفكار الجغرافية المبكرة، وما اكتشف من الاكتشافات
الهامة وما إلى ذلك:

هل قال المغاربة في هذا العصر بدوران الارض ؟

جاء في عقود الجمان للشطيبي (خ): ان المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، كان كثيرا ما ينشد بيتي القاضي عبد الوهاب:

ومن اعجب الأشياء أنك قاعد على الارض في الدنيا وانت تسير

وسيرك ياهذا كسير سفينة بقوم قعود والشراع تطير

فهل يدل هذا على أن ابن تومرت كان يعتقد حركة الأرض؟ وهل يوخذ منه أنه كان يقول بفكرة دورانها؟ إن الجواب عن هذا بالإيجاب هو الظاهر، وهو الذي يفيده ترنمه بالبيتين، وكثرة إنشاده لهما، وأضيف إلى هذا: أن غير ابن تومرت من المغاربة قد يكون مال الى هذه الفكرة.

ومما يشير لهذا، أن محيي الدين ابن العربي الحاتمي، قرر في باب معرفة بدء الجسوم الإنسانية من الفتوحات (1) 123 - دوران الأرض حول نفسها، وقال: غير أن حركة الأرض خفية عندنا، وحركتها حول الوسط لأنها اكرة.

ومفهوم من ترجمة ابن العربي أنه دخل غير مدينة من مدن المغرب مثل سبتة، وفاس، ومراكش، وأفاد بكتبه وأفكاره، التي لا يبعد ان يكون في ضمنها قوله بحركة الارض، وان يكون بعض المغاربة الذين اتصلوا به استفادوا منه هذه الفكرة، وقالوا بقوله فيها، فإذا ثبت هذا يكون المغاربة سبقوا عضد الدين الايجي، الذي صرح بها في كتابه: المواقف؛ وبالتالي مهدوا السبل لكوبرنيس وغاليلوا للتوسع في هذه الفكرة.

وهل تخيلوا وجود أمريكا؟

يذكر العلامة المؤرخ بيرم التونسي في كتابه صفوة الاعتبار (1) 85 ما ياتي: نقل لي ثقة أنه رأى في بعض كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي، ان وراء المحيط أمماً من بني آدم وعمرانا. وينقل ابن خلدون في المقدمة ص 44 عن ابن رشد الثاني انه كان يقول: أما ما وراء خط الاستواء في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال، فيعمر منه ما عمرمن هذا؛ وابن رشد ايضا ممن أقام بمراكش من المغرب مدةوبه توفى.

فلا يبعد ـ بعد هذا وبعد ما ذكرنا آنفا من مقام ابن العربي بالمغرب ـ أن بعض المغاربة الذين اتصلوا بابن العربي أو بابن رشد رأى مثل رأيهما، وتخيل وجود امريكا كما تخيلاها.

ومما يزيد المسألة تأكيدا أن الشريف الادريسي السبتي قص في نزهته خبر الإخوة المغروريين الذين لججوا في المحيط الاطلانطيكي ليعرفوا ما فيه، وإلى أين انتهاؤه،حيث وصلوا إلى بعض جزر الانتيل بين امريكا الشمالية والجنوبية.

فاذا تحقق هذا فان المغاربة سبقوا في هذه الفكرة سلطان غانة الذي حاول ان يعرف غاية الاطلانطيكي، وأبا الثناء محمود الاصفهاني وقطب الدين الشيرازي اللذين تخيلا بدورهما وجود امريكا، وأخيراً مهدا السبيل للبحار الجنوي كريستوف كولومب؛ الذي ابتدأ على يده اكتشاف امريكا.

مغربيان يكتشفان منابع النيل في هذا العهد

ومما يفتخر به هذا العصر، أنه فيه عرفت منابع النيل لأول مرة في تاريخ الإسلام، واكتشفت على يد مغربيين صيميين.

وأول هذين المغربيين: هو الشريف الادريسي، فقد ذكر في نزهته منابع النيل عند خط الاستواء بكيفية واضحة حسبما سلف لنا، وارجع إلى حسن المحاضرة (2) 183 - كما رسم في إحدى خرائطه منابع النيل وصورها بحيرات عند خط الاستواء، كالتي اكتشفها أهل التمدن الحديث، وهذه الخريطة محفوظة في متحف سان مرتين بفرنساء وقد أثبت صورتها الأستاذ جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية، وكتب تحتها: خريطة الادريسي نقلا عن نسخة خطية في متحف سان مرتين؛ رسمت 1160 .

أما المغربي الثاني، فهو أمير موحدي من آخر امرائهم، في مسالك الابصار (1) 68- : حدثني أقضى القضاة شرف الدين ابو الروح عيسى الزواوي: أن الأمير أبا دبوس بن أبي العلى أبي دبوس، ووالده آخر سلاطين بر العدوة من بني عبد المومن، حدثه أنه وصل إلى هذه البحيرة (حيث منبع النيل) في أيام هربه من بني عبد الحق ملوك بني مرين.

وإن هذين المغربيين سبقا باكتشافهما هذا أولئك الذين زعموا اكتشاف منابع النيل في القرن الماضي، مدعين أن الفضل في اكتشافها لاوربا، والواقع أن المغاربة في هذا الميدان سابقون وغيرهم لاحقون.

اكتشاف بعض مجاهل أفريقيا

كما أنه في هذا العصر اكتشف مغربي بعض مجاهل افريقيا، حسبما يدل لهذا ما سبق ص 89: أن ابن فاطمة توغل في كشف الساحل الأفريقي الغربي، الى أبعد مما كان معروفا عند الاوربيين حينذاك.

إنشاء المغاربة فرقا للكشفية

ومما يلحق بهذا مما يدل على علو كعب المغاربة في السياحة: أنهم الذين اهتدوا هم الأولون لتأسيس فرق رياضية أعطوها اسم الكاشف، فقد ذكر بعض الباحثين عن الخليفة الموحدي عبد المومن، أنه لما اجتاز الجواز الثاني للاندلس، وجد عقبة بن الحجاج والي الأندلس انشأ طائفة من الدرك (الفرسان) لتوطيد الامن في البلاد سماها بالكاشف، وعاين نظامها عبد المومن، وأعجب بها، فلما رجع إلى المغرب أحدث المدارس، وأسس فيها الألعاب الرياضية، وفرقا للكشافة أعطاها هذا الإسم، وطورها من حراسة الأمن إلى التربية والعمل على نشر الفضيلة وقمع الرذيلة.

وبهذا العمل يكون المغرب قد سبق اوربا لهذا الابتكار، ويكون عبد المومن هو المؤسس الأول للكشفية، وبادن باول الانجليزي الذي اشتهر عند الكثير انه المؤسس الاول لمناهج الكشفية، إنما له فضل تنظيم هذه الفرق، وبعث مناهجها في العصر الحاضر.

تأسيس ركب الحاج المغربي

ولئن دل ما سبق على اهتمام المغاربة بسياحة البحث والاكتشاف، فإن هذا يدلنا على اهتمامهم بنوع آخر من السياحة، وهو سياحة الحج إلى الاراضي المقدسة، وإن الفضل في الدعوة إلى هذه السياحة،يرجع للشيخ أبي محمد صالح المتوفى سنة 631، فقد كون الركب الحجازي لأول مرة في تاريخ المغرب، وكان مهما انتهى اليه أحد يطلب الانخراط في طريقته،يجعل أهم الشروط لقبوله إياه حج بيت الله الحرام، أو على الأقل يبرهن على أنه خدم طريق الحاج.

ولقد جعل من أصحابه كجمعية تبشيرية تدعو الناس لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، وتبني منازل لنزول الحجاج في ذهابهم وإيابهم. وكانت تبتدئ هذه المنازل من بلاد حاجة بالمغرب الأقصى إلى الاسكندرية، ولقد بث أصحابه في المراكز من آسفي إلى الحجاز، وجعل ولده السيد عبد العزيز بمصر حتى توفى، انظر المنهاج الواضح ـ 352 ـ 353 و 375 وآسفي وما اليه 99 ـ 100.

ويظهر أنه بسبب عمل أبي محمد صالح هذا تعددت ركاب الحج في المغرب، فكان زيادة على الركب الصالحي ركب سجلماسة، واقدم ركب وقفت عليه من هذا، هو الركب السجلماسي الذي وفد مع رئيسه الشريف السني المولى الحسن القادم، جد العائلة المالكة العلوية الشريفة . انظر الاشراف لابن الحاج (خ).

مظهر آخر من مظاهر ولوع المغاربة بالسياحة

ونشأ عن كثرة سياحة المغاربة، وهجرة بعضهم إلى خارج المغرب: أن خصصت لهم في غير ما جهة من جهات الأرض أماكن خاصة بهم، ووقفت أوقاف مقصورة عليهم، ومنحوا امتيازات لهم.

ومن أمثلة هذا ما قرأته في رحلة ابن جبير 21 ـ 22 : أن سلطان مصر صلاح الدين الأيوبي جعل مسجد ابن طولون الواقع بين مصر والقاهرة،مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر، قال ابن جبير: ومن أعجب ما حدثنا به أحد المتخصصين منهم: أن السلطان جعل أحكامهم إليهم، ولم يجعل لأحد يدا عليهم، فقدموا من عند انفسهم حاكما يمتثلون امره، ويتحاكمون في طوارئ أمرهم عنده،

ومن هذا أيضا ما جاء في الرحلة المذكورة ص 266 ـ لدى كلامه على دمشق: ومن مناقب نور الدين رحمه الله تعالى أنه كان عين للمغاربة الغرباء الملتزمين زاوية المالكية بمسجد الجامع المبارك أوقافا كثيرة،منها طاحونتان. وسبعة بساتين، وارض بيضاء.. وحمام ودكانان بالعطارين، وأخبرني أحد المغاربة الذين كانوا ينظرون فيه أن هذا الوقف المغربي يغل إذا كان النظر فيه جيدا خمسمائة دينار في العام، وارجع إليها ص 10 و 258.

نقلت كلام ابن جبير هذا الذي اختم به الحديث عن الجغرافيا، لما أن اهل المغرب الأقصى من مشمولات المغاربة في كلامه.

الـفـلـسفـــــــة

وكان لعلوم الفلسفة نفاق كبير في هذا العهد، وكان المغرب من الاقطار التي يفزع اليها في مشاكل الفلسفة، ومن شواهد هذا ان فردريك الثاني ملك ايطالية وجه مسائل فلسفية الى علماء سبتة ليجيبوا عنها؛ حيث ندبوا للجواب عنها الفيلسوف المسلم الكبير ابن سبعين 614 ـ 669 . وكان اذ ذاك بسبتة، ولقد انتدب هذا الفيلسوف المجواب عن تلك المسائل في كتاب عنوانه: «المسائل الصقلية» وقد اشتمل على 49 صفحة، وتوجد منه نسخة خطية في اكسفورد » نفح (1) 418 ـ 419. المستشرقون 17 .

وبصفة اخص؛ كان للفلسفة في ايام يوسف نهضة كبيرة» ويوسف نفسه كان على رأس المشتغلين بها المحبين لها، فقد طمح بهذا الخليفة ـ كما في المعجب 155 ـ شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة، فجمع كثيراً من اجزائها » انظر ما ياتي في مبحث خزائن الكتب .

وكما جمع كتب الفلسفة كذلك جمع اليه علماءها وفي مقدمتهم ابن طفيل الذي احبه هذا الخليفة حبا جما قال في المعجب 156 ـ 159 : ولم يزل يجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء، وخاصة اهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب، وكان ممن صحبه من العلماء المتفننين ابو بكر محمد بن طفيل احد فلاسفة المسلمين، كان متحققا بجميع اجزاء الفلسفة... قال ورأيت لابي بكر هذا تصانيف فى انواع الفلسفة من الطبيعيات والالاهيات وغير ذلك، فمن

رسائله الطبيعيات؛ رسالة سماها : رسالة حي بن يقظان، غرضه فيها بيان مبدأ النوع الانساني على مذهبهم، وهي رسالة لطيفة الجرم كبيرة الفائدة في ذلك الفن.

ومن تصانيف الالهيات؛ رسالة في النفس رأيتها بخطه رحمه الله، وكان قد صرف عنايته في آخر عمره الى العلم الالهي ونبذ ما سواه، وكان حريصا على الجمع بين الحكمة والشريعة، معظما لامر النبوة ظاهراً وباطنا، هذا مع اتساع في العلوم الاسلامية . . .

وكان امير المومنين ابو يعقوب شديد الشغف به، والحب له، بلغني انه كان يقيم في القصر عنده اياما ليلا ونهارا لا يظهر... ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الاقطار، وينبهه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم، وهو الذي نبهه على ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد، فمن حينئذ عرفوه ونبه قدره عندهم، اخبرني تلميذه الفقيه الاستاذ ابو بكر بندرود بن يحيى القرطبي قال: سمعت الحكيم ابا الوليد يقول غير مرة: لما دخلت على امير المومنين ابي يعقوب وجدته هو وابو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما، فاخذ ابو بكر يثني علي ويذكر بيتي وسلفي ويضم بفضله الى ذلك اشياء لا يبلغها قدري، فكان اول ما فاتحني به امير المومنين بعد ان سالني عن اسمي واسم ابي ونسبي ان قال لي: ما رأيهم في السماء؟ يعني - الفلاسفة - اقديمة أم حادثة؟ فادركني الحياء والخوف، فاخذت اتعلل وانكر اشتغالي بعلم الفلسفة، ولم اكن ادري ما قرر معه ابن طفيل، ففهم أمير المومنين مني الروع والحياء، فالتفت الى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسالة التي

سألني عنها ، ويذكر ما قاله ارسطوطاليس وافلاطون وجميع الفلاسفة، ويورد مع ذاك احتجاج اهل الاسلام عليهم، فرأيت منه غزارة حفظه لم اظنها في احد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له، ولم يزل يبسطني حتى تكلمت فعرف ما عندي من ذلك، فلما انصرفت امر لي بمال وخلعة سنية ومركب.

وبفضل هذا الاهتمام من يوسف ترجم ابن رشد ما ترجم من كتب ارسطو الطبيعية، قال في المعجب 159 عن تلميذ ابن رشد السالف الذكر عنه قال: استدعاني أبو بكر بن طفيل يوما فقال لي: سمعت اليوم امير المومنين يشتكي من قلق عبارة ارسطوطاليس أو عبارة المترجمين عنه، ويذكر غموض اغراضه ويقول: لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب اغراضها بعد ان يفهمها فهما جيدا لقرب مأخذها على الناس، فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل، واني لأرجو أن تفي به،لما اعلمه من جودة ذهنك، وصفاء قريحتك، وقوة نزوعك الى الصناعة. وما يمنعني من ذلك الا ما تعلمه من كبرة سني واشتغالي بالخدمة، وصرف عنايتي الى ما هو أهم عندي منه. قال ابو الوليد: فكان هذا الذى حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم ارسطوطاليس، وقد رأيت انا لابي الوليد هذا تلخيص كتب الحكيم في جزء واحد، في نحو مائة وخمسين ورقة ترجمه بكتاب الجوامع. لخص فيه كتاب الحكيم، المعروف بسمع الكيان. وكتاب السماء والعالم. ورسالة الكون والفساد، وكتب الآثار العلوية. وكتاب الحس والمحسوس، ثم لخصها بعد ذلك وشرح اغراضها في كتاب مبسوط في اربعة اجزاء».

وتكميلا للفائدة نقول: ان صاحب المعجب انما رأى لابن رشد شرحين على ما ذكره من كتب ارسطو صغيراً ومبسوطا . والواقع ان له شروحا ثلاثة: اكبر، واوسط، واصغر، أما شروحه الصغرى فتوجد

بالعربية في مجريط باسم كتاب جوامع كتب ارسطاليس، وتشتمل على شرح كتب ارسطو الآتية: الطبيعيات، السماء والعالم، الكون والفساد، الآثار العلوية، النفس، وبعض مسائل فيما بعد الطبيعة. واما الشرح الاوسط فيوجد منه مكتوبا نصه العربي بحروف عبرية تفسير ما ياتي: الكون والفساد،الآثار العلوية، النفس، شرحه للطبيعيات الصغرى: (المكتبة الاهلية بباريس رقم 307 - 317)، كما توجد شروحه الثلاثة باللاتينية والعبرية على: الطبيعيات، السماء والعالم، النفس، وما بعد الطبيعة، وقد فقدت شروحه الكبرى على كتب ارسطو الاخرى. ارجع الى دائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3) ص 168.

واذا اردنا ان نتبين اثر تلك العناية بالفلسفة من يوسف فينبغي ان نعلم ان العالم المفكر عامة. واوربا بصفة خاصة،قد استفادوا من هذا الاهتمام استفادة كبرى؛ فان ترجمة ابن رشد لكتب ارسطو اعتمدها من جاء بعده ولا سيما اهل اوربا، وللتدليل على هذا نسوق ما ياتي:

قال المؤرخ الفرنسي الشهير ارنست رينان 1823 - 1892: لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة ارسطو (المستشرقون 52).

وقال غيره: ترجمة ابن رشد هي معتمد اوربا،

وقال المؤرخ الدكتور غوستاف لوبون: امر لويس الحادي عشر بتدريس مذهب ابن رشد ومذهب ارسطو الفلسفيين في كل جامعات فرنسا ونافار، المقتطف (مج) (74) ج (5) ص 535.

وقد فشت هذه الفلسفة مع فلسفات اسلامية اخرى في مدرسة الطب في مونبليه سنة 1220، وانتشرت منها الى جامعات بورغونيا ولومباردي، وسويسرا، ولوفان، فظلت هذه الفلسفات تدرس فيها حتى سنة 1650، المستشرقون 15، وممن اشتغل بفلسفة ابن رشد فردريك الثاني ملك ايطاليا الذي قرأ ترجمة ابن رشد، المستشرقون 16.

وقد نقل شروح ابن رشد الى العبرية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر يعقوب الانطولي (1232 م) وهو من مدينة نابلي، وموسى بن تبون (1260 م) وهو من مدينة لونيل، وقلنونيموس (1314 م)، وشموييل ابن تبون، ويهوذا بن سليمان كوهين (1247م) وهو من مدينة طليطلة، وشم طوب بن يوسف بن فلغرى، وقد شرح ليون بن جرشون كتب ابن رشد كما شرح ابن رشد كتب ارسطو.

وفي العالم المسيحي بدأ ميخائيل سكوت 1175 ـ 1275م ينقل مصنفات ابن رشد من العربية الى اللاتينية عام 1230 ـ 1240 م، فترجم شروح ابن رشد على ما كتبه ارسطو عن السماء والارض والنفس، وقد كان ابن رشد لا يزال حيا حتى سنة 1198، وبهذا يرجع ذيوع اسم ابن رشد الى ميخائيل سكوت، ثم لخص ارمنجان فلسفة ابن رشد ،وحوالي نهاية القرن الخامس عشر اصلح كل من نيفوس وزيمارا الترجمات القديمة، وقد ترجم كتب ابن رشد ترجمة جديدة معتمدة على النص العبري يعقوب منتينو الطرطوشي، وابرهام دهبالمز، وجيوفاني فرنسيسكو بورانا من فيرونا، وكان نيفوس (1495 ـ 1497 م) ويونتاس (1553 م) افضل من ترجم ابن رشد، وترجم ليون جوتيه الفرق بين الدين والفلسفة لابن رشد في كتبه: فصل المقال، التهافت. فصل الخطاب، وهي الأطروحة التي اعدها لنيل الدكتوراه 1909.

واخيرا من الفريق الذين كتبوا عن فلسفة ابن رشد رينان المار الذكر: ألف كتاب ابن رشد والرشديين، قرر فيه سيرته ومؤلفاته وقال عنه: إنه كان اعظم فلاسفة القرون الوسطى، التابعين لارسطو والناهجين سبيل حرية الافكار، واقواله خالية من الميل، وقد طبع هذا الكتاب في باريس 1892.

دائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3) 173 ـ 174، المستشرقون 15 ـ 20 و 52 و 59.

هذا ولا ندع الحديث عن الفلسفة ـ التى تناولت كثيرا الطبيعية منها ـ دون ان ننبه الى مسالتين، الاولى: ان الاعتناء بالفلسفة لم يكن مطردا ايام الموحدين، وموقف يعقوب المتناقض منها معروف، وانظر بالخصوص المعجب 204 ـ 205، والمامون منهم كان منحرفا عنها على طول الخط. وقد ادى به هذا الى ان قتل الفيلسوف الاندلسي ابن حبيب من اجل اشتغاله بهذا العلم. ارجع الى النفح (2) 138، كذلك بعض علماء هذا العصر كان يقاوم الفلسفة والفلاسفة، وسنرى ما يشهد لهذا فى مبحث النماذج من قسم الآداب، وستقف عليه في خطبة ابي حفص الاغماتي وشعره في الاجتماع فيما ياتى، ولا يبعد ان قصيدة ابن حبوس التى يعلن فيها موقفه ضد الفلاسفة ـ وستاتي فيما بعد ـ قالها على هذا العهد

أما المسالة الثانية فنتناول فيها مسألة وردت فى تاريخ الآداب العربية للاستاذ جرجي زيدان (3) 99،فقد نسب فيه للمهدي ابن تومرت: كتاب كنز العلوم فى الفلسفة الطبيعية والشريعة، وذكر انه توجد نسخة منه فى الخزانة التيمورية بالقاهرة، والغالب ان هذا الكتاب ليس للمهدي ابن تومرت، فانه لم ينسبه له واحد ممن ترجم له فيما وقفت عليه سواه، ولما اورد فى كشف الظنون هذا الكتاب (2) 335 نسبه لابن تومرت ايضا، ولكنه آخر غير المهدي المشهور نسبة وبلدة، فقد سماه محمد بن محمد بن احمد بن تومرت،ووصفه بالاندلسي، فكأن الاستاذ جرجي زيدان ظن ان ابن تومرت هذا هو المهدي المشهور، والتبس عليه الاندلسى بالمغربي.

وبعد هذا النوع من الفلسفة ـ الطبيعي ـ اتابع الحديث عن العلوم الفلسفية الاخرى التي كانت شائعة على هذا العهد:

العـــــدد

الحســاب - الجبر - المعــاملات

وكان للعلوم العددية نهضة في هذا العهد،نشطها الموحدون بتقديرهم لهذا العلم تقديرا كبيرا ، وانظر في هـذا الى ما جاء في نفح الطيب (2) 253 :أنه لما مدح عبد المومن ابو القاسم بن سعدة الاوسي – وكان من ذرية ملوك – كتب اسمه وزير عبد المومن في جملة الشعراء، فلما وقف على ذلك عبد المومن ضرب على اسمه وقال انما يكتب هذا في جملة الحساب.

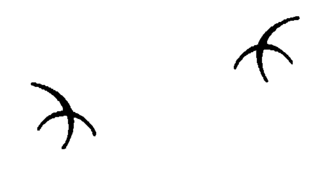
ولما قاوم يعقوب المنصور الفلسفة مقاومته – التي لم يلبث ان رجع عنها – ابقى على العلوم العددية ولم يقاومها ، المعجب 205، ولقد كان هذا العلم من العلوم المقرر تدريسها عند الموحدين ، وممن اشتغل بتدريسها الامام ابو العباس السبتي الذي كان يقرئ الحساب والنحو وياخذ على ذلك اجرة ، الاعلام (1)243 ، وابو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي المتوفى 601، استقر بفاس وسكنها مدة حيث أقرأ بها الحساب الذي كان بصيرا به، وله فيه تأليف سماه : اللباب في مسائل الحساب ، وقد حدث به وسمع منه بفاس سنة 587 ، صلة الصلة 238 . جذوة 306 ، وممن اشتغل به ايضا عبد المنعم بن محمد المراكشي الذي كان حيا سنة 598 ، كان الى جانب معرفته بالعربية والآداب حيسوبيا ، تكملة 2175 . جذوة 278، وابو عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري الفاسي، المتوفى سنة 662 ، كان اماما في هذا الفن مقدما في اقامة البرهان عليه، بغية 77 . جذوة ، 144 .

وبصفة خاصة كان فن الجبر والمقابلة رائجا في هذا العهد، ومن رجاله: ابو عبدالله عبد الله محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي، المتوفى قتيلا 601، امام في هذا الفن، الف فيه منظومته في الجبر والمقابلة التي تجاوزت شهرتها المغرب، وقرئت على مؤلفها باشبيلية، وهي مخطوطة محفوظة في غير مكتبة، كما الف اوجوزته الاخرى في اعمال الجذور، توجد نسخة خطية منها بخزانة الاسكوريال، ومن رجاله ايضا ابو علي المراكشي، وسيأتي لنا انه تناول في كتابه جامع المبادي والغايات الحساب ومسائل على طريق الجبر والمقابلة، وكما اشتغل رجال هذا العصر بالجبر والمقابلة كذلك اشتغلوا بفن المعاملات.

وممن الف فيه: ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي المعروف بابن القطان، المتوفى سنة 628،له مقالة في الأوزان، جذوة 299. نيل 201، وابو العباس احمد بن محمد بن احمد اللخمي العزفي السبتي 557 ـ 633،له كتاب إثبات لا بد منه لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، التراتيب الادارية (1)427.

وختاما يرد علينا سؤال لا مفر منه وهو : ما هي الاقلام الحسابية التي كانت مستعملة في هذا العهد؟ وللجواب عن هذا نبين ان الاقلام التي كانت مستعملة في هذا العهد على ما يظهر هي : (1) قلم الغبار المتعارف. و (2) القلم العربي : ابجد الخ، وكان يستعمل في الزيجات وما في حكمها، و (3) القلم الفاسي استنادا لما ذكره عن هذا القلم القاضي المؤرخ عبد الحفيظ الفاسي في مقال له نشر بعدد المغرب الممتاز، فقد جاء فيه : ان الارقام الحسابية المعروفة بالقلم الفاسي التي كان يستعملها الموثقون بفاس في تقييد التركات والفرضيون في تقدير النفقات، اصلها روماني بقيت عند أمراء وليلي

من جملة ما بقي من آثار الرومانيين، فكانت هي الارقـام الرسمية المستعملة في دواوين حسابهم ودفاتر مالية دولتهم، ولما انتقل كرسي المملكة الى فاس انتقلت الارقام المذكورة اليهـا بانتقال دواوين الحكومة، وبقيت مستعملة بفـاس محافظا عليهـا حتـى نسبت اليهـا واصبح يقال لها : القلم الفاسي .



الهندســـــة

وكان لهذا العلم نهضة كبيرة في هذا العهد، شجعها الخلفاء الموحدون الذين جعلوا لطائفة من المهندسين جامكية منظمة، كما يوخذ من المعجب 157.

ولقد كثر المهندسون في هذا العهد كثرة فائقة؛ حسبما تفيد هذا قصة تكسير عبد المومن لبلاد افريقية والمغرب من برقة الى بلاد نول من السوس الاقصى كما تقدم ص 75 ، فان هذا يتطلب مهندسين عديدين وعديدين جدا ، ولا يبعد ان يكون من بين هؤلاء المهندس الشهير ابو جعفر احمد بن حسان القضاعي البلنسي ثم المغربي المتوفي سنة 598 ، وهو الذي عمل الشكل الهندسي لاستخراج القبلة ليعقوب المنصور بمراكش ، ويظهر ان اليه اضيف جامع حسان بالرباط،(مقدمة سوق المهر (د))،وكذا المهندس الفنان الحاج يعيش، المعروف بالاحوص المالقي الذي اشرف على بناء جبل طارق مع الشيخ ابي اسحاق بزار بن محمد، وهو الذي تولى صنع المقصورة الميكانيكية الآتية الذكر، رسائل موحدية 97. الحلل الموشية 109 و 118 ، وكذا المهندس البناء ابوعمران موسى ابن حسن بن أبي شامة، انظر القرطاس 37 ـ زهرة الآس 64- الجذوة 45 .

وبصفة أخص كانت الهندسة الميكانيكية ـ الحيلة ـ الهوائية والمائية شائعة في هذا العهد بالمغرب ، وممن الف فيها من المغاربة: ابو علي المراكشي الآتي الذكر، له فيها بدون شك كتاب في القطوع المخروطية لم يعثر عليه بعد ، وفي كتابه جامع المبادي

والغايات يدرس خاصيات القطوع، ويحسب محاورها بالتتبع الى الاعراض وميلان الشمس وعلو المقياس ، مجلة المباحث (39) من السلسلة الجديدة.

وعدى التآليف، فقد ظهرت بالمغرب في هذا العهد آثار ميكانيكية راقية بالنسبة لوقتها: ناطقة بتقدم المغرب في هذا الشأن ، فقد كانت المقصورة التي يجلس فيها خلفاء الموحدين اثناء صلاة الجمعة ذات تركيب عجيب، فقد كانت تسع نحو الف شخص، وكانت تتحرك بواسطة عجلات تثبت في أسفلها، ولها ستة اذرع او جوانب تمتد بواسطة مفاصل متحركة، وقد صنعت هذه العجلات والمفاصل بحيث لا يترتب عليها عند تحريكها اقل صوت، بل تدور جميعها في اتم سكون، ونظمت المحركات بطريقة هندسية دقيقة بحيث تتحرك جميعا في وقت واحد،متى رفع الستار عن احد البابين الذين يدخل منهما امير المومنين الى المسجد عند صلاة الجمعة. وكانت المقصورة تبرز من جانب، ويبرز المنبر من الجانب الثاني، وتلتف الجوانب في نفس الوقت حول مجلس امير المومنين، كذلك نظم المنبر بحيث يفتح بابه متى صعد اليه الخطيب،ويغلق من تلقاء نفسه متى اتخذ الخطيب مكانه، وذلك كله دون ان يسمع أو يرى اثر لهذه المحركات، كذلك نظمت ابواب المقصورة على هذا النمط ذاته ، «تاريخ الاندلس (2) 253 الحلل الموشية 109. الغرناطي في شرح المقصورة (1) 71. نفح الطيب (2) 163. الاستقصا (1) 180» .

قال المقري في الصفحة المذكورة: وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها،حسبما شاهدته سنة 1010، وهذا مظهر آخر من مظاهر نهضة المغرب الميكانيكية، وهو ما جاء في المعجب

لدى كلامه عن مدينة فاس (239): ان في داخلها وتحت سورها نحو من ثلاثمائة طاحونة تطحن بالماء.

ولعل هذا العدد كان ايام تأليف المعجب، واما قبله ايام المنصور والناصر فكان بفاس من الارحاء اربعمائة حجر دون ما بخارجها، كما في الانيس 26.



التنجيم
الهيئة ـ الميقات ـ الزيج

علم التنجيم من العلوم المحبوبة عند المغاربة، وحتى الاسر المغربية كانوا يشجعون دراسته تشجيعا، اما الخلفاء الموحدون فقد كان تشجيعهم له بالغا حده، وقد الف فيه المنصور كما سياتي لنا، ولما قاوم هذا الفلسفة المقاومة الآنفة الذكر، ابقى على شيء غير قليل من هذا العلم.

ومن مشاهير المنجمين في هذا العصر (1) الخليفة يعقوب المنصور: اسس في مسجد اشبيلية الجامع برجا عاليا ليكون مرصدا، ومن الواضح انه اول مرصد بني في اوربا، تاريخ الاندلس (2) 260، ومراده بهذا البرج صومعة اشبيلية ـ الجيرالدا ـ التي كان يؤذن فيها الاعلام بدخول الوقت وكانت تستعمل ايضا مرصدا لرصد النجوم، حسبما اشار لبعض هذا المصدر المذكور (2) 255 . كما ان المنصور نفسه وضع ازياجا فلكية عن كسوف الشمس، المصدر المذكور (2) 260، والغالب ان هذه الازياج ضاعت.

(2) الشريف الادريسي، وقبل يعقوب المنصور صنع الادريسي صورة القبة السماوية، او هيئة السماء، وهي اول ما صنعه لروجار مجلة المستمع (3) 15، والغالب ايضا انها ضاعت، (3) البتراجي المراكشي. كان معاصرا للمنصور: اخترع في ترتيب الافلاك والمراكز مذهبا جديدا مبنيا عن تجرده من اعتقاد الفرضيات الفلكية الباطلة، التي كان عليها أهل الاحقاب الخالية، والف رسالة عن الاجرام ترجمت الى اللاتينية وطبعت، (خلاصة تاريخ العرب 215 . تاريخ الاندلس (2) 260.)، (4) ابو بكر

محمد بن يوسف الليثي الاشبيلي ثم السبتي، من اهل هذا العصر، كما في شرح الماواسي على روضة الازهار للجادري لدى باب توسط المنازل مع البروج (خ)، له رصد اعتمده مع رصد آخر الجادري في حساب الطول والعرض حسبما اشار لهذا في الباب المذكور من روضة الازهار.

(5) ابو علي حسن بن علي المراكشي المتوفى سنة 660، كما نقل هذه الوفاة - في احد دروسه التوقيتية بالقرويين - شيخنا العلامة المشارك المتخصص في علوم الهيئة ابو عبد الله محمد العلمي ابقاه الله، عن الاستاذ كارلون الايطالي الذي ذكر وفاته في محاضرة له عن علم الهيئة القاها بالجامعة المصرية.

جاب ابو علي هذا في اول القرن الثالث عشر (م) جزيرة اسبانيا، وجزءا عظيما من شمال افريقيا، وحرر ارتفاع القطب الشمالي في احدى واربعين مدينة، اولها افرانة التي على الساحل الغربي من بلاد المغرب، وآخرها القاهرة، خلاصة تاريخ العرب 215، وقد الف جامع المبادي والغايات في البحث عن آلات علم الفلك، قال في كشف الظنون: وهو اعظم ما صنف في هذا الفن، ذكر انه رتبه على اربعة فنون: الاول في الحساب، وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلا، الثاني في وضع الآلات وهو يشتمل على سبعة اقسام، الثالث في العمل بالآلات ويشتمل على خمسة عشر بابا، الرابع في مطارحات يحصل بها الدراية والقوة على الاستنباط وهو يشتمل على اربعة ابواب؛ في كل منها مسائل على طريق الجبر والمقابلة

وافاد شيخنا المذكور انه لم يقف على هذا الكتاب كاملا بالعربية، وانما وقف على ورقات قليلة منه مباشرة، وعلى فقرات منه ينقلها عنه ابو علي التوزري، وقد نقل الاستاذ سديو

بعضه للفرنسية 1834 ـ 1835 في جزئين ،(6) ابو العباس احمد ابن علي بن اسحاق التميمي المعروف بابن الكماد التونسي: الراصد بحضرة مراكش، ممن اشتهر اول المائة السابعة. وقد وضع زيجا مصححا كان معتمدا عند المغاربة، وهو الذي اختصه ابو العباس ابن البنا في كتابه منهاج (الطالب لتعديل الكواكب)، ارجع الى: اوائل منهاج الطالب (خ) مقدمة ابن خلدون 426 ـ 427 كشف الظنون (2) 16 ـ 17.

ومن أهل هذه الفنون في هذا العهد ايضا (7) ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المالكي الفاسي المعروف بابن السكاك نحو 500 ـ 596، كان معدلا، تكملة 1490. جذوة 236. سلوة (3) 300. و (8) ابو محمد عبد الله الخراز: موقت الجامع الاعظم بمراكش، الاعلام (1) ـ 244، و(9) ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشلبي ثم الفاسي المتوفى 629، كان له معرفة بالاوقات والنجوم، قرطاس 44، و (10) ابو الحجاج يوسف بن محمد بن علي السقطي القصري فيما يظهر ، كان له معرفة بالاوقات، المصدر 44 و (11) ابو محمد عبد الله بن يوسف بن زيدان الفاسي 592 ـ 644، كان معدلا. بغية الوعاة 293.

وعلاوة على ما تقدم، فقد ظهر في هذا العصر كآثار لازدهار التنجيم ابتكارات مهمة في هذا الميدان؛ فقد كان على باب جامع الكتبيين بمراكش ساعات ارتفاعها في الهواء خمسون ذراعا؛ تنزل فيها عند انقضاء كل ساعة صنجة وزنها مائة درهم، تتحرك بنزولها اجراس يسمع وقعها من بعد، وتسمى عندهم المنجانة. ذكرها العمري في مسالك الابصار (خ)، وقال انها في عهده بطالة لا تدور؛ وهذا كان في عهده. اما الآن فلم يبق لها اثر، وكذا ذكرها

القلقشندي في صبح الاعشى (5) 162، ومما يستحق ان يذكر ايضا ان في احدى جدران صومعة حسان على يمين الصاعد نافذتين عظيمتين مقوستين بهندسة غريبة واتقان، وامامهما بيت مربع في جوف قطب المركز الذي تدور عليه جدران الصومعة. فاذا سامتتهما الشمس ارتسم الضياء النافذ منهما في داخل البيت المذكور في كيفية عجيبة،على شكل خطين منحرفين مشتبكي الوسط متفرقي الاطراف؛ ولم يدر الى الآن ما الفائدة المقصودة منهما؛ فعسى ان تزاح عنها بالمستقبل ستور الخفاء،تتجلى لعالم الوضوح والمعرفة. مقدمة الفتح 106 ـ 107.

كما ظهرت افكار مبكرة في هذا العلم، مثل افكار ابي بكر ابن طفيل الفيلسوف العربي الكبير؛ فقد صرح في رسالة حي بن يقظان بان الشمس ليست حارة بذاتها،وانها كرية الشكل،واعظم من الارض بكثير. وان الارض كرية مثلها، والذي يستضيء منها ابداً بالشمس اعظم من النصف، من مسامرة للاستاذ العلامة الحجوي :(النظام في الاسلام)،المطبوعة ضمن خطب ومحاضرات المؤتمر السادس لمعهد الباحث العليا المغربية ص 42

وابن الطفيل وان كان اندلسيا فقد اقام بالمغرب مدة طويلة 558 ـ 580 كطبيب خاص ليوسف الموحدي؛ ذي مرتبة سامية عنده؛ وهذه الاقامه الطويلة لا تخلو ـ طبعا ـ من احتكاكه بغير واحد من المغاربة،وسريان افكاره اليهم، ومثل هذا ينبغي ان يراعى في ابن رشد الثاني : الذي روي عنه انه رأى كلفتين على وجه الشمس، واثبت ذلك في مختصر المجسطي؛ مع انه لم تستعمل النظارة الا بعد زمانه، الاعلام (3) 49. تاريخ العرب العام 405.

ثم بعد كتابة هذا البحث عثرت بأثر نفيس يدل على ما كان
حينئذ من الاعتناء بمراقبة الاهلة؛ وذلك انه كان يوجد في هذا
العصر خارج باب الجيسة من فاس؛ قبلة سيدي علي المزالي برج
جليل - لا أثر له الآن - يسمى برج الكوكب، كان مخصوصا بمراقبة
الهلال، وقد جعل في اعلاه نوافذ على عدد شهور السنة يراقب كل
شهر من واحدة منها، يدل لوجود هذا البرج اذ ذاك: ان ابن الابار
ذكره في القسم المفقود من طبع قديرة للتكملة آخر ترجمة وردت
تحت عدد 494، وسماه ببرج الكوكب، وقد بقي هذا الاسم معروفا
الى زمن صاحب الجذوة، بل حتى زمن صاحب السلوة: انظر صحائف
17 و 86 و 346 من الجذوة. و 154 و 156 من السلوة (3).



المنطـــــــق

الجدل - المنـاظرة

وزيادة على ما ذكرنا من العلوم، فقد اشتغل المغاربة على هذا العهد بعلم المنطق، ومن رجاله أبو الحسن علي بن احمد التجيبي المعروف بالحرالي المراكشي، الذي كان اعلم الناس بهذا الفن، وله فيه تصنيف، عنوان 86، وابو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي، وقد صدر مقدمته في النحو بفصل نزر فيما يتعلق بالبحث المنطقي، كشف الظنون (2) 505، وابو محمد عبد الله بن محمد ابن يحيى الاغماتي، من رجال هذا العلم، عنوان 131.

الجدل:

ويلحق بالمنطق علم الجدل؛ الذي توافرت اسباب شيوعه في هذا العصر، بما حمل عليه الموحدون الناس من القول بالمهدوية والعصمة وما يتبع ذلك؛ وبما الزموهم من اعتناق المذهب الظاهري ونبذ المذهب المالكي، هذا إلى انه في هذا الوقت قامت بالاندلس الحروب الصليبية [1] التي اوقد نارها هناك رجال المسيحية، وفتحوا

(1) اذا اردنا ان نتصور كيف كانت الحروب صليبية الى اقصى حد، فينبغي ان نعلم عن واقعة العقاب، انه اشترك فيها من المحاربين الصليبيين الذين هرعوا من جميع انحاء اوربا لمعاونة اسبانيا زهاء 70.000 مقاتل. كان آلاف منهم يتقلدون الصليب، وان مقادير عظيمة من المال والسلاح والمؤن ارسلت الى ملك قشتالة من فرنسا وايطاليا، وانه في روما امر البابا انوسان الثالث بالصوم ثلاثة ايام والاكتفاء بالخبز والماء التماسا لانتصار الجيوش النصرانية، واقيمت الصلوات العامة، وعمد رجال الدين والرهبان والراهبات =

بها واجهة غربية بالاندلس، لتتعاون مع الواجهة الصليبية التي كانت تحارب المسلمين في بلاد الشام من الشرق، يضاف لهذا وذاك ما ظهر حينئذ بالمغرب من بعض المذاهب الجديدة في التصوف الإسلامي، ولا شك ان كل ما ذكر يستدعي مجادلات ومحاورات، واخذا وردا وقبولا ورفضا، بالقلم تارة وباللسان آونة، بين انصار ما ذكرنا من المسائل الاعتقادية وخصومها؛ وبين اشياع المذهب الظاهري واتباع المذهب المالكي، وبين رجال الاسلام وعبدة الصليب. واخيرا بين بعض انصار التصوف واضداده.

وعمليا ظهر ذلك في كثير من آثار هذا العهد؛ فابو محمد عبد الله بن محمد زغبوش المكناسي وضع تاليفا في اثبات الهداية الموحدية، استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز، الروض الهتون، والكاتب عبد الملك بن اياس ابو الحسن القرطبي وضع كتابا يطعن فيه على حكومة الموحدين والمبادئ التي تقوم عليها، وقد انتدب عبد المومن بعض الاعلام الذين امتازوا بقوة الحجة لكتابة رد على هذا المؤلف، انظر تاريخ الاندلس ليوسف اشباخ (2) 54. كما الف في الرد على شيخ الظاهرية ابن حزم غير واحد من فقهاء هذا العهد؛ فابو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد الانصاري الاشبيلي المعروف بابن زرقون،

____

= الى ارتداء السواد والسير حفاة، وسارت المواكب في الطرقات خاشعة متهللة من كنيسة الى اخرى، والقى البابا نفسه موعظة صليبية طلب فيها الى النصارى ان يضرعوا الى الله التماسا لنصر الاسبانيين، وانه تقرر تخليدا لانتصار الاسبان في موقعة العقاب ان يحتفل في السادس عشر من يوليه كل عام في طليطلة، ثم في قشتالة كلها فيما بعد، باقامة حفل عظيم للشكر يسمى بظفر الصليب، وان الاسبان ارسلوا بعد انتصارهم الى البابا طائفة من الهدايا النفيسة، حيث عرضت في كنيسة القديس بطرس تذكارا للنصر، حسبما يقرر هذا باوسع مما اشرنا له في هذه التعلقة المؤرخ يوسف اشباخ في تاريخ الاندلس (2) 109 - 112 و 124 .

الف المعلى في الرد على المحلى والمجلى لابن حزم، التكملة 967. الديباج 286 - الشذرات (5) 96، وابو محمد عبد الحق بن عبد الله الانصاري الف كذلك كتابا في الرد على ابن حزم، تكملة 1812.

وكان الموحدون يعقدون مجادلات ومحاورات لترجيح المذهب الظاهري على المذهب المالكي، ومن هذا المحاورة التي جرت بين يوسف بن عبد الموءمن والحافظ ابي بكر بن الجد، وهي مذكورة في المعجب 185، ولا يبعد [1] ان يكون من هذا الباب الملجس الذي ورد ذكره عرضا في الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي 145 - 146، والذي وقعت خلاله المجادلة بين الظاهرية والمالكية في حضرة احد الامراء.

وفوق هذا الجدل الذي كان يدور على مبادئ الموحدين تاييدا ورداء فقد ظهرت كذلك بعض المؤلفات التي تطعن في معتقدات الصليبيين الفاسدة، فقد ألف ابو جعفر احمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي ساكن مدينة فاس 519 - 582 مقام المدرك. في افحام المشرك، ومقامع الصلبان. وروائع رياض الاعيان، يرد به على بعض القسيسين بطليطلة، وكان ذلك من احفل ما الف في معناه، تكملة

---

(1) بعد ما كتبت هذا وقفت على ما يؤيد ما ذكرته وهو ما جاء في كتاب الخبر المعرب لابي راس المعسكري وهذا نصه،

قال ابن زرقون: كنت في العلماء الذين جمع عبد المومن بن علي وقام الوزير ابو جعفر بن عطية وقال : بلغ سيدنا ان قوما تركوا الكتاب والسنة وصاروا يفتون بفروع لا اصول لها! وقال، من نظر فيها عاقبته. وان عندهم كتابا يقال له المدونة لا يرجعون الا اليه ثم قال ومن العجب قولها باعادة الصلاة في الوقت . كل ذلك مراده ان يحمل الناس على مذهب ابن حزم قال ابن زرقون فحملتني الغيرة فتكلمت بان رسول الله (ص) لما صلى اعرابي امامه فقال له صل فانك لم تصل كما في البخاري، فقال لا احسن غيرها، فعلمه ولم يامره بالاعادة لما خرج وقته. فقام عبد المومن وسكن الحال ولم ار منه بعد ذلك الا الكرامة.

هذا كلام الخبر المعرب. وكما افاد ما ذكر كذلك يقوي ما اسلفته في مبحث علم الفقه من ان الذي وقع من عبد المومن هو الدعوة الى المذهب الظاهري من غير تنفيذ.

الجزائر 223. الديباج 50 - 51. الجذوة 70. النيل 59، كذلك عقدت في هذا العصر مجالس المجادلة مع بعض المسيحيين حول احقية الدين الاسلامي، ويوجد بجامع المعيار (11) مذاكرة من هذا النوع جرت - بمرسية - بين ابي علي الحسن بن رشيق اول شبابه وبعض القسيسين، وهي مجادلة طويلة استغرقت من المصدر المذكور من ص 118 الى ص 121، والظاهر ان ابن رشيق هذا هو ابو علي بن رشيق المرسي الاصل السبتي الاستيطان: المار الذكر في علم التاريخ.

جلبت كل ما سطرته وان تقدم كثير منه في اماكن متفرقة من هذا الكتاب؛ لما في ثناياه من البرهنة والتدليل على نفاق علم الجدل لهذا العهد بالمغرب؛ ورواجه واشتغال بعض المغاربة به.

وبعد هذا اذكر بعض المغاربة الآخرين الذين اشتغلوا بهذا الفن حينئذ، ولا ريب ان في مقدمتهم امام هذه المدرسة بالمغرب المهدي ابن تومرت الذي كان طبقة عالية في هذا الميدان، ومن حسن الحظ ان حافظ لنا ابن ابي زرع في الانيس 109 - 110 على انموذج صغير من جدله؛ فانه لما ذكر المجلس الذي عقده علي بن يوسف اللمتوني من الفقهاء لمجادلة ابن تومرت؛ ذكر عن هذا الاخير انه قال للذين اجتمعوا لمجادلته: قدموا من تقوم به حجتكم، وتأدبوا بأدب اهل العلم، وسلموا عند شروط المناظرة، واتركوا اللجاج، وقدموا احدكم ممن تثقون بمعرفته وتقدمه...

ثم كان اول ما سألهم عنه ان قال للذي تقدم للكلام: ايها الفقيه انت لسان الجماعة المتقدم للكلام؛ فاخبرني: هل تنحصر طرق العلم أم لا ؟ فأجاب: هي تنحصر من الكتاب والسنة والمعاني التي بنيت عليهما، فقال له المهدي: انما سالتك عن طرق العلم هل تنحصر أم لا ؟ فلم تذكر الا

واحدة منها، ومن شروط الجواب ان يكون مطابقا للسؤال، فلم يفهم مقالته وعجز عن الجواب، ثم سأله عن اصول الحق والباطل ما هي؟ فعاد الى جوابه الاول، فلما رآى عجزه وعجز اصحابه عرفهم السؤال وفحوى الخطاب، ولما لم تكن لهم معرفة بالجواب، شرع لهم في تبيين اصول الحق والباطل، فقال لهم: أما اصول الحق والباطل فهي اربعة العلم والجهل والشك والظن، فالعلم اصل للهدي، والشك والجهل والظن اصل للضلال، ثم اخذ في تبيين طرق العلم فبهرهم وعجزوا عن جوابه، ولم يفهموا له معنى خطابه، هذا كلام الاذيس، ويفيد ما صدر به ابن تومرت مجادلته انه كان على علم تام بشروط الجدل وآدابه؛ وما يتعلق بذلك الامر الذي يدل على مدى تبرزه وتقدمه في هذا العلم .

أما المغربي الآخر والاخير الذي نختم به رجال الجدل على هذا العهد، فهو الامام ابو العباس السبتي الذى جاء في ترجمته من النيل 59: انه اعطى بسطة في اللسان، وقدرة على الكلام، لا يجادله احد الا افحمه، ولا يساله الا اجابه، كأن القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة، ياخذ بمجامع القلوب، ويسحر العامة والخاصة ببيانه، ياتيه المنكرون للانكار فما ينصرفون الا مسلمين منقادين.

المنـــــــاظرة

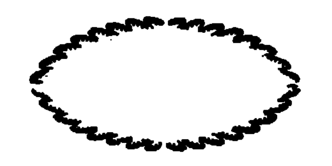
ويقصد بها النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب.على خلاف علم الجدل المذكور آنفا؛ فانه يراد به المنازعة لالزام الخصم،سواء كان كلامه في نفسه فاسدا او لا.

وهذا العلم - المناظرة - وان لم نقف على تفاصيل الاشتغال به لهذا العهد،فاننا نستطيع ان نستشف من بعض العبارات العرضية ما كان للمناظرة بالمغرب حينئذ من ازدهار، وذلك ما يرد خلال كثير من تراجم المغاربة من استعمالهم للمناظرة في دروسهم، وكذا ما يذكر في تراجم بعض الوافدين على المغرب من اقرائهم به بهذه الطريقة، ومن الاول ما ورد في ترجمة ابي زيد عبد الرحمان بن زكرياء بن محمد الرجراجي (ت) 605: انه نوظر عليه بقرطبة، تكملة 1653 .

وفى ترجمة ابي الحجاج يوسف بن عبد الصمد الفاسي المعروف بابن نموي 554 - 614: انه نوظر عليه باشبيلية، تكملة 2099، وفي ترجمة ابي الحسن علي بن احمد التجيبي المعروف بالحرالي المراكشي (ت) 637:انه ناظر فبرع خلال رحلته للبلاد الشرقية،زوائد التكملة 1921، يضاف لهؤلاء ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم الانصاري المعروف بالمتيطي (ت) 570 الذي كان - بدون شك - له معرفة بهذا العلم،حسبما يوخذ مما جاء في ترجمته: انه لما خرج من مدينة فاس واستوطن سبتة،لازم بها مجلس ابي محمد عبد الله بن القاضي ابي عبد الله بن عيسى بالمناظرة والتفقه، جذوة 305، نيل 199.

ومن الاعلام الوافدين على المغرب الذين ناظروا به: ابو الحسن نجبة بن يحيى الرعيني الاشبيلي ساكن مراكش 521 - 591 ناظر عليه بها في كتاب سيبويه ابو البقاء حيان بن عبد الله الاوسي البلنسي، تكملة 122، وكذا ابو بكر محمد بن طاهر الليثي الاشبيلي ت 603، ناظر عليه بفاس ابو القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم الفاسي في نحو الثلث من كتاب سيبويه، تكملة 1674.

ذلك ما استطعت ان اقف عليه فيما يتعلق بالمناظرة، وانه على قلته شاهد بما قلنا، ملوح لما كان لهذا العلم اذ ذاك من نهضة وازدهار.



الكيميـــــاء

ولم يخل المغرب على هذا العهد من الاشتغال بالكيمياء النافعة،
ومن شيوخه في هذا العلم أبو الحسن علي بن موسى بن علي الانصاري السالمي الجياني المعروف بابن النقرات؛ ترجمه في التكملة وزوائدها (ع) 1877 والجذوة 305 والشذرات (4) 317، وقد ذكروا عنه انه نزل بمدينة فاس، كما ذكرت عنه زوائد التكملة والجذوة: انه تصدر للاقراء بفاس، وولي الخطبة بجامع القرويين منها، مولده بجيان في رمضان عام 515 وكان حيا سنة 593 أو نحوها كما تقول هذا التكملة وزوائدها والجذوة، وعينت الشذرات سنة وفاته في (594)، وما في كشف الظنون من انه توفى سنة 500 توهم ليس الا.

وقد نسبت المصادر المذكورة الى ابي الحسن هذا شذور الذهب في الاكسير (نظم)، وهو كتاب جليل علما واسلوبا، وصفه الجلدكي في شرحه عليه بانه استوعب جميع الحكمة المطلوبة، والنعمة المرغوبة، نقله في الكشف (2) 48، وقال عنه آخر: لم ينظم احد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان، وفصاحة الفاظ، وعذوبة تراكيب، حتى قيل فيه: ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك الادب، وفي عبارة بعضهم: إن فاتك ذهبه؛ لم يفتك ادبه. نقله في النفح (2) 342 ونحوه في الشذرات

ولم يكن ابو الحسن ابن النقرات الوحيد في هذا الفن بالمغرب، وقد عاناه غيره من صميم المغاربة، مثل المعروف بابن تاتلي من اولاد الملثمين، ذكره في طبقات الاطباء عرضا (2) 203 ـ 204

اثناء ترجمة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي الذي اجتمع بالمذكور
في بغداد، وقد وصفه بالامعان في كتب الكيمياء والطلسمات وما
يجري مجراها، وأنه اتى على كتب جابر باسرها، وعلى كتب ابن وحشية
كذلك ممن اشتغل من المغاربة بالكيمياء على هذا العهد
المسمى بابي الطواجين القصري الكتامي، كان ينتحل هذا العلم
وكذا ابنه محمد الثائر الشهير عام 625، تلقى الكيمياء عن والده
حسبما يوخذ هذا من الاستقصا (1) 197.



الطب ـ الصيدلة

وكان للطب دولة وصولة، وقد اهتبل به الموحدون وبخاصة يوسف ويعقوب اهتبالا فائقا. ففوق اعتنائهم بالطب الخاص بهم. كذلك اعتنوا بشؤون الرعية الصحية؛ فبنوا المستشفيات، ونظموا هذه المهنة. وجعلوا لها رؤساء: منهم ابو جعفر الذهبي الذي كان مزوارا للاطباء كما كان مزاورا للطلبة ، طبقات الاطباء (2) 77. وكان الطب يدرس على عهدهم بالمغرب، ومن اساتذته ابو الحجاج يوسف المريبطري، قرأ عليه الطب بمراكش ابو العباس الكنبناري ، المصدر المذكور (2) 81 ،وكذا ابن حسان-الذي استقر بالمغرب آخر عمره الى ان توفي بفاس، وكان مقرئا للطب كما في الجذوة (72)- لا يبعد انه درّسه بالمغرب.

وفن الصيدلة هو الآخر كان له ازدهار على هذا العهد. وكان موظفا بمستشفى مراكش وببلاطات الخلفاء عدد من الصيادلة.

الأطباء المغاربة

ومن رجالات الطب والصيدلة في هذا العهد (1) الخليفة يوسف الموحدي الذي استهل اسماء الاطباء حينئذ، كان له طموح الى هذا العلم، وكان يستظهر من الكتاب المعروف بالملكي اكثره، مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل، المعجب 155، و(2) الطبيب السبتي ابو الحسن علي بن يقظان، ورد الى مصر عام 544 ، اخبار الحكماء 160، و(3) ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقي

السلوي ت 563، اشتغل بالطب وظهر فيه، فكان يعيش نفسه مما يعود عليه منه، قاله الضبي في البغية 1464، وترجمه ايضا في التكملة 2782 ووصفه بانه من اهل سلا، و (4) الشريف الادريسي: ألف الكتاب الجامع لصفات اشتات النبات لازال موجودا، وهو احد الكتب التي اعتمدها ابن البيطار في كتابه في النبات: كما ألف كتابا في الاقراباذين (الصيدلة)، نفح الطيب (2) 44 و 138 ـ مقال للدكتور يوسف شخت نشر بمجلة المستمع العربي س (3) ع(15). مقال للاستاذ مصطفى زبيس؛ نشر بمجلة الثريا؛ س (3)؛ العدد الممتاز الخاص بالمغرب.

و (5) الطبيب سعيد الغماري، ورد ذكره عرضا خلال قصة جرت مع يوسف الموحدي مبسوطة في: وفيات الاعيان (2) 494 ـ 595، و (6) ابو الحجاج يوسف بن يحيى بن اسحاق الاسرائيلي الفاسي المغربي ت 623، قرأ ببلاده، وكان فاضلا في صناعة الطب والهندسة وعلم النجوم، واشتغل في مصر بالطب على الرئيس موسى بن ميمون الاسرائيلي القرطبي، وسافر بعد ذلك الى الشام واقام بحلب وبها توفي، وله من الكتب كتاب في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها، شرح الفصول لابقراط، اصلاح هيئة بن افلح الاندلسي، اجتمع على تحريرها هو وموسى بن ميمون المذكور، (اخبار الحكماء) 256 ـ 258. طبقات الاطباء (2) 213.

ويلحق بهؤلاء (7) ابو الحجاج يوسف بن فتوح القرشي المري؛ استقضي بمدينة فاس وتوفي 561، له معرفة بالنبات كان يجلبه ويتجر فيه، التكملة 2079 ، الصلة 410، و (8) ابو العباس احمد ابن عبد الله بن موسى القيسي الاشبيلي، سكن مدينة فاس وبها

توفى 571، كان ذا معرفة المطب، الجذوة 70، و (9) ابو العباس احمد بن عبد الملك الجذامي القرطبي الاصل، نشأ بسبتة وبها سكن وتوفي بمراكش 650، كان ماهرا في الطب التكملة 326 ط. الجزائر.

ونختم أسماء الاطباء في هذا العهد بطبيب كبير اصله من المغرب، فنذكره هنا ليبحث عن نوع مغربيته، وهو (10) القطب المصري ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن محمد السلمي المغربي قتله التتار بنيسابور عام 618، اصله من المغرب، ثم انتقل الى مصر واقام بها مدة، ثم سافر الى بلاد العجم وأخذ عن الامام فخر الدين الرازي؛ كان من اشهر تلامذته؛ عالما بالمعقولات، وألف كتبا كثيرة في الطب والحكمة، منها: شرح الكليات بأسرها من كتاب القانون لابن سينا، طبقات الاطباء (2) 30. طبقات الشافعية (5) 48. حسن المحاضرة (1) 232.

وزيادة على هؤلاء فقد كان بالمغرب في هذا العهد عدد وفير من الاطباء والصيادلة الآخرين برسم خدمة خلفاء الموحدين، وبرسم خدمة المارستانات، وهذه جملة ممن خدم الخلفاء منهم:

اطباء الخلفاء الموحدين

عبد المومن:

طبيباه : أبو مروان عبد الملك بن زهر الايادي الاشبيلي ت 557، ألف لمخدومه الترياق السبعيني واختصره عشاريا، ثم اختصره سباعيا، كما ألف له كتابا في الاغذية، طبقات الاطباء (2) 66. التكملة 1717، وقد اثر ابن زهر هذا اثرا بليغا في الطب الاوربي، وظل هذا التاثير الى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وذلك بفضل ترجمة كتبه الى العبرية واللاتينية، (دائرة المعارف الاسلامية ، مج (1) ع (3)
أبو بكر محمد الحفيد ابن الطيب قبله 507 ـ 595 ، خدم بالطب عبد المومن، وخدم من بعده يوسف ثم يعقوب المنصور ثم محمد الناصر، وكان مكينا بصفة خاصة عند يعقوب، وألف له الترياق الخمسيني، طبقات الاطباء (2) 68. التكملة 855. دائرة المعارف الاسلامية مج (1) ع (3) .

يوسف :

اطباؤه : الوزير ابو مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي ت 575، (القرطاس 131) .

الوزير ابو بكر ابن طفيل القيسي الودآشي ت 581، المصدر 131، ابو جعفر بن هارون الترجالي الاشبيلي، (طبقات الاطباء (2) 75)، ابو الوليد ابن رشد استدعاه يوسف الى سكنى مراكش سنة 578

برسم الطب، وخدم ايضا المنصور والناصر، وكان يلاقى احتراما خاصا منهما،(القرطاس 131 و 137. طبقات ط (2) 76)

المنصور:

اطباؤه: عبد الله بن علي بن عبد الله بن غلنده الاموي مولاهم السرقسطي ابوالحكم ت 581، طبقات الاطباء (2) 79، التكملة 1516،

ابو الحسين بن اسدون شهر بالمصدوم. ت 588، طبقات الاطباء (2) 79، ابو جعفر احمد بن حسان القضاعي البلنسي ت 598، الف لمخدومه: كتاب تدبير الصحة، (طبقات الاطباء (2) 79.)ابو جعفر بن الغزال المري، كان المنصور يعتمد عليه في الادوية المركبة والمعاجين ويتناولها منه. طبقات الاطبقا (2) 80.

ابن الخلاء المرسي، (طبقات الاطبقاء (2) 81) ،احمد ابن عيتق البلنسي ثم المراكشي الذهبي 554 - 601،خدم المنصور بالطب ثم خدم بعده للناصر، طبقات الاطباء (2) 81 التكملة 2410هـ .الجزائر

ابو مروان عبد الملك بن قبلال الغرناطي ، خدم به المنصور ثم الناصر،(طبقات ط (2) 79) .

ابو الحجاج يوسف بن احمد بن علي المريبطري ت 619،خدم المنصور والناصر والمستنصر،(طبقات الاطباء (2) 78) .

الناصر:

اطباؤه : ابو بكر محمد بن الحفيد ابي بكر ابن زهر 577 - 602 ، طبقات ط. (2) 74.

ابو محمد عبد الله بن ابي الوليد ابن رشد الحفيد ،(طبقات الاطباء (2) 78)

ابو محمد الشذوني الاشبيلي، (طبقات الاطباء (2) 79)، ابو عبد الله محمد بن سحنون المعروف بالندرومي؛ خدم الناصر في آخر دولته ثم المستنصر، (طبقات الاطباء (2) 81)، ابو جعفر احمد ابن سابق القرطبي، (طبقات الاطباء (2) 81)، ابو اسحاق بن طملوس البلنسي، (طبقات الاطباء (2) 81)

المستنصر :

عبد العزيز بن سلمة الباجي، طبقات الاطباء (2) 79 ـ 80.

الطبيبات في دور الخلفاء

وكما اختص الخلفاء الموحدون باطباء لانفسهم؛ كذلك اختص حرمهم بطبيبات لانفسهن، ومن هؤلاء اخت الحفيد ابي بكر ابن زهر وبنتها، كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة. ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان الى نساء المنصور، ولا يقبل المنصور واهله ولدا الا اخت الحفيد وبنتها لما توفيت امها، (طبقات الاطباء (2) 70)

بيت الاشربة والمعاجين الطبية

وكان هذا البيت أو الخزانة خاصا بخلفاء الموحدين، وهو من مظاهر تنظيم الطب في عهدهم، وقد تولاه ايام يوسف: ابو محمد قاسم الاشبيلي، وتولاه ايام يعقوب: ابو يحيى بن قاسم المذكور، وبقي في وظيفته هذا الى ان توفي ايام المستنصر، فجعل ولده في موضعه عوضا عنه، (طبقات الاطباء (2) 79).

... والامراء الموحدين

والامراء الموحدين هم الآخرون كان لهم اهتمام بهذا الفن، ومنهم: السيد ابو علي بن عبد المومن صاحب اشبيلية؛ خدمه بالطب الدكتور ابو بكر بن ابي الحسن الزهري القرشي الاشبيلي، (طبقات الاطباء (2) 80)، والسيد ابو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن؛ كان يجالس الطبيب ابن رشد، وهو الذي اقترح على هذا الاخير ان يضع شرحه على الارجوزة المنسوبة لابن سينا في الطب، كما اشار لهذا طالعة الشرح المذكور، الذي توجد منه نسخة بمكتبة كاتبه.

المستشفيات

ولم يشغلهم اهتمامهم بالطب الخاص عن الاهتمام بالطب العام، فقد اسس يعقوب مارستانات للمرضى والمجانين واجرى الانفاق على اهلها، (القرطاس 138)، اسسها في مراكش، وشالة، والقصر، (الثريا) السنة الثالثة . عدد المغرب الممتاز.

أما مارستانات شالة والقصر فلم اقف على من وصفها، وانما وقفت على وصف اعظم هذه الثلاثة وهو مستشفى مراكش الذي اسسه يعقوب شرقي الجامع المكرم على حد تعبير صاحب الاستبصار.

وهذه صفة هذا المستشفى، قال المراكشي في المعجب 190 ـ 191: وبنى ـ يعقوب المنصور ـ بمدينة مراكش بيمارستان ما اظن ان في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد، وأمر البنائين باتقانه على احسن الوجوه، فاتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح، وامر ان يغرس

فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشمومات والماكولات، واجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت،زيادة على اربع برك في وسطه احداها رخام ابيض، ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت، واجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة،خارجا عما جلب اليه من الادوية، واقام فيه من الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء، فاذا بريء المريض فان كان فقيرا امر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وان كان غنيا دفع اليه ما له وتركته وسببه، ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء،بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج،الى ان يستريح أو يموت، وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن اهل بيت اهل بيت،يقول: كيف حالكم؟ وكيف القومة عليكم؟ الى غير ذلك من السؤال، ثم يخرج، لم يزل مستمرا على هذا الى ان مات رحمه الله .

هذا كلام المعجب في وصف هذا المارستان العظيم،وهو يفيدنا عن نظامه:

ان يعقوب اجرى له ثلاثين دينارا يوميا برسم الطعام وما ينفق عليه فقط .

وانه كان به قسم للصيدلة اقام فيه يعقوب الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال.

وكان به للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء.

وان كل من مرض بمراكش من الغرباء حمل اليه وعولج .. فان كان

المريض غنيا حوفظ على ما معه من مال ومتءول حتى يبرأ فيدفع اليه، وان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يتعيش بـه حتى يستـقل. وان الخليفة يعقوب كان يراقب هذا المستشفى بنفسه ،فكان يزوره كل جمعة بعد صلاته ويعود مرضاه، ويستفسرهم بيتا بيتا عن حالهم وحالة القومة عليهم.

ويلاحظ على صاحب المعجب بانه بقدر مـا تبسـط فـي وصـف شكل المارستان المادي،فانه اجحف فيما سوى ذلك، فلم يسم ولا طبيبا من ،وظفيه، وحتى اسم رئيسه لم يذكره، وقـد ذكـر ابـن ابـي اصيبعة في طبقات الاطباء (2) 79: أسماء بعض رؤسائه،فانه لما ترجم لابي اسحاق ابراهيم الداني البجائي الأصل قال عنه: ونقل الى الحضرة - مراكش - وكان امين البيمارستان وطبيبه بالحضـرة، وكذلـك ولداه، والاكبر منهما وهو ابو محمد قتل في غزوة العقاب في الاندلس مع الناصر، وتوفي الداني في مراكش في دولة المستنصر بن الناصر. كما أنه لم يبين هل كان به قسم خاص بالمصابين بـالامـراض العقلية،كما هو الحال في مارستانات الشرق التي كانت معـاصرة لمارستان مراكش؟. وهذا تجيبنا عنه عبارة القرطاس الـآنفة ص 129، فانها تنص على ان المارستانات التي ابتناها يعقوب كـانت للمرضى والمجانين، وبعد هذا فان ابن ابي اصيبعة يذكر في طبقـات الاطباء عن نظام المستشفيات الاسلامية ما ياتي:

كانت البيمارستانات منقسمة الى قسمين منفصلين بعضهما عن بعض: قسم للذكور، وقسم للاناث، وكل قسـم مجهز بمـا يحتـاجه من آلة وعدة وخدم وفراشين من الرجال والنساء، وقوام ومشرفيـن، وفي كل قسم من هذين القسمين عدة قاعات لمختلـف الامـراض،

فقاعة للامراض الباطنية، وقاعة للجراحة، وقاعة للكحالة، وقاعة للتجبير. وكانت قاعة الامراض الباطنية منقسمة الى اقسام اخرى: قسم للمحمومين، وقسم للممرورين، وقسم للمبرودين، ولمن به اسهال الخ.

ولكل قسم رئيس، فمن رئيس الامراض الباطنة، ورئيس للجرائحية والمجبرين، ورئيس للكحالين، وللبيمارستان باجمعه رئيس يسمي ساعور البيمارستان، (من مقال للاستاذ محمد السويسي نشر بمجلة المباحث التونسية ع 42 ـ 43 السلسلة الجديدة)

فهل كانت هذه الانظمة متبعة في مستشفى مراكش الذي نحن بصدد الحديث عنه ؟ لا شك ان ابن ابي اصيبعة الذي توفي سنة 668 كما في الشذرات (5) 327، انما وصف نظاما كان العمل جاريا به في المستشفيات الاسلامية.

ولا شك ايضا ان عبد الواحد المراكشي لم يكن مجازفا حيث قال عن مستشفى مراكش: ما اظن ان في الدنيا مثله، أي في شكله وفي نظامه، كيف وهو المؤرخ الثبت الذي سجل هذه الشهادة بعد ما اتصل بالشرق والشرقيين، وزار مصر واستقر بالعراق حيث الف كتابه المعجب

فاذا لاحظنا هذا وذاك، فهل يمكننا ان نعتبر ان تلك الانظمة كانت معمولا بها في هذا المستشفى المغربي او بالاحرى كان متفوقا فيها؟ هذا ما لا استبعده، وان كنت لا استطيع الجزم به.

من ابتكارات الموحدين

ونختم الحديث عن الطب والاطباء في الدولة الموحدية بعجيبة من عجائب تنظيماتهم الطبية، واحتياطاتهم ايام الوباء؛ وذلك ما جاء في القرطاس 171 ـ 172: انه في سنة 571 كان الطاعون الشديد بمراكش واحوازها... فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في براءة ويجعلها في جيبه،فان مات حمل الى موضعه واهله.

وهذا النوع من (الكارني) الذي سبق الموحدون الى استعماله؛ كاف في الاعراب عن عظمته؛ ناطق بعبقرية الموحدين في ميداني الابتكار والنظام.

وبانتهاء الحديث عن الطب تم بحث العلوم التي اوردت منها فوق الثلاثين علما؛ كلها كانت شائعة ناهضة في عصر الموحدين. وبديهي ان ما ذكرته من العلوم انما هو مثال فقط للنهضة العلمية التي ظهرت حينئذ في اكثر من العدد المذكور، وازدهرت في علوم اخرى نخص منها بالذكر علم السياسات، وقد كانت موجودة بالمغرب ـ على هذا العهد ـ بعض انواعه، وكانت تدرس ـ بدون شك ـ مسائل منه، يشهد لهذا ما مر بنا لدى الحديث عن مدرسة عبد المومن ص (23 ـ 24) : ان من المواد التي كانت تدرس دراسة حسنة بهذه المدرسة: عدة كتب في ادارة الولايات ومزاولة شئون الدولة؛ وينبغي ان يراجع عن هذا الموضوع ايضا ما سنذكره في مبحث الفنون كمظاهر لنهضة بعض اصناف علم السياسة.

كذلك من العلوم التي ازدهرت اذ ذاك علم التصوف بمذاهبه

المتنوعة، واشياخه الكثيرين، وما منعني من إدراجه في هـذا البحث الا عدم توافر المواد الكافية في الموضوع، فعسى ان يرفع هـذا المانع، وتتيسر المواد الكافية ،حيث أدرس التصوف على حـدة واذيـل بـه هـذا البحث.

وبعد هذا انقل الحديث الى الآداب في هذا العصر.



الآداب

نهضتها ـ مميزاتها

في دولة الموحدين

هل اشتغل المغاربة بالتوشيح والزجل على هذا العهد ؟

تعرب لغة المحادثة في العصر الموحدي

السبب الذي حدا بالموحدين الى الاستعانة باللسان البربري

ادباء عصر الموحدين:

الخلفاء والامراء، الافراد

نماذج من ادب هذا العهد

I النثر

(1) الكتابة

1 الديوانية 2 الاجتماعية 3 السياسية

4 الادبية 5 الاخوانية 6 التوقيعات

(2) الخطابة

1 السياسية 2 الاجتماعية

(3) الوصية

(4) الحكمة

II الشعر

المديح، الافتخار، الرثاء، الاعتذار والاستعطاف، الهجاء والذم، العتب والتانيب، الوصف، الغزل، الاجتماع، السياسة

نهضة الآداب
مميزاتها في دولة الموحدين

وجد الادب المغربي في هذه الحقبة أدبا مغربيا موسوما بسيما الاجادة والتفنن والابداع، وان الفضل الاول في هذه النهضة يعود لأكثر خلفاء الموحدين الذين شجعوا هذه الحركة الادبية بمثل ما تحدثنا عنه في المقدمة ص (19 ـ 20)، وبما كانوا عليه هم وكثير من امرائهم من معاناة للادب، ومعاطاة للشعر، حتى انهم ـ بتشجيعهم المزدوج المادي والادبي ـ ليحق فيهم قول اليتيمة في بني حمدان: ملوك وامراء السنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وكان لغير واحد منهم ذوق خاص في تفهم الشعر ونقده، وانظر في هذا ما جاء عن عبد المومن، فانه لما انشده ولد الشريف الطليق المرواني:

ما للعدى جنة اوقى من الهرب

قال رافعا صوته: الى اين. الى اين؟ فقال الشاعر

اين المفر وجيش الله في الطلب

فما اتم القصيدة قال عبد المومن بمثل هذا تمدح الخلفاء. المعجب 138، ولما انشده ابن سيد (اللص):

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل
وانظر الى الجبل الراسي على جبل
انى استقر به انى استقل به
انى راي شخصه العالي فلم يزل

قال له عبد المومن: لقد ثقلتنا... المصدر 139.

وحين القى بين يديه ابو عبد الله محمد بن ابي العباس التيفاشي:

ماهز عطفيه بين البيض والاسل   مثل الخليفة عبد المومن بن علي

اشار عليه بان يقتصر على هذا البيت وامر له بالف دينار، وفيات الاعيان (1) - 391.

ويعقوب المنصور هو الآخر؛ ورد عنه بعض ما ذكر، ومن هذا انه كان بمجلس ابيه يوسف وهو حينئذ وزيره، فانشد ابن مجير يهنئ يوسف بفتح:

ان خير الفتوح ما كان عفوا   مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان ابو العباس الجراوي حاضرا، فقطع عليه معترضا بانه اهتدم بيت وضاح:

خير شراب ما كان عفوا   كأنه خطبة ارتجالا

فبدر المنصور وسنه اذ ذاك قرب العشرين، وقال: ان كان اهتدمه فقد استحقه، لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف، فسر بجوابه، وعجب الحاضرون، النفح (2) 162.

ولقد سرى الاعتناء بالادب من الملوك للامة، والناس على دين ملوكهم، فاهتموا بسائر مواضيع الادب: حفظا ودرسا، حتى الهجو، ومن هذا قول المعجب 197 لدى حديثه عن ابن حزمون الشاعر الهجاء: ولا اعلم في جميع بلاد المغرب بلدا الا واهاجي هذا الرجل تحفظ فيه وتدرس، كما صارت المفاضلة بين الادباء حديث المجالس، وانظر في هذا الى ما جاء في ترجمة الشيخ الشهير ابي العباس السبتي من الاعلام (1) 251: انه سئل يوما في مجلسه من اشعر ابن حبوس أو ابو العباس الجراوي؟

وكان من اثر هذا ان قامت للآداب في ايامهم نهضة كبرى ظهرت

عظمتها في كثير من المقامات،منها في الندوة الادبية التي اقامها عبد المومن على ظهر جبل الفتح حيث تبارى الادباء المغاربة والاندلسيون: كتابهم وشعراؤهم، وتفصيل الحديث عن هذا اليوم الجليل يوجد في المعجب 137 ـ 142 مع الحلل الموشية 118 ـ 119 وزاد المسافر 2 و 52، 85 والنفح (2) 336و 446، ومنها يوم رجع يعقوب المنصور من غزوة الارك الشهيرة،فقد ورد عليه الشعراء من كل قطر من اقطار مملكته يهنئونه، فلم يمكن لكثرتهم ان ينشد كل شاعر قصيدته،بل كان يختص بانشاد البيتين أو الثلاثة المختارة، وانتهت رقاع القصائد وغيرها في هذا اليوم الى ان حالت بين يعقوب وبين من كان امامه لكثرتها، النفح (2) 430

ويلحق بهذا ما ذكره في المعجب 144 عن الامير عثمان بن عبد المومن، قال: اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتاب عصابة ما علمنا اجتمعت لملك منهم بعده،

وان هذه النهضة الادبية بلغ صداها حتى قطر السودان الغربي ولاول مرة في تاريخ هذا القطر ينبغ ـ في هذا العصر ـ شاعر من أبنائه، وهو ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن فارس الذكراني من اهل كانم من السودان ت 608، كان عالما بالآداب شاعرا مفلقا، ترجمه في القسم الأول من التكملة ع 461 وحلاه بما ذكر، كما ذكره في الوفيات (2) 434 والنفح (2) 537. والاستقصا (1) 181،وقالوا عن هذا الشاعر الاسود: انه دخل على يعقوب المنصور وانشده:

ازال حجابه عني وعيني تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن بعدت مهابة عند اقترابي

* * *

وجد الادب المغربي في هذه الحقبة في اعقاب العصر العباسي، وبجوار الادب الاندلسي، وعلى انقاض الادب المرابطي، ولم يكن لينسلخ عن التاثر بالآداب الثلاثة، وبخاصة الاخيرين؛ فانه اخذ منهما وتأثر بهما ولكن بمقدار، لم تضع معه شخصيته المغربية الموحدية التي كانت مطبوعة بمميزات ميزته عن سواه، وأول ما يظهر من هذه المميزات ان الادب المغربي في هذا العصر خلا في غالب مظاهره - خلافا لما كان شائعا في الآداب العربية الاخرى لهذا العهد - من الزخرف والصنعة، سراية من البساطة التي نشأت عليها الدولة، كما خلا - في الجملة ولا سيما أيام عظمة الموحدين - من السفاسف التي كانت شائعة في الادب العربي حينئذ، فنذر فيما وقفت عليه شعر الخمريات، وقل أدب التغزل المكشوف، وذلك تأثرا بالطابع الديني الذي كانت عليه الدولة ابان عظمتها، حتى ان عبد المومن لما انشد في مجلسه ابو بكر محمد بن ميمون بن عبد الله القرطبي ابياتا ثلاثة يتغزل فيها في شاب من اهل أغمات، هجره هذا الخليفة ومنعه من الحضور في مجلسه، وصرف بينه عن القراءة عليه، انظر بغية الوعاة 62 .

وما يؤثر من شعر لعبد المومن في التغزل بفتاة قدت فؤاده، ومساجلته في هذا الموضوع مع وزيره ابن عطية الى آخر القصة الشهيرة، فالغالب ان ذلك مفتعل على عبد المومن من خصومه، ومما يؤيد هذا انه لم يجزم بالقصة واحد ممن رواها؛ فالانيس اوردها 129 بلفظ قيل، والنفح (3) 101 بعبارة: وقد حكى، والاستقصا (1) 154 صدرها بقوله : يروى، وان من يقرأ صدر ص 134 من (مجموع رسائل موحدية)، ويضيف ذلك لموقف عبد المومن مع ابن ميمون، يجزم بما ذكرنا، ويقطع بان القصة لا رأس لها ولا ذنب.

وكما تأثر الادب في هذا العهد بما ذكر، كذلك تأثر بالهداية ومبادئها، والدولة ونظامها، وبكثير من العلوم الفلسفية التي كانت شائعة في هذا العصر، وظهر هذا بصفة خاصة في الشعر، وبصفة اخص في اشعار ابن حبوس وابى حفص الاغماتي وابن خبازة، بل وتأثر الادب ايضا بالعلوم الاخرى، حتى علم اللغة ظهر اثر نهضته في شكل مخل ببلاغة الادب في بعض رسائل ومخاطبات ابي الخطاب ابن دحية واخيه ابي عمرو، وانظر عن ابي الخطاب عنوان الدراية 160. ونفح الطيب (1) 369، وعن اخيه الصلة 140. والتكملة 1837. وبغية الوعاة 322

كذلك ظهر اثر عظمة الدولة في ادب هذه الحقبة؛ فوجد شعراء عباقرة متفننون تناولوا اكثر ابواب الشعر العربي. ونبغ من بينهم افراد مكثارون طويلوا النفس، جمعت لهم دواوين ضمت آثارهم، كما ظهرت مؤلفات ادبية قيمة.

ومن الدواوين الشعرية التي جمعت في هذا العهد (1) ديوان ابي عبد الله بن حبوس الفاسي، قال في الذيل والتكملة: «وقد جمع له بعض اصحابه المختصين به ما علق بحفظه منه أو حضره ذكره أو أسأرته عوادي التنقل والاضطراب الى آخر ربيعي ستين وخمسمائة، فناهز ذلك ستة آلاف بيت وخمسمائة بيت، وقد وقفت منه على مجلد متوسط»، وكانت وفاته سنة 570، انظر الاعلام (3) 31، و (2) ديوان ابي بكر عتيق بن علي الصنهاجي الحميدي المكناسي ثم الفاسي، ذكره في التكملة 2433. والجذوة 278، و (3) ديوان الامير ابي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن، نفح (2) 102، جمعه له الكاتب الشاعر ابو عبد اللـه محمد بن عبد ربه المالقي، المصدر (1) 368، و (4)

ديوان ابي العباس الجراوي التادلي، وقف عليه ابن الابار، وحدث عنه في التكملة القسم الأول ع 323، و (5) ديوان ابي عمرو ميمون ابن عبد الخالق الريفي الصنهاجي الخطابي المعروف بابن خبازة، جمع فيه كثيرا من شعره ابو عمرو ابن سالم بن صالح البهراني المالقي، انظر ازهار الرياض (2) 380، و (6) ديوان ابي عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري، اشار له في البغية 77.

ومن الكتب الأدبية المؤلفة بهذا العصر: المطرب في اشعار اهل المغرب لابي الخطاب ابن دحية، كشف الظنون (2) 455، وتأليف ابي القاسم عبد الكريم بن عمران القصري في شعراء عصره، اخذاً من شعر المذكور اثبته في الاعلام (3) 102، وصفوة الادب وديوان العرب لابي العباس الجراوي، وهو مجموع يحتوي على فنون الشعر على وضع الحماسة لابي تمام الطائي، وهو عند اهل المغرب كالحماسة عند اهل المشرق، وفيات الاعيان (2) 494، واختصار الصفوة المذكورة لمؤلفها. وهو الحماسة المتأخرة، ويوجد من هذا الاختصار نسخة خطية في خزانة السلطان الفاتح بالاستانة، وقد اخذت لها صورة فتوغرافية في الايام الاخيرة بهمة الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي احسن الله اليه، ارجع الى الملحق الثقافي لجريدة المغرب عدد (9). ومجلة الانوار عدد ربيع 1367 فبراير 1948.

ومن الكتب الادبية الاخرى اختصار الاغاني للامير ابي الربيع الموحدي الآنف الذكر، نفح (2) 102، ورسالة البرهان، في ذكر حنين النفوس الى الاحبة والاوطان، لابي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي، سلوة (3) 268 269، وشرح المقامات لعقيل ابن عطية المراكشي، الصلة 313 الديباج 219، وليوسف بن يحيى التادلي عرف

بابن الزيات،وهو شرح نبيل جدا، نيل 352،واسمه نهاية المقامات في دارية المقامات، كشف (2) 498 وشرح ابي موسى الجزولي المار الذكر في علم النحو على ديوان المتنبي؛ اختصره من احد شرحي ابي جني عليه،ارجع الى الوفيات (1) 498، وشرح مقصورة ابن دريد لابن هشام السبتي، تكملة 1053 بغية 20، ونختم قائمة التآليف الادبيةفنذكر ان شرح الشريشي ت 619-الاوسط على المقامات-وهو الشرح اللغوي-كان باقتراح أهل سجلماسة على مؤلفه في هذا العهد، كشف (2) 498

ولم تكن عظمة الدولة لتظهر في هذا النوع من الادب فقط، وانه قد ظهر اثر فخامتها وتجديدها بصفة اجلى واكمل في أدب النثر الفني كتابة وخطابة وغيرها

فالكتابة تنوعت في هذا العهد الى ديوانية واجتماعية وسياسية وأدبية واخوانية وتوقيعات،كما سيمر بنا تفصيل هذا، وتنوعت الكتابة الديوانيه الى كتابة انشاء وكتابة جيش، ولكل من الصنفين كتاب على حدة، هكذا كان شأنهم من عهد يوسف فما بعده حسبما يوخذ هذا من المعجب 160 و 174 و 209 و 218،وبخاصة الرسائل الموحدية ظهر فيها اثر التجديد الموحدي جليا، فانهم نوعوا اسلوبها الى لونين: الاول ان تفتتح الكتابة بلفظ من فلان الى فلان والثاني ان تفتتح بلفظ اما بعد والاسلوب الاول-وهو الشائع كثيرا في السلسلة التي ظهرت من رسائل الموحدين-كان الرسم فيه ان يقال من أمير المومنين فلان ويدعى له بما يناسبه:الى فلان ويدعي له بما يليق به، ثم يوتى بالسلام،ثم بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والترضية عن الصحابة، ثم عن امامهم المهدي ثم

يوتى على المقصود ويختم بالسلام، والخطاب يعبرفيه بنون الجمع عن الخليفة، وبميم الجمع عن المكتوب أليه، ارجع الى صبح الاعشى (2) 443 ومقدمة مجموع رسائل موحدية.

وقد اكتمل تجديد رسائل الموحدين وطبعها بطابعهم نهائيا في عهد المنصور، على يد كاتبه ثم كاتب الناصر ابنه: ابي عبد الله محمد ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عياش التجيبي المتوفي بمراكش سنة 619، قال في المعجب 174 لدى حديثه عن ابن عياش هذا : ولم يكتب لهم منذ قام امرهم .. من كتبة الانشاء من عرف طريقتهم وصب في قالبهم وجرى على مهيعهم واصاب ما في انفسهم كأبي عبد الله ابن عياش هذا؛ فان القوم لهم طريقة تخالف طريقة الكتاب، ثم جرى الكتاب من بعده على أسلوبه وسلكوا مسلكه، لما رأوا من استحسانهم لتلك الطريقة، وقد ختم (مجموع رسائل موحدية) بثلاث رسائل من انشاء هذا الكاتب؛ وهي على نحو ما وصف في المعجب، ارجع الى المجموع 228 - 259.

وكانت رسائلهم في هذا العهد مائلة - في اغلب احوالها - الى الاطناب والتوسع، كما تراه في (مجموع رسائل موحدية). على ان احد ملوكهم كان في بعض الاحيان يوجز الكتب غاية الايجاز، وينحو منحى الصحابة في فتوحاتهم، حسبما امر بهذا يعقوب المنصور في غزوة الارك بالاندلس، (الرسالة السنة (1)، عدد 8). الحلل الموشية 121.

ومن حسنات هذا العصر (مجموع رسائل موحدية) الذي يضم 37 رسالة من انشاء كتاب هذه الدولة؛ اعتنى باصداره الاستاذ الافي بروفانصال وطبع في الرباط سنة 1941.

والخطابة العربية هي الاخرى حاول القوم ان يعيدوا لها رونقها وبهجتها،بعد ما كادت تندثر من العالم العربي، وذلك بما احيوا من الخطابة السياسية التي صدرت عن غير واحد من خلفائهم، مثل المهدي والمامون، وكذا خطابة الجهاد، ومن امثلتها ما وقع في غزوة الارك من هذا النوع، حسبما يعلم من القرطاس 144 وغيره وكذلك الخطابة عن الوفود وفي النوازل المهمة، قال في المعجب 161 في ترجمة ابي موسى عيسى بن عمران التسولي الوردميني: كان يتكلم عن الوفود ويخطب في النوازل فيأتي بكل عجيبة، وارجع اليه 218، كما ادخلوا تنظيمات على الخطابة الدينية، كما يعلم هذا من الوقوف على الخطبة من هذا النوع التي اورد نصها في المعجب 228 ـ 230.

ويلحق بالخطابة الوعظ، وقد قامت له سوق في هذا العصر، ومن ابرز شخصياته ابو عبد الله محمد بن احمد التلمساني المكناسي الاصل المعروف بابن الحجام 558 ـ 614، رئيس اهل عصره في هذا الميدان والمؤلف فيه تاليفا حفيلا سماه (حجة الحافظين ومحجة الواعظين)، انظر الاعلام (3) 87 ـ 88، وينبغي أن نضيف لابن الحجام زمرة كريمة ممن كانوا ينتحلون هذه المهنة، ومنهم ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقي السلوي. ت 563، التكملة 82 27، وابو موسى عيسى بن واصل المراكشي ت 637، الصلة 96، وابو اسحاق ابراهيم بن جابر المخزومي المراكشي. ت 641 التكملة القسم الأول ع 462 جذوة 87، وابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن هارون المرادي الفاسي يعرف بابن الكماد ت 663، جذوة 84.

ومن المميزات الاخرى لهذا العهد: ان الموحدين شجعوا نشر الكتب التي تتحدث عن الفروسية أو سيرها، أو كتب المغامرات

والقصص في جميع أنحاء المملكة سواء في المغرب أو الاندلس، بل لقد سمح بقراءة هذه الكتب من فوق منابر المساجد، (تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ج (2) 54).

ومن القصص التي كانت شائعة على هذا العهد قصة الجازية والشريف، التي يرويها موجزة ابن خلدون في تاريخه، لدى حديثه عن دخول العرب الهلاليين لافريقية، ويقول: ولهؤلاء الهلاليين في الحكاية عن دخولهم الى افريقيا طرق، يزعمون ان الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ومكة، ويسمونه شكر بن ابي الفتوح؛ وانه اصهر الى الحسن بن سرحان في اخته جازية فأنكحه اياها، وولدت منه ولدا واسمه محمد، وانه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وفتنة، فاجمعوا الرحلة عن أرض نجد الى افريقيا، وتحيلوا عليه في استرجاع اخته جازية المذكورة، فطالبته بزيارة ابويها فازارها اياهم، وخرج بها الى حللهم، واقام معها مدة الزيارة، فارتحلوا به وبها وكتموا رحلتهم عنه، وموهوا عليه بانهم يباكرون به الصيد والقنص ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها، فلم يشعر بالرحلة الى ان فارق موضع ملكه، وصار الى حيث لا يملك امرها عليهم؛ ففارقوه ورجع الى مكانه من مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل ؛ وانها من بعد ذلك كلفت به مثل ما كلف بها الى ان ماتت من حبه، ويتناقلون من اخبارها في ذلك ما يعفي على خبر قيس وليلى، ويروون كثيرا من اشعارها محكمة المباني مثقفة الاطراف، وفيها المطبوع والمنتحل والمصنوع. . وهم متفقون على الخبر عن حال جازية هذه والشريف خلفا عن خلف، وجيلا عن جيل، ويكاد القادح فيها والمستريب في امرها ان يرمى عندهم بالجنون لتواترها بينهم(ه) بواسطة الاستقصا (1) 167 - 168.

هذا سياق حكاية ابن خلدون لهذه القصة التي هي اصل قصة ابي زيد الهلالي الشهيرة، ومما يؤيد شيوعها في هذا العهد بالمغرب قول ابن خلدون: ان بني هلال متفقون في الخبر عن حال جازية والشريف خلفا عن سلف وجيلا عن جيل، فهذا السلف والجيل الذين رويت عنهم القصة لا بد ان يتناول العرب الهلاليين الداخلين للمغرب واعقابهم في العصر الموحدي، فهؤلاء لا شك انهم تحدثوا بها وكانوا من السلف والجيل المذكورين في سند القصة.

ومن القصص الاخرى التي كانت رائجة على هذا العهد في الجملة: (قصة حي بن يقظان) الفلسفية تأليف ابن طفيل، وممن قرأها حينئذ عبد الواحد المراكشي الذي وصفها وصفا موجزا في كتابه المعجب 156، ويوجد بدائرة المعارف الاسلامية مج ل ع (4) ذكر الخلاصة هذه القصة.

وآخر المميزات التي نذكرها لهذا العهد ان فيه ظهر ميل بعض المغاربة للبحور القصيرة، ومن أمثلة هذا ان يعقوب المنصور كان يقترح على الشعراء عروضا يسمى الخبب،كما في المعجب 194.

كما ظهر فيه استعمال الاوزان المولدة من التوشيح والزجل وما الى ذلك، وبسطة الكلام عن هذه الاوزان المولدة نخصها ببحث على حدة.



هل اشتغل المغاربة بالتوشيح والزجل على هذا العهد ؟

لعلنا لا نعدو الحق اذا قلنا ان المغاربة عانوا فن التوشيح في عصر الموحدين؛ هذا النوع الذي وجد في الاندلس جارة المغرب قبل هذا العهد بأزمان واجيال، وشاع بها في هذا العصر وفي العصر اللمتوني قبله شيوعا بلغ به الغاية من الوفرة والاتقان،كما يعلم من اواخر مقدمة ابن خلدون 542 ـ 546.

أما المغرب فلا شك انه بدوره كان اهله يعانون فن التوشيح على هذا العهد؛ فقد كان هذا الفن محبوبا عند غير ملك من ملوك الموحدين، وقد مدح به الناصر منهم؛ مدحه به ابو الحجاج يوسف بن احمد بن علي المريبطري، (طبقات الاطباء (2) 78)،واهدى بعض الادباء للمرتضى الموحدي من اواخر ملوكهم تأليفا يتضمن الكثير الطيب من التوشيح، (ازهار الرياض (2) 230)، وكذا كان محبوباً لدى الافراد، ومن امثلة هذا ما جاء عن الشاعر الاندلسي الكبير الهيثم الاشبيلي المتوفى سنة 630 كما في التكملة 2023: انه مر بقصر كتامة يريد مراكش،فاقترح عليه الشيخ ابو علي القصري رسالة وموشحة وشعرا؛ حيث اجاب الشاعر الاندلسي طلب المقترح المغربي حينا وبديهة، كما ورد في هذا: كتاب الوافي في القوافي تأليف ابي البقاء صالح بن شريف الرندي (خ).

يضاف الى ما ذكر أنه في هذا العهد توافد على المغرب عدد من الوشاحين الاندلسيين واتصلوا بأهله، واقام غير واحد منهم به، ومن

هؤلاء الوافدين: ابو بكر بن زهر الحفيد المار الذكر في الحديث عن الطب، وموشحاته توجد نسخة منها بالاسكوريال من اسبانيا، وابن حزمون، كما يوخذ من المعجب 196 - 197، والمريبطري الهيثم الآنف الذكر.

ومع هذا كله يبعد كل البعد ان لا يكون المغاربة عانوا التوشيح واشتغلوا به، بل المحقق انهم نظموا فيه وشاركوا في نهضته على هذا العهد، والسبب في كونه لم ينقل لنا ولا بيت واحد منه: ان المؤرخين المغاربة في هذا الوقت - زيادة على اهمالهم - لم تجر عادتهم بايراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة، كما يذكر هذا في المعجب (56) اعتذارا عن عدم ذكر موشحات ابي بكر ابن زهر الآنف الذكر.

وينبغي ان يلحق بالتوشيح الزجل الذي وجد بالاندلس قبل هذا العهد، واول من ابدع فيه لعصر اللمتونيين: ابو بكر ابن قزمان امام الزجالين على الإطلاق، ثم بلغ هذا الفن مبلغا كبيرا بالاندلس في عهد الموحدين، ومن رجاله مدغليش وابن حجدر وتلميذه المعمع كما في المقدمة 548 - 550، وقد دخل بعض الزجالين الاندلسيين للمغرب، مثل ابي الحسن سهل بن مالك الغرناطي كما يوخذ من النفح (2) 230، ومدح بعضهم الموحدين بالزجل مثل ابن حجدر المذكور الذي فضل على الزجالين في فتح منورقة بالزجل الذي اوله :

من عاند التوحيد بالسيف يمحق انا بري ممن يعاند الحق

مقدمة 550، بل ان الازجال الاندلسية كانت مقروءة لهذا العهد بالمغرب، قال ابن سعيد لدى حديثه عن ابن قزمان: رأيت

ازجاله مروية ببغداد اكثر مما رأيتها بحواضر المغرب، مقدمة 548.

وان هذا ما يجعلني اميل الى ان هذا الفن الزجلي اشتغل بـه المغاربة على هذا العهد ونظموا على منواله، ولا يستبعد ان تكون امصار المغرب مما يندرج في الامصار المذكورة في قول ابن خلدون في المقدمة 548:

ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته، وتنميق كلامه، وترصيع اجزائه، نسجت العامة من اهل الامصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير ان يلتزموا فيه اعرابا،واستحدثوا فنا سموه بالزجل...

وكما رجحت ما ذكر، كذلك يترجح لدي ان العرب الداخليـن للمغرب على هذا العهد ايام عبد المومن ثم المنصور،لا بد ان يشتغلوا بدورهم بنظم الشعر بلغتهم العربية المستعجمة.

فهذان الصنفان من النظم مما اشتغل به المغاربة في هذا العهد فيما يظهر لي واميل اليه.

وهناك صنف ثالث من الشعر الغير المعرب يقول عنه ابن خلدون في المقدمة 553 ـ 555: ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب فناً آخر من الشعر في اعاريض مزدوجة كالموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية وسموه عروض البلد، وكان اول من استحدثه فيهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب الا قليلا ، فاستحسنه اهل فاس وولعوا به،ونظموا على طريقته،وتركوا الاعراب الذي ليس من شأنهم، وكثر سماعه بينهم،واستفحل فيه كثير منهم، ونوعوه اصنافا الى المزدوج والكاوي والملعبة والغزل، واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها

وملاحظاتهم فيها، ثم ذكر قصيدتين فيما قاله من المزدوج ابن شجاع من فحولهم، وهو من اهل تازا الخ كلام ابن خلدون. فهل حدث هذا الفن ايضا بهذا العهد؟. هذا ما لا استبعده، وان كان ليست لي الآن الادلة الكافية لاثباته.

وانما لم تنقل لنا هذه الانواع من الشعر الغير المعرب لما ذكرناه في بحث التوشيح عن المعجب؛ بل هذا احرى منه، ولما ذكره ابن خلدون في المقدمة 533 من ان الكثير من المنتحلين للعلوم وخصوصا علم اللسان، يستنكر مثل هذه الفنون اذا سمعها، وابن خلدون وان ذكر هذا عن اهل عصره فهو جار ايضا في هذا العصر.

وقد شعر المقري في ازهار الرياض بهذا، فلذلك نراه بعد ما ذكر طائفة من الازجال، يروح يعتذر ويقول (2; 227: كأني بمنتقد ليس له خبرة يسدد سهام الاعتراض، ويتولى كبره، ويقول: ما لنا وادخال الهزل - الازجال - في معرض الجد الصراح؟!. وما الذي احوجنا الى ذكر هذا المنحى؟! . والاليق طرحه كل الاطراح ..

ويظهر لي ان ممن نظم في الشعر الغير المعرب من الشعراء الكبار لهذا العهد: ابن خبازة، لنستمع الى ابن عبد الملك في الذيل والتكملة يصفه بأنه كان ناظما ناثرا؛ له التفنن في اساليب الكلام معربه وهزله على اختلاف اللغات (ه) بواسطة ازهار الرياض (2) 379.

وبيان هذا: انه علم من كلام ازهار الرياض الآنف الذكر، أن الازجال في نظر بعض الناس انما هي من باب الهزل ليس الا، فاذا لاحظنا هذا، مع مقابلة ابن عبد الملك للهزل بالمعرب في كلامه، نستنتج استنتاجا واضحا أن المراد بالهزل في الكلام المذكور الشعر الغير المعرب، ويكون المعنى ان ابن خبازة كان متفننا في هذا النوع

من الشعر على اختلاف اللغات: لغة الاندلس ولغة العرب الداخلين للمغرب، ولغة المغاربة... وقد سمى ابن خلدون في المقدمة هذا ونحوه لغات.

وكما عثرت بهذا الشاعر الذي كان ينظم في غير المعرب، كذلك وقفت على فرد آخر ممن كان يحترف بالغناء بهذا الشعر في العهد الموحدي، وهو ابو علي حسن بن عمر الفهري السبتي؛ والد الشاعر الآتي الذكر محمد، المولود اما آخر 582 أو اول 583، والمتوفى سنة 667، فقد ذكر ابن عبد الملك في الذيل والتكملة في ترجمة الابن: ان والده حسن المذكور كان قوالا يغني في المحافل والاسواق[1] مجربا بذلك، والمتلبس بهذا العمل يعرف في بلاد المغرب بالمحلي [2] شيخا محايا ذكر لي انه من اصحابه ومقاوليه (ه) بواسطة الاعلام (3) 149 - 150.

(1) بياض بالاصل
(2) بياض بالاصل

تعرب لغة المحادثة في العصر الموحدي.[1]

ونلفت النظر الى نقطة هامة في هذا الموطن، وهو ان تعاطي المغاربة لفن الزجل وما اليه؛ يدل على شيوع العربية في لغة التخاطب؛ وان هذه اللغة كانت عربية شعبية.

وزيادة على هذا فهناك كلمات عرضية وردت في بعض المصادر تدل على هذا دلالة الآثار على الديار، ومن هذا ما جاء في المعجب 239 في سياق حديثه عن اهل فاس: ولغتهم افصح اللغات في ذلك الاقليم، وان من يقرأ كتاب لحن العامة لابن هشام السبتي المتوفى -كما سبق لنا-سنة 570، يلاحظ ان هذا حينما يقابل في كتابه المذكور الكلمات العربية بالكلمات العامية؛ كما ينطق بها اهل بلده في محادثتهم، ياتي بهذه الاخيرة عربية عامية، بل ان بعض اعلام هذه البلدة ـ سبتة ـ كان لا يتكلم الا بكلام عربي فصيح، كما في الديباج 289. عن أبي عبد الله محمد حفيد القاضي عياض الشهير 584 ـ 665، وكما جاء هذا عن هذا الفاضل من اهل سبتة؛ كذلك نقل عن اديب كبير ممن سكن مراكش؛ وكان صاحب القلم الاعلى في دولة المنصور وابنه الناصر، وهو ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش الآنف الذكر، كان-كما في الاحاطة- قاصدا الاعراب في كلامه، لا يخاطب احدا من الناس على تفاريق

---

(1) المقصود شيوع التعرب حينئذ، والا فانه كان موجودا قبل هذا العصر.
وفي ترجمة ابي عبد الله مروان بن عبد الملك بن ابراهيم بن سعدون اللواتي في فهرسة القاضي عياض: انه اخذ نفسه بالاعراب والتقعير في كلامه مع الخاصة والعامة، فلا يكاد يؤخذ عليه لحن.

احوالهم الا بكلام معرب، وربما استعمل في مخاطبة خدمته وامته من حوشي الالفاظ ما لا يكاد يستعمله ويفهمه الا حفاظ اللغة من اهل العلم؛ عادة ألفها، واستمرت حاله عليها (ه).

ويجدر بنا ان نقف قليلا عند هذا الكلام، لنتفهم ما يدخل تحت كلمة الناس من اصناف المغاربة الذين كانوا يترددون على صاحب القلم الاعلى ويفهمون - طبعا - مخاطبته لهم بالكلام المعرب، فان هذا - لا بد - يدلنا على مدى تعرب القوم في هذا العهد.

وينبغي ان نضيف لما تقدم أن دخول طوائف العرب للمغرب على هذا العهد، لا بد ان ينمي ويقوي عروبة لغة المحادثة بمدن المغرب، ويوجدها ببواديه التي نزلها اولئك الاعراب، واقتسموها مع سكانها قبلهم، فقد خلص من هذا ان لغة المحادثة لهذا العهد كانت العربية غالبة عليها في المدن، ولا سيما في كبرياتها، وفي البوادي التي نزلها العرب الداخلون للمغرب.



السبب الذي حدا بـالموحديـن الى الاستعانة باللسـان البربري

ولا بد ان يرد في هذا المقام سؤال لا مناص منه،نذكره ثم نحقق الجواب عنه، وهو ان هناك ظواهر يدل بعضها على تمركز البربرية في هذا العصر بالمغرب: مدنا وبادية،تمركزا ينافي ما تقدم من شيوع العربية في لغة المحادثة، ومن هذا ما جاء عن خلفاء الموحدين (1): انه كان لا يؤم في ايامهم الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري كما في القرطاس 36، وعبارته 42: كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري. و (2) كذا جاء عن المامون بن المنصور الموحدي: أنه نعى - فيما نعاه- على المهدي ابن تومرت النداء للصلاة باللغة البربرية، استقصا (1) 99. و (3) كان من التقاليد المتبعة لدى الموحدين أنهم يقرؤون عند ركوب الخليفة في المحافل الرسمية تواليف ابن تومرت بلسانهم البربري وباللسان العربي (معجب 228).

و (4) الف ابن ترمرت لاصحابه كتابا سماه بالتوحيد باللسان البربري، كما ألف لهم كتابا سماه بالقواعد، وآخر سماه بالامامة؛ دونهما بالعربية والبربرية،وكان ينقل اليهم المواعظ والامثال ويقرب لهم المقاصد بالبربرية، الحلل الموشية 80، و (5) سلف لنا ص (27) عن الرسائل الموحدية: ان عبد المومن اباح لمن لم يفهم اللسان العربي ان يقرأ توحيد ابن تومرت باللغة البربرية و (6) في ترجمة سالم بن سلامة السوسي المغربي المتوفى 589 الحافظ لمسائل الفقه: أنه كان قديرا على اداء هذه

المسائل باللسان البربري، تكملة 2006 . الجذوة 324 .

وقبل الجواب عن هذا الكلام نقدم كلمة نبين فيها ان القوم كانوا - بصفة خاصة - شديدي الاهتمام بامور الدين: من التوحيد والفقه وما في حكم ذلك، وكانت نشأتهم بمعقل كبير من معاقل البربرية - المصامدة - وقيام عصبيتهم الكبرى منه، من أكبر الاسباب التي حفزتهم ان يلقنوا تعاليم الدين وما اليها ويبيحوا قراءتها باللغتين العربية والبربرية لمن لا يفهم الا هذه اللغة الاخيرة في تدريسهم. وتآليفهم ووعظهم. وما نحى منحى هذا، درجوا على هذا اول دولتهم ايام امامهم ابن تومرت، وبقيت بقايا منه بعده حتى في المدن لما ذكرنا، والمبالغة في الافهام لمن يكون بالمدن ممن لا يعرف الا البربرية.

وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما ذكر من الايرادات الستة وما شاكلها، مع ملاحظة ما تقدم من انهم ما كانوا يتساهلون في استعمال البربرية الا من اجل افهام من لا يعرف سوى هذه اللغة، ومما يشير لهذا عبارة رسائل الموحدين المشار لها رقم (5)، ونصها (132) : ويومر الذين يفهون اللسان الغربي - البربري - ويتكلمون به: ان يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان...

فهذا هو المحمل الصحيح الذي ينبغي ان يحمل عليه ما اشرنا له من الايرادات، وهو الذي تدل عليه حالة القوم، وتشهد به سيرتهم، فقد كان لهم المكان المكين والمقامات الشهيرة في خدمة اللغة العربية واحيائها وحمايتها، وكان كثير من خلفائهم وامرائهم كتاباً بلغاء، وشعراء مجيدين، وخطباء مصاقع، حسبما تقدم وياتي، وما وقع في ايامهم من الجنوح لغير لغتهم الرسمية - العربية - في بعض المواطن انما كان للضرورة، وهذا امر واقع في كل جيل ودولة قديما وحديثا؛ وحتى الرسول

العربي الهاشمي صلوات الله عليه وعلى آله، ثبت عنه انه استعمل غير العربية في مواقف احتاج اليها ؛ ارجع الى التراتيب الادارية (1) 208 ـ 210 ،والى الايام القريبة من عصرنا نجد في بعض جهات المغرب ان بعض الكتب تؤلف أو تترجم بالبربرية وتقرأ وتدرس بها، وعلى سبيل المثال نذكر احد اعلام سوس ابا عبد الله محمد بن مسعود البونعماني السوسي المتوفى 1330 : له تاليف في الفقه باللهجة السوسية، الفه للاميين والنساء ليفقههم في الدين، وكذا معاصره احد اشياخ سوس ابو الحسن علي بن احمد الالغي السوسي، ترجم مجموع الامير والحكم العطائيه للغة السوسية، وزيادة على هذه التآليف فهناك تآليف اخرى مترجمة للسوسية، ومنها رسالة ابن ابي زيد القيرواني، والمختصر الخليلي، وشرح البردة.

وفي ترجمة الامام سيدي عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم السوسي الحاحي، انه كان يعلم زائريه مهمات دينهم العربي بالعربية، والعجمي بالعجمية: النشر (1) 71.

وهنا تنبيه لا بد منه وهو انه لا ينبغي ان يفهم مما ذكر؛ انهم كانوا يخطبون او يعيدون الخطبة بالبربرية، او انهم يؤذنون رأسا بالبربرية. فان هذا ليس بمراد، وليس و اقعا قطعا وتحقيقا، وان اوهمته العبارات المشار لها، وانما المراد انهم كانوا يشترطون في الخطيب ما ذكر من حفظ التوحيد ـ توحيد ابن تومرت ـ بالبربرية، كما انهم كانوا يعيدون بعد الآذان الشرعي العربي النداء للصلاة بالبربرية.

والدليل على الاول ـ زيادة على ما تقدم ـ امور: اولا ان صاحب المعجب ذكر 228 ـ 230 مثالا من خطبة الجمعة التي كان يُخطَب

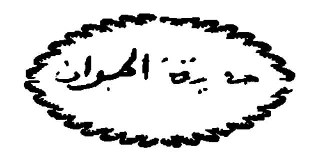
بها بمحضر خلفائهم في صلواتهم للجمعة، ولم يذكر فيها ولا كلمة واحدة بالبربرية، ثانيا: ما جاء في القرطاس 42: عن ابي محمد يشكر بن موسى الجراوي احد الخطباء الرسميين بجامع القرويين: انه كان يؤم - في الصلوات الخمس - ولا يخطب، وانما ينيب عنه غيره،لانه كان اعجمي اللسان شديد العجمة، وعبارة الجذوة 33: «وكان بلسانه يسير عجمةىاي بربرية كما هو ظاهر، فقد استناب عنه غيره في الخطبة من اجل ان بلسانه عجمة بربرية، ثالثا: ما مر بنا آنفا من ان المامون نعى على ابن تومرت النداء المصلاة بالبربرية، ولو كانت الخطبة كذلك لكانت هي بدورها جديرة بان ينعاها عليه، وينكرها ويندد بها.

أما مسألة الآذان بالبربرية فقد اجملت اجمالا، إما من المامون، أو من ناقلي كلامه مبالغة في الدعاية ضد الموحدين الآخرين وشيخهم ابن تومرت، وحقيقتها ما جاء في مبحث البدع من معيار الونشريسي (2) 361 - 362، وعبارته: ومنها ما احدثه المهدي الظاهري محمد بن تومرت... من اعادة الدعاء بعد الصلاة، والدعاء عليها بتصاليت الاسلام عند كمال الآذان، وتقام تصاليت وهي اقامة الصلاة، فقد تبين في كلام المعيار ما اشرنا له قبل،من انهم لم يكونوا يؤذنون رأسا بالبربرية، وانما كانوا يعيدون النداء لها بتصاليت الاسلام بعد كمال الاذان الشرعي العربي.

بعد هذه النظرة عن الادب المغربي لهذا العهد؛ اتبعها بمبحثين: الاول يتناول ادباء عصر الموحدين بما فيهم من كتاب وخطباء وشعراء، وقد بلغ عددهم 51 أديبا، وسوف اقتصر على اسمهم

ونسبهم... وعصرهم وحلاهم الادبية، مع الاحالة على آثارهم النثرية والشعرية؛ التي لم تسبق الاشارة لها.. وقد قسمت اولئك الادباء الى ثلاثة اقسام: (1) الادباء الذين وصلتنا آثارهم. (2) الادباء الذين وصفوا بالكتابة أو الشعر من غير ان نقف لهم على اثر يذكر. (3) شاعران اثنان لم تقم لدي الادلة الكافية على مغربيتهما الاقصوية فأفردتهما بهذا القسم الاخير على حدة.

والمبحث الثاني اوردت فيه مختارات من النثر والشعر على هذا العهد، وقد انقسم النثر فيه الى كتابة، وخطابة، ووصايا، وحكم، كما انقسمت الكتابة الى: ديوانية، واجتماعية، وسياسية، وأدبية، واخوانية، وتوقيعات. وانقسمت الخطابة الى: سياسية، واجتماعية. أما الشعر فقد ذكر منه في الاغراض التالية: المديح، الافتخار، الرثاء، الاعتذار والاستعطاف، الهجاء والذم، العتب والتأنيب، الوصف الغزل، الاجتماع، السياسة.



أدبـاء عصر الموحديـن

القسـم الاول

الادبـاء الخـلـفـاء والامـراء

1
محمد المهدي بن تومرت عبد الله الهرغي

524 - 485

فصيح في وعظه وخطبه ووصاياه، بليغ في ترسله وكتابته، وقد اثبت له في المعجب 125 - 127 خطبته التي خطبها على الموحدين لما حضرته الوفاة، وفي الوفيات (2) 52 خلاصة وصيته لاصحابه لما حضرته الوفاة ايضا، وفي الحلل 178أ ورد له نص خطبة قصيرة يلوح فيها الى مهدويته، ويوعز الى اتباعه في بيعته، وفي (81) منها ذكر له نص رسالة وجيزة كتبها من انشائه للمرابطين، كما اثبت من شعره في الوفيات (2) 53 ابياتا ثلاثة (عُ) (1)، كذلك نسب له في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها، بيتين اثنين (لُ).

2
عبد المومن بن علي الكومي الزناتي

558 - 495

من ائمة هذا الشأن، وله شعر رائق حسن، اثبت منه في المعجب 145 - 146: اثني عشر بيتا (ل) يستنفر فيها عرب افريقية الى الغزو

---

(1) يلاحظ في الحديث عن ادباء هذا العهد انني استعمل عقب الاحالة على الشعر حرفا مشكولا، واقصد بذلك روي الشعر المحال عليه وشكله.

بجزيرة الاندلس، كما اثبت له في الحلل 119 بيتين (ح) يشيد فيهما بانتصار الموحدين في بعض المواقع، وفي الشذرات (4) 183 نسب له بيتين (ب) قالهما لما كثر عليه الثوار.

3

موسى بن عبد المومن

من ادباء ابناء عبد المومن، ويوجد في القرطاس 129 ابيات ثلاثة من شعره (ث) قالها بديهة في جواب بيتين كتب اليه بهما القاضي ابو يوسف حجاج.

4

أبو علي الحسن بن عبد المومن

هو الاديب الثاني من ابناء عبد المومن الامراء، وقد ذكر له في القرطاس 172 ابياتا ثلاثة (ب) كتب بها الى اخيه يوسف لما عتب عليه.

5

يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المومن

595 - 555

أديب شاعر، وفي الحلل 121 - 122 تجد له وصية قصيرة؛ كما تقرأ له في النفح (2) 99 ابياتا عشرة من شعره؛ كتب بها الى العرب (م).

6

ابو الربيع سليمان بن عبد الله ابن عبد المومن

بعد 600

كاتب شاعر، وقد اثبت في النفح (2) 100 ـ 102 من نثره رسالة كتبها الى ملك السودان بغانة؛ ومن شعره قصيدة (ع) تشتمل على عشرين بيتا يمدح فيها ابن عمه المنصور، ويصف انهزام العدو، وابياتا ثلاثة (م) يستعطف بها المنصور، وابياتا ثلاثة اخرى في التغزل (ب)،وقطعة ثلاثية (لا) يخاطب بها المنصور ايضا، وبيتين (ع) كتب بهما الى ابن عمه السيد ابي الحسن الآتي الذكر، وبيتين (ب) يلغز بهما في جارية له. كما اثبت له صالح بن شريف في كتابه الوافي زيادة على البيتين الاخيرين ابياتا سبعة (ع)، وبيتين (د): الكل في موضوع اللغز.

واثبت صاحب المعجب (199) ان كاتب ابي الربيع محمد بن عبد ربه الذي اسلفنا انه جمع (ديوانه)،نحل ابا الربيع كثيرا من شعره ايام كتابته له. قال صاحب المعجب عرفت ذلك بعد مفارقته ـ ابن عبد ربه؛ ـ اياه ـ ابا الربيع ـ لاني فقدت شعر السيد ابي الربيع واختلف علي كلامه، ورأيت بخطه اشعارا نازلة عن رتبة الشعر جدا. فعلمت ان ذلك الاول ليس من نسجه.

هكذا يحكم المراكشي على شعر السيد ابي الربيع، وعلى عكسه نرى ابن سعيد في المغرب ينوه به ككاتب شاعر، اديب ماهر، له شعر مدون، حسبما ينقل هذا في النفح (2) 102.

واني وان كنت لا استبعد صحة رأي المراكشي لمعاصرته لابي الربيع، ولما استند اليه في حكمه، فاني احتفظ برأيي النهائي في الموضوع حتى يتسنى لنا الوقوف على ديوان السيد ابي الربيع [1].

7

أبو الحسن علي بن عمر ابن عبد المومن

من الادباء الامراء، وتجد في النفح (2) 102 ابياتا ثلاثة (ر) قالها في يعقوب المنصور يمدحه ويستزيده، ويطلب منه ما يقضي به ديونه، وبيتين اثنين (ع) اجاب بهما عن البيتين الذين اسلفنا ان ابا الربيع كتب اليه بهما.

8

السيد أبو محمد عبد الله صاحب فاس

من اهل هذه الكتيبة، وتقرأ له في النفح (2) 103 ابياتا اربعة (ب) قالها في الفخر.

---

(1) من حسن الحظ ان يسر الله لكاتب السطور نسخة من ديوان السيد ابي الربيع بعد ما قدم بحث الآداب للطبع، وفي النية كتابة بحث عن الديوان وصاحبه ان شاء الله.

9

بعض السادة من بني عبد المومن

انشد له في النفح (2) 103 بيتين اثنين (د) في التغزل.

10

عبد العزيز بن يوسف بن عبد المومن

ترجمه في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها، ووصفه بانه كان ينظم الشعر ويجيده، واثبت له ابياتا اربعة (م) في موضوع قول الشعر.

11

ادريس المامون بن يعقوب المنصور

581 - 629

عارف بالآداب، فصيح بليغ، خطيب كاتب شاعر، ويوجد بالقرطاس 161 مثال من خطابته، كما اثبت في الحلل 125 قطعة شعرية له، تشتمل على ابيات اربعة (ر) قالها في اهل الحرابة والفساد، وقد اورد هذه القطعة في القرطاس 162 بزيادة بيت خامس عليها.

12

أبو حفص عمر المرتضى

665

له حظ في الادب، وقد اثبت له في الحلل 127: ابياتا اربعة من شعره (د).

13

عبد الواحد بن ابي زيد بن ابي حفص بن عبد المومن

أديب شاعر بليغ، وقد اثبت له في الاعلام (3) 157 - 159 قصيدة طنانة (نُ) يمدح بها ابا عبد الله بن رشيد البغدادي الوارد على مراكش، وهي تشتمل على اربعين بيتا [1] .

✡ ✡ ✡

الادباء الآخرون

واذ ذكرنا الادباء الخلفاء والامراء في هذا العهد؛ نتبعهم بذكر ادباء عصر الموحدين الآخرين:

---

(1) بعد ما حررت بحث (ادباء عصر الموحدين) وكثيرا مما بعده وقع الي كتاب (امراؤنا الشعراء) تاليف الاخ العلامة المؤرخ المطلع سيدي عبد الله كنون، أهداه في ضمن مجموعة من الكتب الصديق العلامة المؤرخ البحاثة سيدي محمد داود شكر الله عمله، وبالطبع كان أول ما قرأت من الكتاب قسم امراء الدولة الموحدية؛ حيث وجدت المؤلف أثبت آثارا ادبية أخرى مهمة لكل من السيد أبي الربيع والمامون والمرتضى، وتتميما لبحث ادباء عصر الموحدين رايت ان اذيل بتلك الآثار على هذا البحث، وأبين ان كتاب (امراؤنا الشعراء) انفرد بالآثار الادبية التالية: فقد اثبت للسيد ابي الربيع قطعة رباعية (نَ) في الطيف، وقصيده (رُ) بها ثلاثة عشر بيتا في صفة الروض والحث على الشرب، وبيتين (فُ) في وصف فسقية، وابياتا خمسة (بِ) في التوبة والدعاء، كما اورد قصيدة ابي الربيع (عُ) في مدح المنصور من ثلاثة وعشرين بيتا مع تقديم وتاخير في بيتين منها عما في النفح، وذكر شعره في التغزل (بَ) في تسعة ابيات، والمامون اثبت من نثره صفحة لامعة من رسالة، ومثالا من توقيعه، كذلك المرتضى ذكر له قطعة سداسية (لُ).

14

الطبيب الاديب علي بن يقظان السبتي

كان حيا سنة 544،ذكره ابن القفطي في اخبار العلماء باخبار الحكماء (160) كطبيب شاعر اديب، واورد له ابياتا سبعة من قصيدة (د) في الوزير الجواد جمال الدين الاصفهاني بالموصل.

15

الوزير الكاتب أبو جعفر احمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي

553 - 517

من ابلغ اهل زمانه كتابة وشعرا، ذكره في المعجب 128 ـ 129. والقرطاس 124 ـ 125. وفي النفح (3) 99ـ102 وفي غير ذلك، وقد اثبت له في القرطاس والنفح فصولا من الرسالة النثرية الشعرية التي يستعطف بها عبد المومن ويطلب عفوه، كما اثبت له المصدر الثاني فصولا من الرسالة التي كتبها عن ابي حفص عمر أينتي الى الموحدين بمراكش؛ يخبرهم عن صورة موقعة حربية انتصر فيها ابو حفص المذكور، وفي (مجموع رسائل موحدية) تجد له ست عشرة رسالة كتبها عن عبد المومن،وسبع رسائل

1 ـ 22 ، وسبع اخرى 26 ـ 71، ورسالة 95 ـ 99، ورسالة اخيـرة 126 ـ 138.

وقد وردت هذه الرسالة الاخيرة مرتيـن :مبتـورة وتـامـة اول وآخِر الكتاب المعنون ـ بكتاب اخبار المهدي ـ للبيدق 13 ـ 17، و 134 ـ 145، وزيادة على الشعر الذي تضمنته الرسالة المشار لها اولا؛ فقد اثبت له في النفح بيتين آخرين (ح) كتـب بهمـا من السجن الى عبد المومن.

16

الكاتب ابو عقيل عطية اخو ابي جعفـر ابن عطية

520 ـ 553

اشار له في النفح (3) 99،واثبت له في مجموع رسائل موحديـة ثلاث رسائل 22 ـ 26 و 71 ـ 93.

17

شـاعر من اهل سلا

كان حيا 555

اورده عرضا ابن الابار في كتاب الحلة السيراء في ترجمـه عبد الله ابن خيار الجياني، واثبت له بيتين (ر) من الشعر يؤنب بهما الوزير عبد السلام بن محمد الكومي، انظر كتاب اخبار المهدي للبيدق 147 ـ 148.

18

الشريف الادريسي السبتي

562 - 494

كان يضيف الى معارفه الواسعة فى الجغرافيا والفلك والطب اطلاعا واسعا على الشعر الاندلسي، وقد عانى بدوره صناعة القريض؛ ومن شعره الابيات التالية نثبتها برمتها لغرابتها:

ليت شعري اين قبري؟ ضاع في الغربة عمري

لم ادع للعين ما تشتاق في بر وبحر

وخبرت الناس والارض لدى خير وشر

لم اجد جارا ولا دارا كما في طي صدري

فكأني لم اسر الا بميت او بقفر

دعني اجل ما بدت لي سفينة او مطية

لا بد يقطع سيري امنية او منية

ومن قبل ان امشي على قدم المنى

سعى قلمي في المدح سعيا على الرأس

من مقال عن الادريسي نشر بمجلة المستمع (3) 15.

19

ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقى السلوي

563

أديب شاعر، وممن ترجمه ابن الابار في التكملة 2782 ووصفه بأنه من اهل سلا، واغفل هذا المصدر الاستاذ الفاضل عبد القادر محداد؛ في

تعليقه على اسم هذا الشاعر حين اورد شعره صاحب زاد المسافر، وقد اورد له في الزاد 115 - 117 فى الوحدانية والرجاء قصيدة (ل) تشتمل على (11) بيتا؛ كما اثبت له قصيدة (لا) بها ابيات (16) وفيها يتشوق الى بيت الله الحرام؛ ويتالم من تعذر الوصول عليه الى زيارة الرسول ص.

20

محمد بن حسين عبد الله بن حبوس الفاسي

500 - 570

شاعر مفلق، فاق فى ذلك اهل زمانه، حتى لقب بشاعر الخلافة المهدية، وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هانيء الاندلسي في قصد الالفاظ الرائعة، والقعاقع المهولة، وايثار التقعير، الا ان محمداً بن هانيء كان اجود منه طبعا، واحلى مهيعا، ذكره في المعجب 137 - 138، وفي زاد المسافر 1 - 6 وترجمه في التكملة 1055 وفي الذيل والتكملة حسبما نقل ترجمته في الاعلام (3) 26 - 31.

وقد اورد مثالا من نثره في المعجب، كما اورد في الذيل والتكملة امثلة من شعره:ابيات عشرون من قصيدة (ر) يمدح بها عبد المومن لما حل برباط الفتح، واورد اول هذه القصيدة بزيادة بيت في زاد المسافر؛ فذكر منها تسعة ابيات، كما اورد له في الذيل والتكملة قصيدة (د) في موضوع التوحيد والزهد والتمسك بالسنة، تشتمل على ثلاثين بيتا، وقصيدة (ر) ابياتها اثنا عشر في

الوصايا والامثال وذم الزمان، وقصيدة اخرى من تسعة ابيات في الاعتبار (لُ) .

وزاد المسافر اورد له زيادة على ما ذكر عنه: في المديح: بيتين من قصيدة (ج)،وعشرة ابيات من اخرى (لا)،وخمسة ابيات من قصيدة ثالثة (ر)، ومن قصيدة رابعة: تسعة ابيات (ق) يمدح بها عبد المومن ويصف فتحه لبجاية، وثمانية ابيات من قصيدة (لُ) في الوزير ابن عطية، وفي موضوع الذم: اثبت له بيتين (ر) يهجو بها ابن عطية لما نكب، ومن قصيدة اخرى (ع) أبياتا تسعة يذم بها الشعر، كما ذكر له قصيدة (ض) ذات سبعة عشر بيتا فيما يطلب ان يعامل به الناس .

وينبغي ان يضاف لما ذكر بيتان اثنان من قصيدة ايضا اوردهما ابن حماد الصنهاجي في: (اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) ص (10)،وهما في مدح عبد المومن، وذكر اختطاط المهدية، وبابها، وابراجها الثمانية (ر) .

21
محمد بن القاضي عياض الشهير اليحصبي السبتي
575

من ادباء هذا العصر، ترجمه في التكملة 1056 وفى الديباج 289 ، والغالب انه الذي ذكره في زاد المسافر 95 ـ 96 وسماه ابا عبد الله

ابن عياض، وهو وان وصفه بانه قرطبي؛ فالظاهر ان هذا انما هو سبق قلم، وانه من باب قول زاد المسافر في ابن حبوس الآنف الذكر: انه من قطر بجاية، مع ان الرجل فاسي تحقيقا، وقد اثبت في زاد المسافر لابي عبد الله بن عياض عدة اشعار في التغزل: قصيدة (ب) تشتمل على عشرة ابيات، وقطعتين (أ، ق) تشتمل كل منهما على ثلاثة ابيات. كما ذكر له في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها في ترجمة ابنه عياض: بيتين في التسلية (ح)، وبيتا واحدا ارتجله في التغزل (ن).

22

عيسى بن عمران بن دافال التسولي الوردميشي

578-512

أديب لوذعي، خطيب مصقع بليغ، شاعر مفلق. ترجمته في المعجب 160 - 161 وفي التكملة 1931 والصلة 94. والذيل والتكملة. والقرطاس 172. والجذوة 283، وفي هذين المصدرين الاخيرين تقرأ له رسالة نثرية كتبها لابنه حيث كان يدرس بفاس.

23

محمد بن احمد بن عبد الرحمان ابن الصقر الانصاري الخزرجي المراكشي

527 حدود 590

ممن تعاطى الشعر على هذا العهد، وكان له حظ صالح من قرضه، واكثره في الزهد والحكم وما نحا ذلك، ترجمه في الذيل

والتكملة، ونقل هذه الترجمة في الاعلام (3) 64 ـ 66،واثبت لـه قطعة خماسية (م) في الشكوى.

24

ابو بكر عتيق بن علي بـن حسـن بـن حفاظ الصنهاجي الحميدي المعروف بالفصيح المكناسي الفاسي

595

من شعراء هذا العهد، وسلف لنا ان له ديوانا شعريا،ترجمه في التكملة 2433،والجذوة 278.

25

عبد الله بـن محمد عيسى التادلي الفاسي

597 - 511

أديب ناظم ناثر، له رسائل واشعار جيدة، ترجمه في التكملة 1491 والجذوة 236، والنيل 137 ـ 138، وفي هذا المصدر الاخير ذكر له بيتين (ك) يخاطب بهما ابن مضا.

كذلك نسب له في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها؛ في ترجمة ابن عياض بيتين اثنين في التسلية (ح)

شاعر من أهل فاس

ذكره عرضا في زاد المسافر 62،ونسب له هذين البيتين:

يعاف السمع شعرك يايزيد	وخطك في بشاعته يزيد
اذا وجهت شعرك في مراد	بخطك ليس يدرى ما تريد

ابو حفص عمر بن عبد الله السلمي الاغماتي نـزيل فـاس

603 - 530

كاتب مجيد، خطيب مفوه، شاعر مبدع، غلب عليه الادب حتى عرف به وشهر، ترجمه في التكملة وزوائدها 1831. والصلة 130. والجذوة 286 ـ 288 وأزهار الريـاض (2) 359 ـ 374، وذكره في زاد المسافر 101 ـ 102 والعبدري في رحلته (خ) والغرناطي في شرح المقصورة (1) 100 والمقري في النفح (2) 425 و 149،وفي هذا الرقم الأخير نسبه في النفح إلى قرطبة غلطا، وقد ذكر العبدري في رحلته نص حطبة من خطبه، واثبت له في الأزهار قطعة نثرية شعرية في ذم الدنيا، كما أورد له هذا المصدر الاخير كثيرا من شعره، فأثبت له ابياتا 39 من قصيدة طنانة (م) في مدح يوسف الموحدي، وقد اورد في الجذوة الأبيات الاربعة من اول هذه القصيدة ؛ كما روت له الازهار أبياتا اربعة (م) في الفخر، وبيتين من قصيدة (ر) يمدح بها يوسف ويهنئه ببيعته الثانية. وذكرت من غزلياته قطعة (م) بها ابيات خمسة. وهي مذكورة في النفح، وقطعة (ر) بها ابيات سبعة، واخرى (ب) تشتمل على ستة ابيات،مع ابيات ثلاثة في الزهد (ر)،وخمسة في مدح العلم (ر).وقد أورد هذه القطعة الاخيرة في الجذوة ايضا؛ التي ذكرت لهفي التغزل ابياتا سبعة (ر)،وبيتين اثنين (ف)، واثنى عشر بيتا (م).

وقد اورد في زاد المسافر الأبيات الثلاثة الاولى من هذه القصيدة، وفي النفح بيتين منها، كما أورد في الجذوة والنفح بيتين اثنين (رْ) تساجل فيهما ابو حفص مع بعض اشياخ عصره، وانفرد زاد المسافر بستة ابيات من قصيدة (بَ) في المديح، واخيرا نذكر ان شرح المقصورة اثبت له ابياتا ستة (مِ) في الاعتذار والتغزل، وحذفت الصلة من هذه الابيات بيتا واحدا.

27

عقيل بن عطية السالف الذكر

549 - 608

أديب كاتب شاعر، ترجمه في التكملة وزوائدها 1946. والصلة 313. والديباج 219. وذكره في النفح (3) 101 واثبت له بيتين من شعره (دَ)

28

ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي التادلي

609

عالم بالآداب، نهاية في حفظ الاشعار القديمة والمحدثة، بليغ اللسان، شاعر مفلق، مداح هجاء، حاضر البادرة، وكان ايضا يلقب بشاعر الخلافة ، وهو الذي اختير لمجالسة الاديب الشرقي عبد الرحمان بن منقذ؛ لما ورد المغرب سفيرا عن صلاح الدين الى يعقوب المنصور، وكان يقول آخر عمره: تعسا لطول العمر، الذي اخرني

لمعاشرة هؤلاء الأنذال!. وعهدي بالخليفة عبد المومن يقول لي في جبل الفتح: يا أبا العباس اننا نباهي بك اهل الاندلس، «مجلة الانوار» عدد جمادى الاولى 1367 = مارس 1948 .

ترجمه في القسم الاول من التمكلة رقم 323. والوفيات (2) 494، وذكره في زاد المسافر 7 - 9. وفي النفح (2) 388 والازهار (2) 365، وكان لا يعرف من شعره الا الابيات التالية: ببتان على اللام المفتوحه في يوسف بن عبد المومن، وبيتان في فاس، قافيتهما ياء مفتوحة، وقطعة سداسية ميمية في الهجو، وبيتان على الراء قالهما بتونس، وبيت على النون يمدح به خليفته، وبيتان على الضاد وردا في بستان ابن أبي مريم؛ يجوز ان يكونا له، مجموع هذه الابيات ثلاثة عشر أو خمسة عشر، انظر الملحق الثقافي لجريدة المغرب ع 9 .

ولما طبع زاد المسافر ظهرت به أربعة عشر بيتا اخرى للجراوي: بيتان من قصيدة (نُ) في هجو الصابوني الذي صلب، بيتان من قصيدة اخرى -نُ- في الهجو ايضا، بيتان ايضا (فُ) في الموضوع، قطعة (نِ) تشتمل على ستة ابيات مما وقع له مع احد المبتذلين، بيتان (دِ) وقع بهما لشاعر استجداه بقصيدة . كذلك ظهرت كمية مهمة من شعره اوردها ابن عذاري في احد اجزاء البيان المعرب، وهو مخطوط فريد توجد منه نسخة عند الاستاذ كولان بالرباط.

وابن عذاري يورد شعر الجراوي بمناسبة الحوادث التي يتعرض لها، وكله في المدح، واكثره يتعلق بيعقوب المنصور، وهو يتكون من خمس قصائد وأربع مقطوعات وابيات، ومجموعه اربعون ومائة بيت، فاذا اضيف الى الابيات الثلاثة

عشر، والى اربعة عشر بيتا في زاد المسافر، يكون مجموع ما نعرف الآن من شعر ابي العباس الجراوي سبعة وستين ومائة بيت (رسالة المغرب) (1) ـ 8 .

وينبغي ان يضاف لكل ما تقدم البيتان او الثلاثة ابيات الواردة عرضا اثناء مقدمة الحماسة المتاخرة للجراوي؛ ان لم تكن ضمن الاشعار الآنفة الذكر، وكذا ينبغي ان يضاف لذلك ثلاثة ابيات (ر) في الهجو، وقد وردت في الازهار ضمن ترجمة ابي حفص بن عمر الآنف الذكر.

29
عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي
625 ـ 581

أديب ناقد كاتب، وفي كتابه المعجب الذي هو اهم مرجع لاخباره تقرأ له في غير ما صفحة قطعا نثرية يتجلى فيها اسلوبه الفني، كما تجد له ابياتا تظهر فيها شاعريته المجيدة على قلة ما اورد من شعره في كتابه، حيث انه لم يذكر فيه الا بيتين (ب) في التغزل 202، وابياتا ثمانية من قصيدة (م) يمدح بها الامير ابراهيم ابن يعقوب المنصور ويذكر ولايته اشبيلية 206 ـ 207.

30
ابو الخطاب عمر بن الحسن بن علي ابن دحية الكلبي السبتي يعرف بابن الجميل
633 ـ 547

عارف بالشعر العربي، قارض له، كاتب مستعمل لحوشي اللغة في رسائله ومخاطباته، ترجمه في الوفيات (1) 481 ـ 482. والتكملة

1832. والصلة 132. وعنوان الدراية 159 ـ 167. والبغية 360. والنفح (1) 368 ـ 371. والشذرات (5) 160 ـ 161.

وقد اثبت له في العنوان من نثره رسالة قصيرة مقفلة على نحو ما وصفنا، كتبها لوالي بجاية؛ يطلب منه اطلاق سراح خديم له، كما اثبت من شعره قصيدتين اثنتين في مدح السلطان الكامل ابن ايوب ملك مصر، الاولى (م) بها خمسة واربعون بيتا، والثانية (ع) بها ستة واربعون بيتا، واقتطف في النفح من القصيدتين الاولى ثمانية ابيات، والثانية ثمانية عشر بيتا.

31

ابو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الريفي الصنهاجي الخطابي

637

كان من أكبر اعاجيب الدهر في سرعة البديهة: ناظما او ناثرا، مع الاجادة التي لا تجارى، والتفنن في اساليب الكلام؛ معربه وهزله على اختلاف اللغات. وكان في آخر عمره جانحا الى امتداح ملوك عصره، فكان ياتي في ذلك بما لم يسمع بمثله. ولا يطمع في لحاقه سرعة ارتجال، وحسن افتنان، وسرعة امتثال، هكذا تقول عنه عبارة الذيل والتكملة المنقولة في ازهار الرياض، لدى ترجمته التي استغرقت منها (2) 379 ـ 392، كما استغرقت ترجمته من الجذوة 209 ـ 218.

وقد اثبت له كل من الازهار والجذوة قصيدته الطنانة (ي) التي مدح بها الرسول (ص)، واشار الى جملة مفاخره ومعجزاته،

بها 145 بيتا، كماذكرا له كثيرا من قصيدته (ر) التي يرثي فيها ابا محمد عبد الله بن وزير اشبيلية؛ وعظيمها ابي بكر حفيد الحافظ ابي بكر ابن الجد، ويعزي والده الوزير، اثبت له في الازهار منها 45 بيتا، وفي الجذوة 68 بيتا، وكذا اثبتا له بيتين اثنين من قصيدة (ل) يذم فيها المهدي ابن تومرت لما تبرأ منه المامون بن المنصور، واثبت له في الازهار قصيدة (ل) في الحنين الى احبابه تشتمل على 14 بيتا، واقتصر في الجذوة على الابيات الاربعة الاولى منها.

وانفردت الازهار بابيات ثلاثة من قصيدة (ب) قالها لما قطع جند المامون اطناب القبة الحمراء التي ضربها المعتصم بن الناصر بن المنصور بظاهر مراكش، وابن عبد الملك ([1]) هو الآخر اثبت له في الذيل والتكملة (نسخة مكتبة الرباط) قصيدة (لا) في تهنئة ابي العلاء بن منصور المامون بعد - بولاية اشبيلية بعد قرطبة.

32

علي بن احمد التجيبي المعروف بالحرالي المراكشي

637

أديب مبرز. له الشعر الفائق غزلاً وتصوفا، ترجمه في التكملة 1921، وعنوان الدراية 85 - 97 والنفح (1) 411 - 412، والنيل 201 - 202 والشذرات (5) 189.

(1) تنسب هذا المصدر المذكور (رسالة المغرب. س (6) ع 4.

وقد اثبت له في العنوان مثالا من ادبه الصوفي، ومنه قطعة (ن) بها ابيات (6)،وقصيدة (م) بها (10) ابيات.

33

ابو القاسم عبد الكريم بن عمران القصري

643

متحقق بالآداب،كاتب شاعر، ترجمه في التكملة 2184 واثبت له بيتين (ل)،واورد له في الاعلام (3) 102 ـ 103 رسالة نثرية مفتتحة بقطعة شعرية؛ يطلب فيها من ابن العابد الفاسي الآتي الذكر بعض قريضه.

34

ابو عبد الله محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي المكناسي

659

أديب وقته، وشاعر عصره، كما تحليه بهذا الذخيرة السنية 106، وهو مترجم ايضا في الجذوة 177 ـ 179، وقد اورد له هذا المصدر الثاني من شعره قصيدة (ل) في التغزل بها ابيات (13)، وبيتين (م) في الشيب، وثلاثة ابيات (ل) في وصف مصباح، وبيتين (ك)في وصف نهر قذفت فيه مصابيح، وثلاثة ابيات (ب) في وصف نهر وردته عصابة طير،كما اثبت له في الجذوة ايضا (ص) 43 بيتاً واحداً (ن) من

مقطوعة بها ابيات اربعة في وصف الثريا الكبرى بالقرويين، تساجل في هذه القطعة مع الادباء: ابي القاسم المزياتي ومالك بن المرحل ومحمد ابن خلف، وانشد له ابن الخطيب في نفاضة الجراب بيتيه الشهيرين (*) في مدح بلده مكناس، وقد اثبتهما نقلا عن النفاضة ابن غازي اواخر الروض الهتون.

35
ابو عبد الله محمد بن عيسى ابن عمر الفهري السبتي يعرف بابن المحلى
582 او 583 – 661

اديب بارع، كاتب بليغ، شاعر فصيح، مفوه لسن، ترجمه في الذيل والتكملة حسبما نقل هذه الترجمة في الاعلام (3) 149 ـ 152. وفي البغية 84، واثبت له في الذيل والتكملة ثلاث قصائد في التغزل على محو في بعضها، الاولى (ب) بها (14) بيتا، الثانية (ح) بها (15) بيتا، الثالثة (ن) بها (21) بيتا.

36
ابو عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري الفاسي
662

كاتب محسن، مبرز في حفظ الشعر ونظمه ونسبته الى قائله، ترجمه في البغية 77 والجذوة 144، والنيل 254 والاعلام (3) 102 ـ 106 نقلا

عن الذيل والتكملة، وقد اثبت له هذا المرجع الاخير رسالة نثرية مفتتحة بقطعة شعرية، يجيب بها رسالة ابي القاسم عبد الكريم بن عمران التي اشرنا لها في ترجمته، كما اثبت من شعره بيتين (ر) في اخوين وسيم وأحدب. وقطعة (ر) بها ثمانية ابيات في وسيم مثغر الثنية له خال بشاربه، وبيتين (ف) في شارب رعف، وقصيدة (ر) تشتمل على وصف حمام ابياتها (15)،وقد وقع المحو في غير بيت منها،كما اثبت له في الجذوة بيتين في التغزل (ج).

وقد منيت ترجمة هذا الاديب بشيء من الغلط والتصحيف في بعض مراجعها، ومن هذا ان صاحب الجذوة اخر وفاته عن تاريخها بقرن كامل؛ فجعلها سنة 762 عوض 662،وتبعه في هذا بابا في النيل، ولا شك ان هذا سبق قلم ليس الا، وكذلك البغية طوحت بنسبته من فاس الى فارس؛ حيث جاء فيها الفارسي بدل الفاسي وبديهي ان هذا تصحيف مطبعي لا غير.

37

ابو الحسن علي بن مروان الرباطي

466 من كتاب وشعراء هذا العهد، ذكره - عرضا - في النفح (1) نقلا عن ابن سعيد، واثبت له شيئا من النثر والشعر، فمن النثر رسالتان موجزتان خاطب بهما المؤرخ ابن الربيب، ومن الشعر اربع قطع، كل قطعة بها ثلاثة ابيات، الاولى (ق) يبرر بها ضنه بكتبه وبخله باعارتها. الثانية (ق) يتأسف فيها لحالة والده، الثالثة (ر) في التغزل، الرابعة (ن) اوصى بها ان تكتب على قبره.

اولئك هم الادباء الذين وقفت على ما اشرت له من آثارهم الادبية نثرا وشعراء وينبغي أن نذيل عليهم بالادباء المغاربة الآخرين الذين لم اعثر لهم على اثر يذكر، وانما وقفت على وصفهم بالشعر او الكتابة؛ وهذا موضوع:

القسم الثاني

38

علي بن خلف بن غالب الانصاري القصري

568

اديب شاعر. ترجمه في التكملة 1870 و 2380. والصلة 201 والجذوة 297.

39

محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الانصاري الطنجي

585

من اهل الادب والشعر، وله ترجمة في التكملة 1059.

40

محمد بن حسن بن عطية السبتي المعروف بابن الغازي

بضع 590

له حظ من قرض الشعر، كما هي عبارة التكملة 1060 في ترجمته.

41

ابـو الصبر ايوب بن عبد الله بن احمد الفهري السبتي

609

من شعراء هذا العهد، ترجمته في التكملة ج 536 والجذوة 100.

42

عياض بن محمد حفيد القاضي عياض الشهير السبتي

630 - 561

فصيح لسن، شاعر مفوه، ترجمه في التكملة 1947. والصلة 322 والديباج 172 .

43

ابو عمرو عثمان بن دحية السبتي اخ ابي الخطـاب

634 - 546

من ادباء هذا الجيل، لكنـه كان مولعا بالتقعير في كلامه ورسائله لهجاً بذلك، ترجمه في الوفيات (1) 482. والتكملـة 1837 والصلة 140. والبغيـة 322. والنفـح (1) 366 والشـذرات (5) 168.

ومن سوء حظ ابي عمرو ان لم يثبت ترجمته صاحب عنوان الدراية، فيذكر بعض آثاره الادبية؛ كما ذكر ذلك في ترجمة اخيه السالف الذكر ابي الخطاب.

44

احمد بن محمد بن احمد التميمي البكري السلوي الاصل المراكشي النشأة

641 - 581

وافر الحظ من الآداب، شاعر محسن، ترجمه في البغية 156-157. والاعلام (1) 351 - 352 .

45

ابراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ مـهدي المكناسي

666 - 600

اديب شاعر، وله ترجمة في البغية 190 .

46

ابو الربيع سليمان بن مخلوف الحضرمي

يعرف بابن البقال وابن تاعظميت عند اهل اغمات، وبسليمان آحضري عند الموحدين، من رجال الكتابة، كان يكتب الرسائل عن اذن المهدي ابن تومرت، ذكره في المقتبس من كتاب الانساب 33.

47

ملول بن ابراهيم بن يحيى الصنهاجي

فصيح بديه بالالسن، يكتب بالسريانية والرموزيات وغير ذلك وينفد في ذلك، وكان كاتبا مع المذكور قبله عن المهدي بن تومرت اورده في المصدر المذكور 39.

48

ابنه يعقوب بن ملول

احد كتبة الخليفة عبد المومن. المصدر 40.

ونختم سلسلة الادباء على هذا العهد بذكر الشاعرين الذين اسلفت انه لم تقم لدي الادلة الكافية على مغربيتهما الاقصوية؛ فلذلك ذكرتهما على حدة في هذا.

القسم الثالث

49

الشيخ الشاعر السبتي

جاء في آخر الفتوحات المكية باب الوصايا (4) 551 ما ياتي: ولقد وفد علينا ونحن باشبيلية شيخ شاعر يعرف بالسبتي من قرطبة رحمه الله، ولم يكن للسبتي موضع ينزل فيه،فكتب الى صاحب الديوان ابي عبد الله ابن كعب:

اتحفل بالفرزدق والكميت — وفي قيد الحيا شعر السبيتي

يروعني بشعرهما اناس — وجهلا روعوا حيا بميت

لئن اسكنتني بيتا رفيعا — لتسكن من ثنائي الف بيت

فوقع له صاحب الديوان ببيت ينزل فيه، واعتذر اليه ووصله بنفقة

50

محمد بن محمد البربري

اثبت له ابن فضل في المسالك (خ).والقلقشندي في صبح الاعشى(5) 162 بيتين من شعر له يمدح به الموحدين، ويصف دار الضيافة المعروفة بدار الكرامة بمراكش:

خير قوم دعوا الى خير دار   هي للملك نضرة وكمامة
عالم السبعة الاقاليم فيها   وهم في فنائها كالقلامة



نماذج من أدب هذا العهد

I النـثـــــــــــــر

1 الكتابة

(1) الديوانية:

من رسالة من انشاء الكاتب ابي عقيل بن عطية عن الخليفة عبد المومن ؛ الى طلبة تلمسان يعلمهم بفتح قسنطينة، ويخبرهم بانابة يحيى بن عبد العزيز صاحب بجاية الى التوحيد :

... وهذا كتابنا اليكم ؛ كتب الله لكم فيما خولكم النماء والزيادة. ومكن في تمكينكم واصلاح شؤونكم الانالة والافادة، وبسط في ارجائكم ومتعلقات رجائكم اليمن والسعادة. من حضرة بجاية - حرسها الله - عن احوال ترتب صلاحها على افضل وجوده، وفتوح تتابع افتتاحها في قريب المعمور وبعيده، وبشائر ينزه بشرها وسماحها عن الجري على معتاد الدأب المألوف ومعهوده، وآيات بينات اغنى تخيلها واتضاحها عن كل برهان ووجوده، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها في المستولية محصى العادة ومعدوده؛ نسأل الله سبحانه وقد بهرت البواطن والظواهر، وعمي الابصار والبصائر، تعظيم ما نشاهد ونعاين عونا يعين وينهض، وعملا يتخلص بشكر آلائه الباهرة ويمحض، وقوة لا تنتكث بالعجز عن اداء حقوقه ولا تنتقض.

وقد تقدم اعلامكم - وصل الله سروركم، وضاعف شكوركم - بما كان من صنع الله تعالى في فتح هذه البلاد؛ التي يسر مرامها

بحوله واقتداره، ونور ظلامها باضواء هذا الامر السعيد وانواره، وصير اباطحها وآكامها من مواطىء اوليائه وانصاره، وكيف كانت صورة الحال في درجها. وتصرف الانتقال من محصبها الى عرجها، وان أبا زكرياء يحيى بن العزيز بالله بن المنصور بن الناصر وجميع اخوته وقرابته وخؤوله حين اتاهم الرائد الذي لا يكذب اهله، وانتحاهم القائد المبيح وعر المنتحى وسهله: لم يكن لهم بد عن التولي عن قرارهم، والتخلي عن اوطانهم واقطارهم: لامر قضى الله فيه لهذا الامر المبارك بخير قضائه. وشأن طوى الخيرة درج تضمنه واقتضائه، فكان مأمهم الذي اعتقدوا منعته وحصانته. واعتمدوا ثقته عليهم وامانته: بلد قسنطينة - عمره الله - لكونه بحيث لا ينال بقدرة مخلوق، واين يستعلى بامتناعه على كل ملحوظ بعين المحاربة او مرموق، وكانت جمل من عساكر الموحدين حين احتلال الجملة المذكورة فيه، واعتدادهم في عداد من يحويه ويؤويه، بجهة القلعة - حرسها الله - على اثر فتحها الميسر، ونيل اجرها على الوجه المتخير، فانهض منهم بعون الله الى تلك الجهة من رجى الخير في انهاضه، وحض على خدمة هذا الامر وإعراضه. فحين ألم الناهضون المذكورون - وفقهم الله - بجهات قسنطينة - حرسها الله - فتح لهم الفتح الذي تقدم اليكم بيان القول فيه واعرابه، واورد عليكم ابداع القدر في تقريبه واغرابه، وعلمتم كيف انهزمت له جموع الضلال واحزابه. وحل الموحدون هناك - وفقهم الله - بساحة ذلك القطر وذراه، وغشيهم منه ما غشيه وغراه، وما ترك القطا به ان يقطم كراه.

وكان التخييم الملاصق، والتدويم المراهق: والحق يتجلى، والنصر يتولى من اظهار الطائفة العزيزة ما يتولى، الى ان صرف الله ألباب

القوم المذكورين الى قبلة الاصابة، واراهم ان النجاة في جانب هذه العصابة، والحياة في قرارها الذي هو مقر قرار اليمن والمثابة، فاتفق رأيهم على انفاذ جماعة منهم؛ فيهم اخو ابي زكرياء وشيوخ صنهاجة، وقسنطينة معتصمين بهذه العروة الوثقى، مستسلمين للامر الذي لا يقابل بعناد ولا يلقى، سائلين من التامين والابقاء ما يدوم خبره للمحق السائل ويبقى، ووصلت الجماعة المذكورة الى هذه الحضرة المحروسة، يسعى املها بين يديها، ويعرف القصد عما لديها، واذهبت ما تحملته من المخاطبة، وامته لها وان وراءها من حسن العاقبة، فمن الله على جميعهم بتيسير مطلبهم، واجمال منقلبهم؛ وصدروا الى مرسلهم تتهلل اسرتهم، وتتجمل بحلل العافية والنعمة الصافية كرتهم، فاتوا قومهم على تطلع الى بشراهم، وتمتع بطيب ذكراهم، واعلموهم بالصنع الذي عرفهم تعظيم صنع الله وأدراهم، فرأوا اجمعين ان الله سبحانه سنى لهم بفضله غاية ما طلبوه، ورزقهم من حيث لم يحتسبوه: ووهبهم من ايواء الفضل وقبوله فوق ما استوهبوا، حين لم يكن لهم منجى الا الذي نزحوا عنه وغربوا، وفتحوا ابواب المدينة المذكورة عند تيقن الامر وتحققه، وتعرف سنة هذا الامر المبارك وعظيم خلقه؛ وخرجوا عن آخرهم فرحين بفضل الله ورحمته الواسعة، مستظلين بظلال هذه الدعوة المحيطة الجامعة، ودخل القطر من امناء الموحدين وغزاتهم - وفقهم الله - من امر بعمارته، والاستقرار في قرارته، واستقبل ابو زكرياء المذكور ومن معه - وفقهم الله - هذه الجهة - حرسها الله - على احسن حال، واكرم واقبال.

واتم الله نعمته بهذا الفتح المحيط، والصنع المبسوط، اتماما بلغ الأمل غاية مأموله، والسائل كافة مسؤوله، فذلك القطر هو الطرف

الاعلى، والرابط الاحق الاولى، ورأس الجسد الذي استتبع بعضه بعضا واستتلى؛ وبه انعقدت روابط هذا الاقليم العظيم وقواعده. وفقدت ضرر من كان ينوي الضرر فواقده، ومعه متأتى جمع شمله وضمه، وامساك شانه كله وعزمه، وبه ختم كتابه وكرم الكتاب ختمه. والله نساله بشكر هذه النعم المتظاهرة عونا ممدودا، وحولا بمعاقد المعونة الربانية معقودا، وقوة تلقى من حمدها الى كل جديد منها جديدا؛ بمنه. مجموع رسائل موحدية 23 ـ 26

(2) الاجتماعية:

(أ) من الرسالة المعروفة برسالة الفصول . انشأها الكاتب ابو جعفر بن عطية عن اذن الخليفة عبد المومن الى اهل بجاية.يوصيهم باقامة الحدود وحفظ الشرائع واظهار الحق بلزوم الواجبات:

...وابتدئ باول مباني الاسلام فآخذ الناس بعلم التوحيد الذي هو اساس الدين ومبناه، وروحه ومعناه، والقاعدة التي لا يثبت عمل دون تأصيلها، والرابطة التي لا يقبل دين دون تحصيلها؛ فلا سبب لمن لم يتمسك بسببه، وقد بنى وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم به، وهو اثبات الواحد ونفي ما سواه. بتقييدات في الشريعة لا يكفي معها اطلاق اللفظ دون تحقيق معناه؛ وذاك ان يعلم على وجهه وحدّه، ليكون عن علم لا عن ضده، وعن يقين لا عن شك، وعن اخلاص لا عن شرك، وان يقوله مع العمل، ولا ينكل، ويؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به ان يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من اوله الى آخر القول في المعجزات، ويحفظوه ويفهموه، ويلازموا قراءته ويتعهدوه، ويومر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة

العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهم والتبين والتنبه والتبصر. ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي اولها: «اعلم ارشدنا الله واياك» وحفظها وتفهمها، وأشمل في هذا الالزام الرجال والنساء والاحرار والعبيد، وكل من توجه عليه التكليف، اذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد، فمن لم يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل ولا بالرسالة، ومن حصل على مثل هذه الحالة، فقد تعثر في اذيال الضلالة، فان لم يبادر الى التخلص منها، والانفصال بالعلم عنها، فقد وجب عليه حكم الكتاب ولا عنت في اراقة دمه لامحالة.

وآخذوا باقامة الصلاة التي هي الكتب الموقوف على المومنين، والحكم المثبوت على كل من آمن بهذا الدين، والناهية عن الفحشاء والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين؛ ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة؛ فهو ممحو من ديوان المومنين؛ ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع من الوظائف والقوانين، وتاركها ميت في عداد الاحياء؛ لخشاشة تقضى عند انقضاء امد الامهال والاملاء، فخذوا من قبلكم باقامة الصلاة على ما شرعت، وادائها بحسب ما فرضت، وخذوا العوام ومن في الديار بحفظ ام القرآن وسورة معها؛ وما يتسر من القرآن لتتم صلاتهم ويكمل عملهم، ومن اضاع الصلاة واهملها ولم يبادر الى اداء ما فرض عليه منها فاجله للحين متاح. وقتله بحكم الكتاب والسنة واجب.

وخذوا بايتاء الزكاة، وبالكشف عن مانعيها وتشخيص ممسكيها او النزر اليسير منها. فالزكاة حق المال، والجهاد واجب على من منع منها قدر العقال، فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة، فمن منع فريضة كمن منع الفرائض كلها، ومن منع عقالا فما فوقه كمن منع الشرع كله.

وآمر بالنظر في الربوب وتمييزها، والهجوم على بائعها ومدمني شربها ومستعمليها،فيراق مسكرها، ويقطع منكرها. وليعمد الى من عمل المسكر الحرام عامدا، وشربه مدمنا عليه ومعاهدا، ولم تردعه الحدود، ولم تقيده القيود، ولم يعظه الاعتبار، ولم ينفعه الاذكار، فيمحى اثره، ويحذف خبره، فالخمر ام الكبائر، وجماع الاثم وكاشفة شمس العقل، والبلاغة على كل قبيح من الفعل، والفاتحة كل مرتج من ابواب العصيان، وهي رجس من اعمال الشيطان.

وآمر بالكشف عن التلصص والحرابة، والتولج في مكان من الريب والغواية، والاجتماع على السير الجاهلية من الملاهي على فنونها وانواعها وضروبها واختلاف آلاتها؛ وما يتبعها من المناكر الناشئة عن اصل الجهالة، والافعال المنافية للشريعة الصادرة على اهل الذراعة والضلالة من الرجال المفسدين، والغواة المضلين، ومن النساء المفسدات، المفننات في طرق الغوايات. فاكشفوا عن هذه الاصناف واثيروهم عن مكامنهم، ونقبوا عليهم في مظانهم، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنة باستصحاب حاله، وتماديه على الاحضار في محل باطله ومحاله، فيحكم كتاب الله - جل اسمه - عليه، وتطاع سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فيه.

وليكشف عن الذين يغرمون الناس ما ليس قبلهم، وياكلون بالباطل اموالهم. وعن اهل العناد والتقاعس والاخلاد، والتثبط الذين اذا دعوا الى الجهاد، ونودوا الى الصلاح والرشاد، صموا عن النداء وتلوموا في اجابة الدعاء، والقوا المعاذير المعربة عن العناد، والناطقة عن الضمائر المتلئة بسوء الاعتقاد، وعن القبائل الباقية على سير الجاهلية من الهرج فيما بينهم والقتل والفساد، والخبل والانقياد الى

سلطان الجهل والخروج عن قانون الحق وضبط الامر، وعن اهل النفاق والتدليس، الناطقين بما لا يعملون، والقائلين ما لا يفعلون. فاذا تعينوا على التحقيق، فليمض عليهم حكم الله تعالى الذي امر به فيهم. مجموع رسائل موحدية 131 - 134. كتاب اخبار المهدي للبيدق 139 - 142.

(ب) من رسالة السيد ابي الربيع الموحدي الى ناحية سجلماسة: جوابا عن رسالة ملك غانة بالسودان ينكر عليه تعويق التجار.

...نحن نتجاوز بالاحسان، وان تخالفنا في الاديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألف على الرفق على الرعية، ومعلوم ان العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة، والجور لا تعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة، وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده، وتردد الجلابة الى البلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من اهل تلك الناحية، لكنا لا نستصوب فعاله، ولا ينبغي لنا ان ننهى عن خلق ونأتي مثله. نفح (2) 100.

(ج) ابو حفص الاغماتي يحذر من الدنيا واهلها، ويحض على علم الكتاب والسنة:

هذه الدنيا - حفظك الله - كما قد علمته، فاعرض بحلمك عن جهلها، وارغب بنفسك عن اهلها، واذكر قبائح انبائها، واصرم وصل ابنائها، لا ترتع في روضهم، ولا تكرع في حوضهم، وقل الله ثم ذرهم في خوضهم، واذا مررت باللاغين بذكر محاسنها، اللاهين بحسن ظاهرها عن قبح باطنها، فاله عن لهوهم، ومر كريما بلغوهم، مر المهتدي في سيره، واعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، فالسيادة والسعادة في نبذها، لا في اخذها، وفي تركها لا في دركها، واليك عن وصلها اليك، وعليك بهجرها عليك، واتل قوله تعالى:

«ولا تمدن عينيك»، وقوله تعالى: «ولا تعد عيناك عنهم». واحرص ان لا تكون منهم؛ فزخرف الدنيا في نظر العين زين، وفي نظر العقل شين؛ فغمض عينيك تبصر، ولا تمدها واقصر؛ جعلنا الله ممن نظر بقلبه، وابصر بلبه، فاولوا الالباب والفكر؛ المخصوصون بالذكر، والعلم ارفع المزايا، واوسع العطايا، هو غاية المنال والمدرك، من ناله اي شيء فاته، ومن فاته اي شيء ادرك؟!... ولا علم الا علم الكتاب والسنة، هما افضل العطايا والمنة، فمن علمهما ونظر فيهما وعمل بهما؛ نال غاية السعادة، وادرك منتهى السيادة؛ قال الله تعالى لنبيه الكريم: «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم»، هذه المزايا العالية، والعطايا الواسعة الباقية، لا ما نهت عنه الآية الثانية، جعلنا الله ممن ابصر رشده، وذكر مراده، ووجه اليه قصده، ورأى في اول امره آخره، وابتغى فيما اتاه الله الدار الآخرة؛ بمنه وفضله آمين.

الازهار (2) 359 ـ 360.

(3) السياسية:

(أ) من رسالة للمهدي ابن تومرت يذكر مثالب المرابطين وما انعم الله به على الموحدين: (1)

...واعلموا وفقكم الله ان المجسمين والمكارين وكل من نسب الى العلم اشد في الصد عن سبيل الله من ابليس اللعين؛ فلا تلتفتوا

(1) تثبت هذا القسم من احدى رسائل ابن تومرت كانموذج الكتابة السياسية أول قيام دولة الموحدين ـ على ان عمدة ما ورد في هذا النوع من الكتابة عن المرابطين بعطلها ان تومرت وحده من غير ان نشاركه في رايه.

الى ما يقولون؛ فانها كذب وبهتان، وافتراء على الله ورسوله، وما نسبوكم اليه من الخلاف لله والرسول؛ فذلك خب وغش للمسلمين وخيانة لله ورسوله؛ يابى الله ورسوله ان يكون من تمسك بالحق واتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأناب الى الله، مخالفا لله ورسوله؛ بل المخالف لله ورسوله من اتبع الباطل وخطوات الشيطان.

فانتبهوا وفقكم الله لهذه الحيل؛ التي يحتالون بها على عيشهم ودنياهم حتى حملهم ذلك الافتراء على الله ورسوله، حتى عكسوا الحقائق وقلبوها؛ وحرفوا الكلام عن مواضعه، ونسبوا من دعى الى التوبة والتوحيد واتباع السنة الى الخلاف؛ وسموه مخالفا ببغيهم، وسموا من اتبع الباطل وخطوات الشيطان؛ من اتباع عادات الجهل والمداهنة؛ واكل الحرام وارتكاب الآثام؛ والاصرار على الكبائر والفجور؛ واكل الدنيا بالدين؛ واكل اموال الناس بالباطل؛ وسموا هؤلاء كلهم مطيعين، وسموا اتباع الباطل وخطوات الشيطان طاعة افتراء على الله ورسوله؛ فلا تلتفتوا الى تلبيسهم؛ ولا تنظروا الى تدليسهم، فانه ظهرت اباطيلهم وتعاضدهم على اخماد الدين؛ وتعاونهم على الاثم والعدوان؛ فويل لهم مما كسبت ايديهم؛ وويل لهم مما يكسبون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . . .

...واعلموا وفقكم الله ان الموحدين في الامن والامان، ونصر من الله وعافية وفضل منه واحسان؛ تتابعت عليهم النعم، وترادفت عليهم المنن؛ لله الحمد على ذلك؛ اشتغلوا بتعليم ما يلزمهم، والاهتمام في دينهم، والقيام بفرائضهم، والاستعداد للقاء ربهم، فالله يتم علينا وعليهم. ويوزعنا شكر انعمه، اذل الله لهم عدوهم، وقذف في قلوبهم الرعب وزلزل اقدامهم وانتقم منهم بجورهم، واخذهم بسوء افعالهم، اخذهم الله

في كل ناحية، وقطع الله لهم كل حيلة، هم في خزي وخسران، ورعب وخذلان، وذلك كله من حول الله وقوته لا منا؛ ولا من افعالنا، انما هو من وعد الله الذي لا يخلفه لأوليائه؛ وخزي من حاد الله ورسوله من اعدائه؛ ارسل عليهم جنودا لا قبل لهم بها؛ واظهر عورتهم وذلتهم لاوليائه؛ وكل من استند اليهم من حزب الشيطان من اوليائهم لا شك فيه ولا ريب ان من اعتصم بغير الله تعالى ضل سعيه، ومن اتكل على غيره خسر دنياه وآخرته؛ لا عاصم لمن اراد الله هلاكه. ولا حيلة لمن اراد الله فتنته.

والكفرة اليوم قد تبين للناس ما هم عليه من تبديل الدين وعكس الامور؛ وايثار الضلال على الهدى؛ وايثار العناد والطغيان، على العدل والاحسان؛ وايثار الاستنكاف والاستبكار على الاستسلام للامر والانقياد للحكم؛ وايثار الفساد في الارض على الاصلاح فيها، وقطع ما امر الله به ان يوصل من حسن الزاد، وحسن الاستعداد للمعاد، وحملهم الغي والبغي على ان جعلوا الحق باطلا؛ والباطل حقا، والكفر ايمانا، والايمان كفرا، والهدي ضلالا، والضلال هدى، والعدل جورا، والجور عدلا، من يهد الله فلا مضل له؛ ومن يضلل فلا هادي له، فقد كشف الله لعباده المومنين تلبيسهم، واظهر كيدهم الآن لا خفاء به، قد وضح سبيله. وكذلك الباطل؛ الا لمن سبقت عليه شقوته من الله. فقد تبين الرشد من الغي؛ فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها؛ والله سميع عليم، ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا. اعاذنا الله من الزيغ والزلل؛ وعصمنا من المحن والفتن، كتاب اخبار المهدي للبيذق 4 و 6 ـ 7.

(ب) من رسالة للمامون يوبخ فيها طائفة من جنده :

تبا لهمتكم المنحطة، وشيمتكم الراضية بأدون خطة، احين ندبتم الى حماية اخوانكم، والذب عن كلمة ايمانكم، نسقتم الاقوال وهي مكذوبة، ولفقتم الاعذار وهي بالباطل مشوبة، ولقد آن لكم ان تبدلوا حمل الخرصان الى مغازل النسوان، وما لكم ولصهوات الخيول ؟!.. وانما على الغانيات جر الذيول، امراؤنا الشعراء (35) .

(4) الادبية:

(أ) الوزير الكاتب: ابو جعفر ابن عطية يستعطف الخليفة عبد المومن،من رسالة: تالله لو احاطت بيّ كل خطيئة،ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في الوجود، وانفت لآدم من السجود، وقلت ان الله تعالى لم يوح في الفلك لنوح، وبريت لقدار ثمود نبلا، وابرمت لحطب نار الخليل حبلا، وحططت عن يونس شجرة اليقطين ، واوقدت مع هامان على الطين، وقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها، وافتريت على العذراء البتول فقذفتها، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة، وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوة، وذممت كل قرشي، وأكرمت لاجل وحشي كل حبشي، وقلت ان بيعة السقيفة لا توجب امامة الخليفة، وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة، واعتلقت من حصار الدار وقتل اشمطها بشعبة، وقلت تقاتلوا رغبة في الأبيض والاصفر، وسفكوا الدماء على الثريد الاعفر ، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا، وناولت من قرع سن الحسين قضيبا، ثم اتيت حضرة المعصوم لائذا، وبقبر الامام المهدي عائذا، لقد آن لمقالتي ان تسمع ، وتغفر لي هذه الخطيئات اجمع ، مع اني مقترف، وبالذنب معترف.

فعفواً امير المومنين فمن لنا   برد قلوب هدها الخفقان

النفح (3) 100 . الاستقصا (1) 153 .

(ب) عبد الواحد المراكشي يصف قصيدة ابن عبدون في رثا بني المظفر ؛ ملوك بطليوس من الاندلس:

...وفيهم يقول الوزير الكاتب الابرع ؛ ذو الوزارتين ابو محمد عبد المجيد بن عبدون؛ من اهل مدينة يابرة؛ قصيدته الغراء، لا بل عقيلته العذراء؛ التي ازرت على الشعر، وزادت على السحر، وفعلت في الالباب فعل الخمر، فجلت عن ان تسامى، وانفت من ان تضاهى، فقل لها النظير، وكثر اليها المشير، وتساوى في تفضيلها وتقديمها باقل وجرير، فلله هي من عقيلة خدر، قربت بسهولتها حتى اطمعت، وبعدت حتى عزت فامتنعت، اوردتها في هذا المنصف وان كان فيها طول مخرج عن الحد الذي رسمته؛ مخل بالتلخيص الذي شرطته، لصحة مبانيها، ورشاقة الفاظها، وجودة معانيها، سلك فيها ابو محمد رحمه الله-طريقة لم يسبق اليها، وورد شريعة لم يزاحم عليها، فلذلك قل مثلها، لا بل عدم، وعز نظيرها فما توهم ولا علم، المعجب 49.

(ج) أبو الخطاب ابن دحية يرثي بغداد وخلفاءها العباسيين، ويستعرض الشيء الكثير من الدول والاعيان الذين ذهبوا وماتوا، وقد ختم بهذه المرثية النثرية كتابه: النبراس في تاريخ بني العباس، وقال بعد كلام:

...واخذت من طريق خوزستان ؛ الى طريق حلوان، وقاسيت من الغربة اصناف الالوان، ومررت على مدائن كسرى أنو شروان وزرت بها قبر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم-الزاهد العابد المعمر: سلمان، واعملت منها السير والاغذاذ، الى مدينة بغداد، فنظرت اليها

معالم وربوعا؛ واقمت مرة عاما؛ ومرة اسبوعا واسبوعا، وانا ابدي في نداثهم واعيد، والترب قد علا على منازلهم والصعيد، واسأل عن الخلفاء الماضين وانشد، ولسال الحال يجاوبني وينشد:

ياسائل الدار عن اناس ليس لهم نحوها معاد
مرت كما مرت الليالي اين جديس واين عاد؟!

بل اين أبو البشر آدم الذي خلقه بيده الكبير المتعال؟!. أين الانبياء من ولده والارسال؛ اهل النبوة والرسالة؛ والوحي من الله ذي الجلالة، أين سيدهم محمد الذي فضله عليهم ذو العزة والجلال، وجعله شفيعهم مع امته والناس في شدائد الأهوال، اين القرون الماضية والأجيال، اين التبابعة والأقيال، اين ملوك همدان، اين اولو الابلق الفرد او غمدان، اين اولو التيجان والاكاليل، اين الصيد والبهاليل، بل اين النمارذة واكبرهم نمروذ ابراهيم الخليل، اين الفراعنة ومن هو بالسحر عليم؛ الذين منهم فرعون موسى الكليم، اين ملك الهدنانية؛ هدد بن بدد الكردي؛ الذي لم يكن غدره بمفيد له ولا مجدي؛ وقد اخبر الحق جل جلاله عنه انه كان ياخذ كل سفينة غصبا، وزعم المؤرخون انه كان ايضا يملأ القلوب رعبا؛ ويسوم اصحابه قتلا وصلبا، مع الطمع في المال؛ وعدم النظر في عقبى المآل، اين الفرس وملوكها، وعدلها وعدولها. اين دار ابن دارا بن بهمان، اين اسكندر بن فلبش اليوناني الذي غلبه وملك بلاده في ذلك الزمان؛ واطاعه جميع ملوك الاقاليم، وقدر الله به امتحان الخلق ذلك تقدير العزيز العليم، اين كسرى وقيصر، غلبهما من الموت الاسد القشور، بعد ان اخرجهما من بلادهما امير المومنين ابو حفص عمر، لما ظهرت الملة الحنيفية كما ظهرت الشمس وبدا القمر.

اين اولاد جفنة وملوك غسان، اين مماديح زياد وحسان، اين هرم ابن سنان، اين الملاعب بالسنان، اين اولاد مضر بن نزار بن معد بن عدنان، اين بنو عبد المدان، اين ارباب الغواص، اين قيس بن عاصم، اين العرب العرباء الامة الفاضلة؛ والجماعة المناضلة، اين اولو البأس والحفاظ، وذو الحمية والاحفاظ؛ حيث الوفاء والعهد والحباء والرفد، الى علو الهمم والوفاء بالذمم، والعطاء الجزل، والضيف والنزل وهبة الإفال والبزل، وانها لا تدين عزا ولا تقاد؛ ولاترام انفة ولاتفادء اين قريش المغرورة في الجاهلية بالحي اللقاح؛ والشعب الرقاح، اين الماضون من ملوك بني امية؛ ذوو الالسن الذلق والاوجه الطلق والحمية، اين خلفاء بني العباس بن عبد المطلب؛ الذين شرفهم بالاصالة وليس اليهم بالمنجلب، ذوو الشرف الشامخ، والفخر الباذخ، والخلافة السنية الرضية، والمملكة العامة المرضية.

بلغتنا والله وفاتهم ولم يبق الا ذكرهم وصفاتهم، قبض ملك الموت ارواحهم قبضا، ولم يترك لهم حراكا ولا نبضا، ومزق الدود لحومهم قددا، ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا؛ الا ما كان من اجساد الانبياء عليهم افضل الصلاة والتسليم، فان الله تعالى حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء وقد تكلمت على هذا الحديث واثبت انه من الصحيح لا السقيم، وخرجت طرقه في كتابي العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم.

فما ابعد المرء عن رشده وما اقصاه؟! كم وعظه الدهر وكم وصاه، يخلط الحقيقة بالمحال، والعاطل بالحال، ولا توبة حتى يشيب الغراب، ويالف الدم التراب، فيالهفى لبعد الدار، وانقضاض الجدار، وانت هامة ليل أو نهار، وقاعد من عمرك على شفا جرف هار، تقرأ العلم وتدّعيه؛

ولا تفهمه ولا تعيه، فهو عليك لا لك، فاولى لك ثم اولى لك، اما آن للميل الغي ان تنجلي احلاكه، ولنظم البغي ان تنتثر اسلاكه؛ وان يستفظع الجاني جناه، ويأسف على ما اقترفه وجناه، وان يلبس عهاده بتا، ويطلق الدنيا بتا، ويفر منها فرار الاسد، ويتيقن انه لا بد من مفارقة الروح الجسد.

نبهنا الله تعالى من سنات غفلاتنا، وحسن ما ساء من صنائعنا الذميمة وسلاتنا، وجعل التقوى احصن عددنا واوثق آلاتنا، اللهم اليك المآب، وبيدك المتاب، قد واقعنا الخطايا، وركبنا الاحرام رواحل ومطايا، فتب علينا اجمعين، وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين الطائعين، وصلى الله على سيدنا ولد آدم محمد شفيعنا يوم القيامة، وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود والكرامة، وعلى آله الطاهرين، واصحابه اهل الرضوان المنتخبين، وسلام الله عليه وعليهم الى يوم الدين. النفح (3) 61 ـ 63.

(5) الاخوانية:

(أ) رسالة ابي الحسن علي بن مروان الرباطي، وقصتها انه ذكر لابن الربيب المؤرخ ان عند ابي الحسن نسخة جليلة من تاريخ عريب، فارسل اليه في استعارتها فكتب اليه:

يا أخي سدد الله آراءك، وجعل عقلك امامك لاوراءك؛ ما يلزمني من كونك مضيعا ان اكون كذلك، والنسخة التي رمت اعارتها هي مؤنسي اذا أوحشني الناس، وكاتم سري اذا خانوني، فما اعيرها الا

بشيء اعلم انك تتاذى بفقده اذا فقد جزء من النسخة، وانا الذي اقول:

انس اخي الفضل كتاب انيق او صاحب يعنى بود وثيق
فان تعره دون رهن به تخسره اوتخسر وداد الصديق
وربما تخسر هذا وذا فاسمع رعاك الله نصح الشفيق

نفح (1) 466.

(ب) كتب ابو القاسم عبد الكريم بن عمران القصري الى ابي عبد الله محمد بن علي بن العابد الفاسي، يستقرضه بعض قريضه بعد ان شافهه بذلك،ووعد به فمطل:

. .أيها الشاعر المفلق، قولة منصف لا متملق، بقيت وللعصر بك اختيال، ولزهر الآداب من خمائل شمائلك انثيال، ومهما ذكر القريض بتصريح او بتعريض، فالناس فيه على براعتك عيال، اقتضى الود الذي لم نزل نتعاطاه تعاطي الجريال والاعتدال(1)
في مجرة برودها سابغة الاذيال، أن اهز عطف
انطباعكم عنصر طباعكم السيال،
واقتضى منكم دينا ما احمل اللوم
صرف الليالي، فبعثت بهذه الرقعة على ما ترون بها من
جدب سجع في مصوح هشيم ها مراد ولا
لمتطلع في تصفح مرسومها ظمي فلعب بخواطرها
ش لمواطرها رقص الال تشير بمعطل جيدها قلائد
النظم ومجيدها اشارة من راقها لديه لالاء اللآل فكيف بها اذا

---

(1) بياض بالاصل، وكذا الآتي بعده في هذه الصفحة.

ففتح لها الباب. وكرعت في فم ذلك العباب ، واشتملت من مصون ذخائره (1) اللباب ،فهنالك تبرد الأوام ،وتنثى بفرادى من فرائد البديع وتوام، ولا تزال تصرح بالثناء عليكم مترنمة كورقاء في فروع الايك مهيمنة، وفي دوح سراوتكم ان شاء الله تجد الظلال وترد الزلال، وتحل حيث حل من وسنى المقل الخيال، فتصدق عليها واوف المكيال، والله يهنيكم ما منحكم من محاسن رايقة وخلال، ويقين في آيات السحر الحلال، وسلام الله عليكم ما انحسر قناع الغيم عن جبين هلال ، ولبى المحرمون باهلال ، ورحمة الله وبركاته . (2)
الاعلام (3) 102 ـ 103 .

(ج) وقد اجاب ابن العابد كاتب هذه الرسالة ابا القاسم القصري بما ياتي :

.ايها البحر الوهوب لفرادى الجواهر والتوام. والحبر اللعوب باطراف الكلام، وقيت عين الكمال، وبقيت محروس الجمال؛ تتأنق لمن باراك في ارتياد البراعة؛ وتسبق من جارك بجياد اليراعة ، وتتبختر من ملابس السعادة في موشى برودها، وتظفر من اوانس الآمال المنقادة بشهي برودها. وصلتني رقعتك التي جلوت في اسطارها الكواعب، وعلوت باظهارها الكواكب، واظهرت في نظمها ونثرها السحر لمرتاده، وذكرت بمستاف عنبرها الشحر على نادي بلاده فقلت هذه غاية لا ابلغ مداها، وآية يتحدى بها من اهداها، فتوقفت عن الاجابة توقف الحسير، وانصرفت الى الاذعان،

(1) بياض بالاصل؛

(2) من سوء الحظ ان محى المطر كثيراً من هذه الرسالة وجوابها في نسخة الذيل التي احتفظت بالرسالتين. وبالرغم من ذلك اثبتهما على علاتهما لما في الباقي من دلالة على تفوق صاحبيهما في ميدان الكتابة.

(¹)
الاسير

وانشدت الخاطر وارجاءه داحب ابعدحول

فانى لاغترازه الا ان يساجل عبابك بهذه الصبابة ويعاجل

يرزق سواه من عدم الاصابة ،

ومجدك اسبل على هذه الهنات يعدل

من قابل تلك الحلل المسهمات في اسمال معاوزه، والله يبقيكم

تنظمون عقودها، والمآثر تحبرون برودها، والسلام عليكم ما اعـ

انابيب وانسدلت من الظلام جلابيب،

وهطلت من سماء بلاغتكم شآبيب، ورحمة الله وبركاته.

الاعلام (3) 103 - 104 .

(1) التوقيعات:

وكانت تصدر عن كثير من خلفاء الموحدين وبعض امرائهم توقيعات عريقة في الاجادة والصنعة؛ على ما يقدم اليهم من القصص او الشكاوي، لا سيما يعقوب المنصور؛ فقد كان مضرب الامثال في هذا الباب، وهذه امثلة من توقيعاتهم:

الآن وقد عصيت من قبل...

كتب ابو جعفر ابن عطية الى عبد المومن بقصيدته الآتية يستعطفه لما نكبه، فوقع عبد المومن على القصيدة: الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين. نفح (3) 101 .

ظهر الفساد في البر والبحر.

وطلب يعقوب المنصور يوماً من قاضيه ان يختار له رجلين

(1) بياض بالاصل، وكذا الآتي بعده في هذه الصفحة.

لغرضين؛ من تعليم ولد وحفظ امر، فعرفه برجلين قال في احدهما: وهو بحر في علمه، وقال في الآخر: وهو بر في دينه، ولما احضرهما المنصور واختبرهما؛ قصرا بين يديه، واكذبا الدعوى، فوقع على رقعة القاضي: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ظهر الفساد في البر والبحر. شرح رقم الحلل 58. نفح (2) 100.

ما لنا ولدفن الجبابرة

وامر المنصور القيم على اخيه عمر؛ وعمه سليمان بقتلهما.. ودفنهما؛ فقتلهما القيم المذكور صبرا ودفنهما، وكتب للمنصور يعلمه بذلك، ويقول: بنيت قبريهما بالكدان والرخام، وجعل يذكر حسنهما، فكتب اليه المنصور: ما لنا ولدفن الجبابرة، انما هما رجلان من المسلمين، فادفنهما كيف يدفن عامة المسلمين. المعجب 183 .

نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل

واتى قوم الى المنصور-ايضا-بفيل من بلاد السودان هدية؛ فامر لهم بصلة ولم يقبله منهم، وقال: نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل. النفح (2) 100

الجواب ما ترى لا ما تسمع...

كتب اذفونش الاسبان ليعقوب المنصور كتابه الشهير يستدعيه فيه للقتال، وبعد ما قرأ المنصور هذا الكتاب؛ دعى بولده وولي عهده محمد الناصر، ودفعه اليه وامره ان يجيب عنه، فقراه هذا الاخير؛ ثم مزقه وقلبه فكتب على ظهر قطعة منه: قال الله العظيم: ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون، الجواب ما ترى لا ما تسمع، وانشد بيت المتنبي متمثلا:

ولا كتب ألا المشرفية والقنا ولارسل الا الخميس العرمرم
القرطاس 140.

.. فاحذر فانك على شفا جرف هار.

وقع ابو الربيع سليمان امير ناحية سجلماسة الآنف الذكر، الى عامل كثرت الشكاوي منه: قد كثرت فيك الاقوال، واغضائي عنك رجاء ان تتيقظ فتنصلح الحال، وفي مبادرتي الى ظهور الانكار عليك تنبيه الى شر الاختيار، وعدم الاختبار، فاحذر فانك على شفا جرف هار. النفح (2) 100 ـ 101 .

يخرج هذا النازل، ولا يعوض بشيء من المنازل..

شكت امرأة الى المامون بن المنصور جنديا نزل دارها وآذاها، فوقع على رقعتها: يخرج هذا النازل، ولا يعوض بشيء من المنازل. امراؤنا الشعراء (35) .

(2) الخطابة

(1) السياسية:

لما مرض المهدي مرض موته استدعى قبل موته بأيام يسيرة اهل الجماعة واهل الخمسين ، فلما حضروا بين يديه قام ـ وكان متكئا ـ فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله، وصلى على سيدنا محمد نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم انشأ يترضي عن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، ويذكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم، والعزيمة في امرهم، وان احدهم كان لا تاخذه في الله لومة لائم، وذكر من

حد عمر-رضي الله عنه-ابنه في الخمر، وتصميمه على الحق في اشباه لهذه الفصول، ثم قال:

فانقرضت هذه العصابة نضر الله وجوهها، وشكر لها سعيها، وجزاها خيرا عن امة نبيها، وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيرانا، والعالم متجاهلا مداهنا، فلم ينتفع العلماء بعلمهم؛ بل قصدوا به الملوك واجتلبوا به الدنيا واما لوا وجوه الناس اليهم، في اشباه لهذا القول الى هلم جرا، ثم ان الله سبحانه -وله الحمد- من عليكم ايتها الطائفة بتأييده، وخصكم من بين اهل هذا العصر بحقيقة توحيده، وقيض لكم من الفاكم ضلالا لا تهتدون، وعميا لا تبصرون، لا تعرفون معروفا، ولا تنكرون منكرا، قد فشت فيكم البدع واستهوتكم الاباطيل وزين لكم الشيطان اضاليل، وترهات انزه لساني عن النطق بها، وأربأ بلفظي عن ذكرها، فهداكم الله به بعد الضلالة، وبصركم بعد العمى، وجمعكم بعد الفرقة، واعزكم بعد الذلة، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين، وسيورثكم ارضهم وديارهم، ذلك بما كسبته ايديهم واضمرته قلوبهم، وما ربك بظلام للعبيد، فجددوا لله-سبحانه-خالص نياتكم، واروه من الشكر قولا وفعلا ما يزكي به سعيكم، ويتقبل اعمالكم لينشر امركم، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء وكونوا يدا واحدة على عدوكم، فانكم ان فعلتم ذلك هابكم الناس واسرعوا الى طاعتكم؛ وكثر اتباعكم واظهر الله الحق على ايديكم، والا تفعلوا شملكم الذل، وعمكم الصغار؛ واحتقرتكم العامة فتخطفتكم الخاصة، وعليكم في جميع اموركم بمزج الرأفة بالغلظة واللين بالعنف، واعلموا مع هذا انه لا يصلح امر آخر هذه الامة الا على الذي صلح عليه امر اولها، وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه اميرا

عليكم، هذا بعد ان بلوناه في جميع احواله من ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه، واختبرنا سريرته وعلانيته؛ فرأيناه في ذلك كله ثبتا في دينه، متبصرا في امره، واني لارجو ان لا يخلف الظن فيه، وهذا المشار اليه هو عبد المومن، فاسمعوا له واطيعوا ما دام سامعا مطيعا لربه، فان بدل او نكص على عقبه او ارتاب في امره، ففي الموحدين اعزهم الله بركة وخير كثير، والامر امر الله يقلده من شاء من عباده.

المعجب 125 ـ 127

(2) الاجتماعية:

من خطبة لابي حفص الاغماتي يحذر فيها من بعض اصناف الفلسفة والفلاسفة، ويحض على التمسك بالكتاب والسنة:
...فاياكم والقدماء ـ الفلاسفة ـ وما احدثوا، فانهم عن عقولهم حدثوا، اتوا من الافتراء بكل اعجوبة، وقلوبهم عن الاسرار محجوبة. الانبياء ونورهم، لا الاغبياء وغرورهم، عنهم يتلقى وبهم يدرك السول، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول، الدين عند الله الاسلام، والعلم كتاب الله وسنة محمد عليه السلام، ما ضر من وقف عندهما ما جهل بعدهما، خير نبي في خير امة؛ يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، داهم من قرب عليه، واختصر لهم الطريق اليه، فما ضر تلك النفوس الكريمة؛ والقلوب السليمة، والالباب العظيمة؛ ما زوي عنها من العلوم القديمة، نقاهم من الاوضار والادناس، وقال كنتم خير امة اخرجت للناس، كتابهم اعظم كتاب انزل، ونبيهم اكرم نبي ارسل، السيد الامام، لبنة التمام، خير البرية على الاطلاق، بعث ليتمم مكارم الاخلاق، أنزل الكتاب اليه، مصدقا لما بين يديه

من الكتاب ومهيمنا عليه، هو الشفاء والرحمة، وفيه العلم كله والحكمة. معجز في وصفه. عزيز في وصفه، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، آياته باهرة قائمة، ومعجزاته باقية دائمة. اذ هي للنبوة والرسالة خاتمة، لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه. ما ذا اقول وقد بهر العقول، حسبي حسبي: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي... رحلة العبدري (خ).

(3) الوصية

(أ) لما دنت وفاة يعقوب المنصور، جمع بينه والموحدين ووصاهم بوصويا منها: ايها الناس اوصيكم بتقوى الله، واوصيكم بالايتام واليتيمة، فقيل له: وما الايتام واليتيمة؟ فقال: الايتام أهل جزيرة الاندلس وهي اليتيمة، فاياكم والغفلة عما يصلحها من تشييد الاسوار، وحماية الثغور، وتربية اجنادها، وتوفير رعيتها، ولتعلموا اعزكم الله انه ليس في نفوسنا شيء اعظم من همها، ولو مد الله لنا في الخلافة الحياة لم نتوان في جهاد كفارها، حتى نعيدها دار اسلام، ونحن الآن قد استودعناها الله تعالى وحسن نظركم فيها، فانظروا للمسلمين واجروا الشرائع على منهاجها. حلل **121 ـ 122**.

(ب) أوصى أبو موسى عيسى بن عمران التسولي الوردميشي ابنه لما كان يدرس بفاس بما ياتي :

...وقد اجمعت الامة على ان الراحة لا تنال بالراحة. وان العلم لا ينال براحة الجسم. فادرس ترأس، واحفظ تحفظ، واقرأ ترقى، ومهما ركنت الى الدعة، كنت في اهل الضعة، وما رأيت الناس مجتمعين

على حمده فاجتلبه، وما رأيتهم مجتمعين على ذمه فاجتنبه، والاعـدل الاقسط، أن تسلك السبيل الاوسط.

وما المرءُ الا حيث يجعل نفسه ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

القرطاس 172. الجذوة283.

(الحكمـة)

ويمكن ان نجد الحكمة المنثورة على هذا العهد فيما رواه ابـن العربي الحاتمي قال: سمعت محمداً بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبـد الكريم التميمي الفاسي بمدينة فاس العدل - اظن - في سنـة اربـع وتسعين وخمسمائة يقول: تكلم اربعة ملوك بأربع كلمات؛ كأنما رميت عن قوس واحدة قال كسرى: انا على رد ما لم اقـل اقـوى مني على رد ما قلت، وقال ملك الهند: اذا تكلمت بكلمة ملكتني وان كنت املكها، وقال قيصر ملك الروم: لا اندم على ما لم اقـل وقد ندمت على ما قلت، وقال ملك الصين: عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول. الفتوحات (4) 549.



II الشـــــــعـر

المـديـح:

ابن خبازة يمدح الرسول (ص) ويذكر جملة من مفاخره ومعجزاته:

حقيق علينا ان نجيب المعاليا — لنفني في مدح الحبيب المعانيا
ونجمع اشتات الاعاريض حسبة — ونحشد في ذات الالاه القوافيا
ونقتاد للاشعار كل كتيبة — لنصر الهدى والدين تردي الاعاديا
فالسن ارباب البيان صوارم — مضاربها تنسي السيوف المواضيا
لنطلع من امداح احمد انجما — تلوح فتجلو من سناه الدياجيا
كواكب ايمان تنير فيهتدي — باضوائها من بات للحق ساريا
سهوت بمدح الخلق دهري فهذه — سجودي لجبري كل ما قلت ساهيا
فلا مدح الا للذي بمديحه — تطيع اذا ما كنت بالمدح عاصيا

الى ان قال:

وكم آية خصت سراقة اذ مشى — على اثر المختار للغار قافيا
فشاهد آثارا من الخسف كادان — يكون لقارون السفاه مؤاخيا
ولما دعا بالهاشمي اجاره — فابصره في الحين من ذاك ناجيا
واصحبه منه ظهيرا مكرما — بخط ابي بكر يخيف الدواهيا
واخبره ان سوف يفتح امره — مدائن كسرى والبلاد الاقاصيا
ويجعل في كفيه من بعد فتحها — سواره مما يحرز الدين ساميا
فأنجزها الفاروق في حين فتحها — له عدة بالصدق فيها مباهيا
وآيته في خيمتي أم معبد — وفي الشاة اذ لم تبق تصحب راعيا
وفي الذئب اذا اقعى واخبر مفصحا — عن المصطفى والذئب ما زال عاويا
وفي الضب لما ان دعاه اجابه — وقال له: لبيك لبيك داعيا

وآيته اذ فارق الجذع فضله فحن اليه الجذع في الحال شاكيا
وان انشقاق البدر اعظم آية ترد على من كان للدين زاريا
وفي الجمل الآتي بحضرة صحبه ليشكو تكليف المشقة راغيا
وقصته في المحل لما دعا لهم فأبصرت سحبا كالجبال هواميا
وسال به وادي قناة لاجله ثلاثين يوما لم يزل متواليا
وفي قصة الزوراء للخلق آية وذكرى لعبد كان للذكر ناسيا
دعا باناء ليس ينقع ماؤه لقلته بالري من كان صاديا
ففاض نمير الماء بين بنانه وكان وضوءا للكتيبة كافيا
وركوته يوم الحديبية التي افاض بها الله البنان سواقيا
واشباعه الجم الغفير بقبضة من التمر حتى شاهدوا التمر باقيا
واخباره بالشيء من قبل كونه فيأتي على النص الذي قال حاكيا
فاخبر ذا النورين ان ستصيبه على الامر بلوى تعقب الاجر وافيا
واخبر عمارا بأن حياته سيقطعها بالقتل من كان باغيا
وقال لذي البطين اشقى الورى الذي سيخضبها من هامة الرأس عاصيا
يصادف نور الشيب ابيض ناصعا فيسقيه صوب الحتف احمر قانيا
ونص على السبط الشهيد بكربلا فقام له الدين الحنيفي ناعيا
وفي الحسن الزاكي ابان بانه سيصلح بين الناس للاجر ناويا
وقال لقوم : ان آخركم بها مماتا سيصلى جاحم الجمر حاميا
وقال: اذا ما مات كسرى فما ترى سميا له اخرى الليالي مساميا
وأخبر عن موت النجاشي حينه وبينهما البحر من الموج طاميا
وقال على قرب الحمام لبنته : تموتين بعدي فافرحي بلقائيا
وآيته جلت عن العد كثرة فما تبلغ الاقوال منها تناهيا
وأعظمها الوحي الذي خصه به فبلغ عنه آمرا فيه ناهيا

تحدى به اهل البيان باسرهم — فكلهم ألفاه بالعجز وانيا

وجاء به وحيا صريحا يزيده — مرور الليالي جدة وتعاليا

تضمن احكام الوجود باسرها — وحكم القضاء مثبتا فيه نافيا

وأخبر عما كان او هو كائن — يرى ماضيا او ما يرى بعد آتيا

ووافق اخبار النبيئين كلهم — وتمم بالغايات منها المباديا

وما كتبت يمناه قط صحيفة — ولا رئي يوما للصحائف تاليا

عليه سلام الله لا زال رائحا — عليه مدى الايام منا وغاديا

الجذوة 210 و 214 ـ 215 . أزهار الرياض (2) 384 و 389 ـ 392،

أبو حفص الاغماتي يمدح الخليفة يوسف بن عبد المومن :

الله حسبك والسبع الحواميم — تغزو بها سبعة وهي الاقاليم

سبع المثاني التي لله قمت بها — عليك من نصرها نص وتقديم

وانت بالسور السبع الطوال على — كل الورى حاكم بالله محكوم

والدهر سبعته وسبعة جعلت — خواد مالك والمنصور مخدوم

وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة — بوعد ربك هيهات التناجيم

تسمو بنفس على السبع الشداد سمت — فينا وثم لها زلفى وتكريم

أنوار عدلك في الآفاق داعية — هل في البسيطه ظلام ومظلوم؟

أعلى بك الله اعلاما هديت بها — فانت فيهن اكمال وتتميم

عليك اهل الهدى والحق متفق — وحبل من فارق الاجماع مصروم

ومنها :

فؤاده بضياء العلم منشرح — ووجهه بجمال النور موسوم

وكفه بطنها بالخير منهمر — وظهرها لعهود الله ملثوم

العلم قيمته ؛ والحلم شيمته — طابت أرومته والنفس والخيم

لطالبي العلم ما شاءوا بخدمته — غنى وعز وارشاد وتعليم

سحب العلوم عليهم من سماحته ... تهمي ففي بحرها هم شرع هيم
العين من نظر ، والاذن من خبر ... لا تشبعان وباغــي العلـم منهوم
يغضـي اذنـاة وحلما عالمـا ولـه ... في موضع الحق اقـدام وتصميم
تشتد فيمن عصى او خان وطأته ... وفي الثقاف لذات الزيغ تقويم
ارادة فوق ادراك العقـول لهـا ... فحسبهـا منـه ايمـاء وتسليـم
حتى اذا ما بدا منها النجاح بدت ... كالشمس ما دونها فى الجو تغييم
انظر خواتمها تفهـم مبادئهـا ... بالشرح ما ليس بالمفهوم مفهـوم
والحظ سماء علاها عبرة وكفى ... من ينسترق سمعها بالشهب مرجوم
ان الخليفـة سـر الله ظاهـرة ... آياتـه وهـو عـنـد الله معلـوم
فسلموا واخلعوا الآراء واتبعـوا ... حكم الامام فما في الدين تحكيم
الشرق والغرب من عرب ومن عجم ... في كفه عودهم بالقبض معجوم
والبحر والبر من سهل ومن جبل ... جميعها بزمـام الـرأي مخطوم

ومنها أيضـاً :

وكل مجد مفاد من علاملك ... نسيمـه نفس العليـاء مشمـوم
للمسلمين أمير الومنين حمى ... يحله من صروف الدهر تحريـم
الدهر في أنفه من حكمه بـرة ... بها الزمان على الابرار مخـزوم
العلم والدين والدنيـا وساكنها ... في سلك رأيك ياوسطاه منظوم
جـزاء سعيـك عنـد الله مذخـر ... هذا كتابك في الابرار مـرقوم
عطفا على حـر امداحي وان عجزت ... ان الجمال على العلات مرحوم
ما علقوا لو رأوا هـذا (قفا) و(ألا ... هبي) ولو جاءهم جحر وكلثوم
اذا لقـال لـراويه عليقـمـة : ... «هل ما علمت وما استودعت مكتوم؟»

ياسامعين اماديح الامام ألا فاجثوا على الركب الاعظام اوقوموا[1]

خذ كأس لفظي دهاقاً من مدائحه فيها الحقائق لا لغو وتأثيم

ندعو له بدلا من مدحه لقصو ر المدح عنه وفيه العذر معلوم

عز الامام فلا تضرب به مثلا من ذا يقاس به؟ والمثل معدوم

اعطى الورى فضل ما اعطاه خالقه عليه من ربه بشرى وتسليم

صل بالصلاة عليه صدق مدحته ذاك الرحيق بهذا المسك مختوم

أزهار الرياض (2) 362 ـ 364 . الجذوة 286

عبد الواحد المراكشي يمدح الامير ابراهيم بن يعقوب المنصور :

لكم على هذا الورى التقديم وعليهم التفويض والتسليم

الله أعلاكم وأعلى أمره بكم وأنف الحاسدين رغيم

أحييتم المنصور فهو كأنه لم تفتقده معالم وعلوم

ومحابر ومنابر ومحارب وحمى يحاط وأرمل ويتيم

الى ان يقول في ذكر ولايته اشبيلية :

فكانما حمص جمالا سارة وكان ابراهيم ابراهيم

وأرى طليطلة كهاجر أثرها سيرفها الادفنش وهو ذميم

ويقول فيها :

يذر الصليب صغيره وكبيره فيها جذاذا والعلوج جثوم

ويحرق الاعداء فيما أضرمت ويجوب نار الحرب وهي جحيم

المعجب 206 ـ 207 .

أبو الخطاب ابن دحية في سلطان مصر الملك الكامل من قصيدة :

---

1) لما قال ابو حفص هذا البيت قام جميع من في المجلس،وكان فيهم الشاعر ابو العباس الجراوي فاحتاج الى مشايعتهم لذلك؛ وثقل عليه لضخامته،فجعل وهو يحاول القيام يسب القاضي أبا حفص عمر ويشير الى انه انتصف منه . الازهار (2) 364 .

بأسيافه في الارض هدت كنائس　　وشيد للاسلام فيها جوامع
كتائبه منصورة بكتائب　　من الملا الاعلى وجبريل وازع
يهيم بمقراه جلال وهمة　　وتغنى بمغناه نفوس نوازع
فلا تطمعن فيه العدى قل حدهم　　ففي غير امر الله يطمع طامع
ليهنك ياعز الملوك بشائر　　توالى بها في المشركين وقائع
تدال بها ارض العدى بالعمى هدى　　يكسر ناقوس وتبنى صوامع
وتفتح قسطنطينة وتلاعها　　يتاح لها امر من الله قالع

عنوان الدراية 165 ـ 166 .

الامير عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد المومن يمدح الواعظ ابن رشيد البغدادي لما ورد مراكش من قصيدة :

بحر ولكنه عذب جواهره　　اصدافها شققتها منه اذهان
يبدي الجلي من المخفي منطقه　　كان الفاظه للسحر خزان
معنى رقيق ولفظ زانه زجل　　جزل يسدده للعقل برهان
تجمعت فيه اشباه محاسنها　　تفوق عدا اذا ما عد ديوان
اذا بدا صاعدا ادراج منبره　　غارت عليه من الابصار آذان
وان تكلم غار العين من حسد　　فاعجب فبينهما في ذاك شنآن
طورا يعلمنا طورا يخوفنا　　طورا يرجي فهذا الوعظ الوان
يا واعظا بهرت حسنا مواعظه　　عليك لا زال للرحمان احسان
ذكرت غافلنا علمت جاهلنا　　حليت عاطلنا[1]
تصوب من وعظك الاجفان واكفة　　كما يصوب لصوت
أيدت بالصدق في قول وفي عمل　　فللدموع اذا اسمعت طوفان
كما تؤيد في نظم العروض وقد　　دعا الرسول بروح القدس
كم من شرود أخي غي الى رشد　　قادته ياابن رشيد منك ارسان

1) بياض بالاصل، وكذا الآتي بعده في هذه الورقة .

رأى ولولاك لم تبصر بصيرته ... وكيف يبصر وجه الرشد عميان؟
فأنت أنت جمال الدين لا كذب ... لا جحد في ذلك ان الجحد كفران
لله قوم بهذا لقبوك وقد ... تحروا الصدق حيوا حيث ما كانوا

الاعلام (3) 158 ـ 159

الافتخار

الامير عبد الله الموحدي من ابيات :

السابقين من تخشى الليالي انتقامهم ... وترجو نداهم غاديات السحائب
يخطون بالخطي في حومة الوغى ... سطور المنايا في نحور المقانب
كتابا باطراف العوالي ونقشه ... دم القلب مشكولا بنضح الترائب
وما كنت ادري قبلهم ان معشرا ... اقاموا كتابا من نفوس الكتائب

النفح (2) 103 .

الجراوي مع احد المتبذلين :

يا سيدي جاءتك رقعة شاعر ... شهدت له الشعراء بالاحسان
لو ادرك النعمان في ايامه ... لراى له فضلا على الذبياني
او كان يوما في بني حمدان لم ... تبهج باحمدها بنو حمدان
لاكنه قد ادركته حرفة ... ادبية مزجته بالعبدان
فغدا مززة[1] كل مصفوع القفا ... صفر اليدين ممزق الاردان
فاذا نظرت الى قفاه حسبته ... نبتت عليه شقائق النعمان

زاد المسافر 8 .

---

(1) مززة من الزز كلمة عربية بمعنى الصفع كما في القاموس وغيره . وهي من الالفاظ العربية التي كانت شائعة بالاندلس والمغرب، مستعملة في مدلولها العربي حسبما يذكر هذا عن الاندلس مرتضى في شرح القاموس (4) 42 ، وعن المغرب الونشريشي في المعيار (2) 398

الرثـاء

ابن خبازة يرثي ابا محمد عبد الله نجل وزير اشبيلية وعظيمها احمد حفيد؛ الحافظ ابي بكر ابن الجد ويعزي والده الوزير:

ارجة الصعق يوم النفخ في الصور ... ام دكة الطود يوم الصعق في الطور
ام هدت الأرض اظهاراً لما زجرت ... به الخليقة من ايقاع محذور
ام الكواكب في آفاقها انتثرت ... وباتت الشمس في طي وتكوير
ما للنهار تعرى من ثياب سنى ... واشبه الليل في اثواب ديجور
قد كان للصبح طرف زانه بلق ... فقسم الخلق بين الدجن والنور
فما الملم الذي غشى بدهمته ... اديمه عنبرا من بعد كافور
اصخ لتسمع من انبائها نبأ ... يطوي من الانس فيها كل منشور
وانظر فان بني عدنان ما حشروا ... الا لرزء عظيم القدر مشهور
وافى مع العيد لا عادت مضاضته ... فشاب سلساله الا صفى بتكدير
واعتام دارا لهافي السبق جمهرة ... من المفاخر ازرت بالجماهير
رمى قريشا فاصمى سهم حادثه ... ابناء فهر بتفريق المقادير
فخانها الجد في ابن الجدحين قضى ... واثر الخطب فيها اي تاثير
لله والمجد ما ابقاه من اثر ... اخرى الليالي بطيب الذكر مأثور
نوارة عند ما راقت بدوحتها ... اهوت الى الترب من بين النواوير
جار الذبول عليها بعد ما ملأت ... معاطس الدهر من طيب وتعطير
وسيف بأس لكسر الخطب اغمده ... صرف الحودث فيها بعد تكسير
قضى فوافق شهر الصوم مرتحلا ... ووافق الشهر في فضل وتطهير
واختاره خاطب الخطب الملم به ... للصهر كفئا فامضى العقد للحور
فسار للحين مسرورا وخلفنا ... للحزن فاعجب لمحزون بمسرور

نادته انجشة الاحزان يوم حدا اظعان قلبي رفقا بالقوارير
فالوجد والدمع من حزن قد اقتسما قلبي وجفني بمنظوم ومنثور
فالقلب بالغيظ في تصعيد مستعر والجفن بالفيض في تصويب ممطور
وسائق الخطب يشدو الحاملين به يسوقهم سوق حادي العير للمير
وللملائك في آفاقها زجل قد شيعته بتهليل وتكبير
اثنى المصاب على شيخ الجزيرة في عقد وحل وتقديم وتاخير
ذاق الرزايا على مقدار منصبه والابتلاء على قدر المقادير
لم يصمه الدهر في الابناء من حنق ولابلاه لتذنيب وتجدير
وانما بادر الاعلان منتقيا يصونها صون تعظيم وتكبير
ان كان فرق شمل الانس عنه فكم اولاه الجمع من جمع وتوفير
يا دهر حملته وقع الخطوب ولم تزل تنفذ عنه كل مأمور
فلم تجرب عليه جبن ذي خور في النائبات ولا احجام مذعور
اردت بالصبر منه ان تقيم لنا برهان تقديمه للخير والخير
يا عامر الترب كم خلفت من كبد ومن فؤاد بتأوي الحزن معمور
لوكنت تحمى وتفدى للعلا ابتدرت آلافها بالغنى او بالقناطير
أسد تنادي بعقبان الخيول الى تمزيق لحم الاعادي بالقناطير
مشمرين الى ورد الكريهة ما نالوا العلا الذي نالوا بتقصير
بنو الكرام اولوا الرايات قاد بهم الى(1) كل منصور
ساقتهم غيرة الإيمان فانتدبوا لنصرة الدين كالاسد المهاصير
بعزم كل معدّي يسايره فتح الجزيرة بين السرح والكور
حفوا بباطل لزريق لحقهم فأبطلوه بأبطال مغاوير
وانما الموت حكم ليس يدخله نسخ لخلق وعدل دون تجوير
يقضي على الاسد في الآجام حاكمه وفي الكناس على البيض اليعافير

(1) بياض بالاصل.

ويقنص الشهب في شم الجبال كما ... في الوكر يغتام افراخ العصافير
اعظم بآياته من آية عظمت ... فليس تدرك في حال بتفسير
فسلم الامر فالاقدار قد نفذت ... وكل شيء بتقدير وتدبير
ما فقر ذي الفقر عن جهل ولا كسل ... ولا غنى المرء عن كيس وتشمير
ولا الحمام بنقص في المزاج ولا ... ضعف الطبيعة عن اسباب تدبير
فكم صحيح قضى فيها بلا مرض ... وكم مريض اقامته لتعمير

ومنها :

فاسمع بقلبك فالاشياء ناطقة ... والسن الحال تغني كل تحرير
مقدمات الليالي طالما فضحت ... نتائج الغدر منها كل مغرور
جمع السلامة معدوم الوجود بها ... وكم بها للردى من جمع تكسير
وعامل الموت قد احصى مهندسه ... منازل العمر عدا دون تكسير
والارض طرس وهذا الخلق احرفه ... والحرف ما بين ممحو ومبتور
والدهر يعرب بالافعال يظهرها ... طورا ويعجم منها كل مسطور
وانما الخلق اسماء تعاورها ... اعرابه بين مرفوع ومجرور
وكلهم في مدى الاعمار تحسبهم ... كحالها بين ممدود ومقصور
والموت مثل عروضي يقطع من ... ابياتهم كل موزون ومكسور
يا من يؤمل ان يبقى وقد نفضت ... ايدي المقادير من ابرام تقدير
هذي الحقيقة لا ما حدثتك به ... آمال نفسك عن دنياك من زور
لا تخدعنك الليالي ان فتنتها ... كادت فكادت ترينا كل محذور
كم بادرت بعبوس الخطب من ملك ... قد بات بالبشر وضاح الاسارير
سائل بكسرى مليك الفرس هل تركت ... له المنايا جناحا غير مكسور
وانزل بصنعاء في قصر ابن ذي يزن ... تلمم بقصر على الاغيار مقصور
واعبر على حيرة النعمان معتبراً ... تعبر باطلال نعمى ذات تغيير

واين من كان سجن الجن في يده | والانس والجن في قهر وتسخير
واين مخترق الدنيا بعزمته | يطوي البلاد بها طي الطوامير
بادوا فليس بها باد يحس به | منهم وافناهم ريب الدهارير
هو القضاء ابا بكر اصبت به | فاصبر وسلم له تسليم مأجور
والله يحرس دنياكم ويدفع عن | سامي معاليك انواع المحاذير

جذوة الاقتباس 215 ـ 218. ازهار الرياض (2) 380 ـ 382.

الاستعطاف والاعتذار:

الوزير ابو جعفر ابن عطية يستعطف عبد المومن :

(أ)

عطفا علينا امير المؤمنين فقد | بان العزاء لفرط البث والحزن
قد اغرقتنا ذنوب كلها لجج | وعطفة منكم انجى من السفن
وصادفتنا سهام كلها غرض | ورحمة منكم اوقى من الجنن
هيهات للخطب ان تسطوا حوادثه | بمن اجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة | بنصره لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يطهر عند الغسل من درن | والطرف ينهض بعد الركض في سنن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم | من دون من عليهم لا ولا ثمن
ونحن من بعض من احيت مكارمكم | كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر | لم يالفوا النوح في فرع ولا فنن
قد اوجدتهم اياد منك سابقة | والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

(ب)

انوح على نفسي ام انتظر الصفحا | فقد آن ان تنسى الذنوب وان تمحى
فها انا في ليل من السخط حائر | ولا اهتدي حتى ارى للرضا صبحا

القرطاس 124 . النفح (3) 100 ـ 101 .

الامير الحسن بن عبد المومن؛ وقد عتب عليه اخوه الخليفة يوسف فكتب اليه بهذه الابيات :

اذا نحن اذنبنا فعفوك نطلب — وان نحن قصرنا فما عنك مهرب
حنانيك قد عودتنا منك رحمة — وانت لنا في كل حالاتنا الاب
ولم نتعود قبل حالة ذلة — ولا حذرا مما يقول المحبب

القرطاس 172 .

ابو حفص السلمي؛ لما اهديت اليه جارية لم يعرف انه كان قد تسرى امها فصرفها الى مهديها؛ وكتب معها يعتذر :

يا مهدي الرشا الذي الحاظه — تركت فؤادي نصب تلك الاسهم
ريحانة كل المنى في شمّها — لولا المهيمن واجتناب المحرم
ما عن قلي صرفت اليك وانما — صيد الغزالة لم يبح للمحرم
ان الغزالة قد علمنا قبلها — سر المهاة وليتنا لم نعلم
يا ويح عنترة الذي قد شفه — ما شفني فشدا ولم يتكلم
يا شاة ما قنص لمن حلت له — حرمت علي وليتها لم تحرم

المصلة 130 . شرح المقصورة (1) 100 ـ 101 .

الهجاء والذم :

الجراوي (أ) فيمن اسمه خلوف :

زعمو يا خلوف انك خلف — صدقوا : فيك من خلبوف الوف
ولهذا دعوك بالجمع فردا — جمع خلف بلا خلاف خلوف

زاد المسافر 8 .

(ب) في ابي حفص الاغماتي :

نبغت عمرة بنت ابن عمر — هذه فلتعجبوا أم العبر

قل لها عني اذا لاقيتها قولة تترك في الصخر أثر
هبك كالخنساء في اشعارها او كليلى هل تجارين الذكر؟!

ازهار الرياض (2) 364 - 365 .

(ج) في قبيلته بني غفجوم :

يا بن السبيل اذا نزلت بتادلا لا تنزلن على بني غفجوم
ارض اغار بها العدو فلن ترى الا مجاوبة الصدى للبوم
قوم طووا ذكر السماحة بينهم لكنهم نشروا لواء اللوم
لا يملكون اذا استبيح حريمهم الا الصياح بدعوة المظلوم
لاحظ في اموالهم ونوالهم للسائل العافي ولا المحروم

ازهار الرياض (2) 365 . النفح (1) 574 ،

ابن حبوس يذم الشعر من قصيدة :

يا غراب الشعر لا طرت ومليت الوقوعا
واذا استيقظ شهم قرم زدت هجوعا
هبك لا تقنص عزا لم تقنصت الخضوعا؟
رمت ان ترقى سريعا فترديت صريعا
ربما اصطاد بغاث شبعا واصطدت جوعا
ولقد غال حبيبا منك ما غال صريعا
بسط الايدي حتى منع الطير الوقوعا
واستماح الشيخ دي الكبرة والطفل الرضيعا
واعد الشعر للعلم سيوفا ودروعا

زاد المسافر 4 .

العتب والتأنيب :

الجراوي : استجداه شاعر بقصيدة فوقع له في اسفلها :

يا من يجدي لمن يجدي ... اسرفت والله في التعدي
انا اجدي الانام طرا ... وانت تبغي النوال عندي

زاد المسافر 8 .

الشاعر السلوي . وقد قصد ـ صحبة جماعة من اهل سلا ـ الوزير عبد السلام ابن محمد الكومي؛ فقعد عن برهم ولم يقض حاجتهم فكتب اليه:

يا من راى خيبة الراجين تكرمه ... ونيل ما املوا عجزا وتقصيراً
مهلا فانك خام في يد زمن ... وقد اعدله كمدا وتقصيراً

الوصف :

ابن خبوس يصف الرياض :

ان رنت الريح الخفوق ازائها ... ترك القضيب قوامه وتميلا
شرب النشاط سلافة حتى انثنى ... واو انها حرمت عليه تأولا

زاد المسافر 2 .

السيد ابو الربيع (أ) يصف الروض ايضا :

تنبه ترى ديمة تمطر ... ووجه الصباح لنا يسفر
وكالند لاكن كافوره ... بدا فيه واكتتم العنبر
على حين فل الدجى مدبر ... وللصبح في اثره عسكر
وبين الغمام وممطوره ... من الروض كالحرب او اكثر
اذا التاح من برق ذا ابيض ... تاطر من غصن ذا اسمر
والمقطر في جيد غض النقا ... لآل من الماء او جوهر

وفي عاتق الروض من سيفه ... نجـاد ولاكنـه اخضـر
كان الرذاذ علـى زهـره ... يفـت من السكـر او ينثـر
وما عبـق الروض طيبا لنـا ... ولاكنـه للحيـا يشكـر

امراؤنا الشعراء 30 .

(ب) في وصف فسقية :

انظر اليهـا وقد سالت جوانبها ... بالماء سيلا خفيفا دمعـه يكف
كانها مقلتي يوم الوداع وقـد ... لاح الرقيب فلا تجري ولا تقف

المصدر 31 .

ابن عبدوس (أ) في مصباح :

تلـألـأ مصباحنا فاكتسى ... بهيم الرجا من سناه نحـول
كـأن الـذبـالـة نـوارة ... ومن حولها الدهن مـاء يجول
اذا رويـت نعمـت نضـرة ... وان ظمئت اخذت في الذبول

الجذوة 178 .

(ب) يصف نهرا قذفت فيه مصابيح :

انظر الى النهر يحكي الافق اذ قذفت ... فيه مصابيح ذا دت عنه احلاكا
جالت به سرج شبهتها شهبـا ... على قواعد قـد حاكين افلاكا

المصدر 178 .

(ج) في نهر وردته عصابة طير :

اما ترى النهر في انصبابه ... كانـه الطل فـي انسيابه
قـد انتحتـه ظمـاء طيـر ... مقتحمـات علـى حبـابـه
تنقع من مـائـه أوامـا ... وتلقط الحب من حبابه

المصدر 78

(د) يصف فاس ومكناس ويفاضل بينهما :

ان تفتخر فاس بما في طيها وبانها في زيها حسناء
يكفيك من مكناسة ارجاؤها والاطيبان هواؤها والماء

الروض الهتون .

ابن العابد الفاسي (أ) في حمام :

وحين ضم الليل اذياله وانتشرت الوية الفجر
قمنا لبيت حرج مظلم قسم بين البرد والحر
تخال من ضمته احشاؤه كانما ادرج في قبر
تلوح في اقبائه انجم نقيضة للانجم الزهر
تبدو نهارا فاذا ما بدا جنح الدجى غارت ولم تسر
يا طيبه ليلا ويا حسنه صبحا لقد حاز اسنى العمر

الاعلام (3) 105 ـ 106 .

(ب) في اخوين وسيم واحدب :

في ابني محمد ان نظرت عجائب اخوان ظبي احور وحوار
فمن الجمال بوجه ذاك مآثر ومن الجمال بظهر ذا آثار

المصدر (3) 104 .

الغزل :

السيد أبو الربيع :

اقول لركب ادلجوا بسحيرة قفوا ساعة حتى ازور ركابها
واملأ عيني من محاسن وجهها واشكو اليها ان اطالت غيابها
فان هي جادت بالوصال وانعمت والا فحسبي ان رايت قبابها
وقفت بها اشكو واسكب عبرة على غير بين ما علمت انسكابها

فأومت برخص من بنان مخضب وحطت عن البدر المنيـر نقابها
وقالت: ايبكي البين من قد اراده ويشكو النوى من قد اثار غرابها
ولما تناءت دارهـا وتباعدت وعاقت على بعد المزار خطابهـا
كتبت اليها اشتكي الم النوى لعلي ارى يومـا الي كتابها
وكنت ارى ان الجواب تعلل فقد زاد ما بي ان رايت جوابها
النفح (2) 102 ـ امراؤنـا الشعراء 29.

ابو حفص الاغماتي:

مهـا القفـر لادميـة المرمـر وفي العرب لا في بنـي الاصفر
بنفسي يعـافير تلـك الخيـام ومسرحها فـي النقـا الاعفر
مـلاعب يصبو اليهـا الحكيم ويسلب فيهـا فـؤاد الجري
وفيهـا الظبـاء بنـات الاسود غيـارى متـى بغمـت تـزأر
فخيس الهزبر كناس الغزال بـه الشبل ناش مع الجؤذر
تخالسها نظـرا تحتـــــــه غـرام بـه الحـي لـم يشعـر
وباللحظ يقدح زنـد الهـوى فطـرف غـر وفـؤاد بـري
الازهار (2) 366.

ابن خبازة:

هب النسيم ضحى ففاح المنـدل وتارجت منه الصبا والشمـأل
اسرى عليلا فاستحث الى الصبا صبـا بانفـاس الصبـا يتعلـل
يهوى الغدير وساكنيه ومن له او كان يدنـو منه ذاك المنـزل
ما شام برقا بالغضا الا انبرى شوقا على جمر الغضى يتململ
والبرق في نقع السحائب سيفه سيـف الكمي اذا يكر ويحمل
فكان ذاك البرق واش قد مشى بنميمـة والرعـد لاح يعـذل
وانا الفداء لجيرة نزلوا الحِمـى وحمى القلوب هو الحمى والمنزل

وتحملوا يوم الفـراق وانمـا　　بقلوبنـا يـوم الفراق تحملوا
قبسوا ومن قلب المعـذب موقد　　وردوا ومن جفن المعنى منهل
ما ضرهم اذ اعرضوا لو عرضوا　　للوصل او ذكروا العهود فاقبلوا
حملوا الجمال على الجمال كأنما　　افلاكها منها الاهلة تكمل
ابدت لنا حلي الطلـى وتبسمت　　زهـرا فـراق مقلـد ومقبـل
ومن العجائب ان اهيم بجنة　　حلت بقلبي وهـو نـار تشعل
ويهان مرسل ناظـري في حبهـا　　ومن التناصف ان يعز المرسـل

الازهار (2) 383 .

ابن المحلى السبتي :

ابوح بمـا القاه فهو مبـاح　　فقبلي اربـاب المحبـة بـاح
اذا باح من قبلي ولم يلق بعض ما　　لقيت فاني مـا علي جنـاح
أأحبابنا لا تحسبوا الصبر بعدكم　　سخيـا ولا ان الدموع شحاح
وان فنيت اجسادنا وقلوبنـا　　فتلك العهود السالفات صحاح
سمحت لكم بالنفس كي اربح الرضا　　على ثقة ان السماح رباح
فؤادي منقـاد اليكم مذلـل　　فمالي اذا لج العـذول جماح
وهل من سبيل ان اطير اليكم　　وقد حص بي ريش وقص جناح
تغير وقتـي بعدكم فكانمـا　　صباحي مساء والمساء صبـاح
واوحشتم فالكل في الاذن نايح　　لـدي وآفـاق الـوجـو (1)
وما تفضل الايام اخرى بذاتها　　ولكن أيـام المـلاح مـلاح
خرست عن الشكوى اليكم مهابة　　والسن حالـي بالغرام فصـاح
تمتع لحظـي سنة في جمالكم　　فان لاحظ الاغيار فهو سفاح
وياعجبا انـي اسيـر وانـني　　انـاشـدكم ان لا يتاح سراح
اذا هـز اربـاب السماع تواجد　　فحظـي منـه زفـرة وصيـاح

(1) بياض بالاصل.

فهاأنا عند الباب منوا او اطردوا فمالي عنه كيف كان براح

الاعلام (3) 150 ـ 151

ابن العابد الفاسي في شارب رعف :

ومهفهف للبدر حسن جبينه ، وليانع الاغصان مائس عطفه
لما اراق دمي ولاح بخده اجراه قصد إهانتي من انفه

الاعلام (3) 105 .

الاجتماع :

ابن حبوس (أ) الوصايا والامثال وذم الزمان :

رد الطرف حتى توافي النميرا فرب عسر اتاح اليسيرا
وارسل قلوصك طورا شمالا وطورا جنوبا وطورا دبورا
وشن على غازيات البلاد من النص والرمل جيشا مغيرا
وفر ماء وجهك حتى تجم واطف السموم به والهجيرا
وطرحين انت قوي الجنا ح لا عذر عندك ان لا تطيرا
ولا تقعن وانت السليم حيث تضاهي المهيض الكسيرا
فام الترحل تدعى وليدا وام الاقامة تدعى نزورا
وذو العجز يرضع ثديا حدودا وذو العزم يرضع ثديا درورا
يعز على النبل اني غدوت اكنى اديبا واسمى فقيرا
واني ثبت لكف الزمان يعرق عظمى عرقا مبيرا
وما ذاك أني هيابة اخاف الرحيل واشنا المسيرا
ولكن بحكم زمان عدا يحط الجياد ويسمي الحميرا

الاعلام (3) 30 .

(ب) مذهبه في معاملة الناس :

اعدّ لنا بحيك عصــــا وأقضم مـا ضغيـك حصـا
وشعشع للورى شرقـا مـع الساعـات او غصصـا
وكـن وردا خبعثنة يـراوغ منهـم قنصـا
وعامل بالخديعـة مـن لقيـت وبـادر الفـرصـا
وغمض عينـك النجلا ء حتى تنعت الحوصا
وهز لمعشر سيفـا وهز لآخرين عصا
وكاشر من يدب الك الـــضر اوَ احرص كما حرصا
ولا تعتب عليه، فلـــو ظفرت به لما خلصـــا
وسؤظنـــا بكل أخ يقاسمك الثنا حصصـا
ولا تحفـل بـامعــة يخـال الشحمـة البرصـا
ولا تحرص فرب فتـى مضاع عند ما حرصـا
وحـرص الطائـر الواقـــع صيرجوه قفصــا
لقد رخص الغلاء واهـــون الاعلاق ما رخصـا
وقد ذهب الوفاء فـــلا يقول مغالط نقصـــا
فلا تلزم مكان الظــــان ان وافيته قلصـا
وغن لذا الزمان اذا انـــتشى وازمر اذا رقصـا
ومن شهد الخطوب وعا ش مثلي يشرح القصصا

زاد المسافر 4 - 5 .

(ج) موقفه ازاء الفلاسفة : من قصيدة :

الدين دين الله لم يعبأ بمبـــتدع ولم يحفل بضلة ملحد
قالوا : بنور العقل يدرك ما ورا ء الغيب. قلت: قدي من الدعوى قد
بالشرع يدرك كل شيء غائب والعقل ينكر كل ما لم يشهد

من لم يحط علما بغاية نفسه وهي القريبة من له بالأبعد
ولقد نرى الفلك المحيط وعلم ما في ضمنه اعيى على المترصد
سعد المجرة بالكواكب دائم في زعمهم وقسيمها لم يسعد
من خص بالسفليّ جرم البدر ام من خص بالعلويّ جرم الفر قد
ما شاهق الطود المنيف وان علا الا بمنزلة الحضيض الاوهد
وجواز عكس الامر في ذا واضح للعقل فازدد من يقينك ترشد
ذاك اختصاص ليس يعلم كنهه من ليس يوصف بالبقاء السرمد
خفض عليك ابا فلان انها نوب تطالعنا تروح وتغتد
سالت علينا للشكوك جداول بعد اليقين بها ولما تنفد
وتبعقت بالكفر فينا السن لا تفقد التضليل من لم تفقد
اعدؤنا في ربنا احبابنا جرحوا القلوب واقبلوا في العود
كشف القناع فلا هواد تريننا حتى نغادرهم وراء المسقد
ستنالهم منا الغداة قوارع ان لم تغلهم غولها فكان قد
وتصوب فيهم سحبنا بصواعق تلك التي جلبت منية اربد
من كان يضربهم بسيف واحد فانا أضرب (1)
ولعمر غيرهم وتلك ألية ان الحمام لجمعهم بالمرصد
قالوا: الفلاسف قلت: تلك عصابة جاءت من الدعو
خدعت بالفاظ تروق لطافة فاذا طلبت حقيقة لم توجد
ذو علمهم اوكان شاهد علمنا وراى جهابذة الكلام
لعراه من حسن هنالك لؤلؤ واقام بين تحير وتبلد
اسفي ولو اني نصرت عليهم للثمت في المهجات كل مهند
يلغى كتاب الله بين ظهورهم وجميع مسنون النبي محمد
يا قاتل الله الجهالة انها ورق لاغصان الشباب الاملد

الاعلام (3) 28 ـ 29.

---

(1) بياض بالاصل، وكذا الآتي بعده بهذه الورقة

بو حفص الاغماتي (أ) يبين مزية الشرع على العقل :

هذا كلام للهدى جامع ... فاصغ اليه ايها السامع
الشرع للعقل هدى من يصل ... بينهما برهانه قاطع
الشرع للعقل بلا مرية ... كالشمس للعين سنى طالع
الشرع متبوع به يهتدي ... من ضل والعقل هو التابع
لا يهتدي العاقل في قصده ... الا بما سن له الشارع
هذا كتاب الله يهدي الورى ... لكل علم نوره ساطع
معرفة الله وآياتـــــه ... ومنهج الرسل وما الرابع
والعلم والحكمة في طيه ... اجمع وهو المعجز الساطع
وهو من الله فما فوقه ... هاد الى الله ولا شافع
تحت لواء الشرع يمضي الحجا ... والشرع وال ماله خالع

رحلة العبدري (خ).

(ب) يذكر هذه الحياة الدنيا :

يا راكضا في طلاب دنيا ... ليس لمن تصرع انتعاش
تنح يا عرضة لـــــرام ... اسهمه بالردى تراش
تحش نار آهوى لظاها ... بمن له حولها انحياش
اعذر منك الفراش الا ... علمت ما يجهل الفراش
تطلبها لا تنام عين ... عنها ولا ينستقر جاش
من لك بالري من شراب ... يشتد من شربه العطاش
دعها فطلابها رعـــاع ... طاشت بالبابهم فطاشوا
واظمأ لتروي وكن كقوم ... ماتوا بها عفة فعاشوا!
لم يردوها فهم رواء ... وواردوها هم العطاش
كان آمالنا ظباء ... ونحن من حيرة خراش

لا تامنن بهـا انبساطـا   بـه لاعمـارنـا انكماش
كان آجـالنـا صقـور   ونحن من تحتها خشاش

الازهار (2) 360 ـ 361 .

السياسة:

ابن حبوس (أ) في فتح بجاية :

من القوم بالغرب تصغى الى   حديثهم اذن المشـرق
جروا والمنايا الـى غايـة   فلـم يسبقوها ولـم تسبـق
بايديهم النـار مشبـوبـة   فمهما تصب باطـلا تحـرق
يقودهم ملـك اروع   تفـرد بـالسـؤدد المطلـق
تخيـره اللـه مـن آدم   فمـا زال منحذرا يرتقـي
الـى الناصريـة سرنـا معـا   ولمـا تفتنـا ولـم تلحـق
الى برزة في ذرى ارعن   تجل عن السور والخندق
يعوذون منـا بمولاهـم   ومولاهم عـاذ بالـزورق
واكسبـه خـوفـه خفـة   فلو خاض في البحر لم يغرق

زاد المسافر (6) .

(ب) يذم الوزير ابن عطية لما نكب :

اندلسي ليس من بربر   يختلس الملك من البربر
لا تسلم البربر ما شيدت   بالملك القيسي من مفخر

المصدر 3 ـ 4 .

الجراوي (أ) يذكر انتصار المنصور في غزوة الاراك وهزيمة الادفونش وجنده :

هو الفتح اعيى وصفه النظم والنثرا وعمت جميع المسلمين به البشرى
وانجد في الدنيا وغار حديثه فراقت بهحسنا وطابت به نشرا
تميز بالاحجال والغرر التي اقل سناها يبهر الشمس والبدرا
لقد اورد الادفونش شيعته الردى وساقهم جهلا الى البطشة الكبرى
حكى فعل ابليس باصحابه الالى تبرا منهم حين اوردهم بدرا
اطارته شدة تولى امامها شريدا وانسته التعاظم والكفرا
رأى الموت للابطال حوليه ينتقي فطار الى اقصى مصارعه ذعرا
وقد اوردته الموت طعنة ثائر وان لم يفارق من شقاوته العمرا
ولم يبق من افنى الزمان حماته وجرعه من فقد انصاره صبرا
الوف غدت ماهولة بهم الفلا وامست خلاء منهم دورهم قفرا
ودارت رحى الهيجا عليهم فاصبحوا هشيما طحينا في مهب الصبا قدرا
يطير باشلاء لهم كل قشعم فما شئت من نسر غدا بطنه قفرا
فكيف رأى المغتر عقبى اغتراره وكيف رأى الغدار في غيه الغدرا
وكان يرى اقطار اندلس له متى يرم لم يحطيء باسهمه قطرا
فسلاه يوم الاربعاء عن المنى فما يرتجى مما تملكه شبرا
اذا عزلته الروم كانت نجاته وقد احرقت جمر المنايا به عذرا
فتعسا له ما دام حيا ولامنى وكسرا له ما دام حيا ولا جبرا
بيمن الامام الصالح المصلح الرضى نضى سيفه الاسلام فاستأصل الكفرا
فلا زال بالنصر الالاهي يقتضي بشائر يحصى قبل احصائها القطرا

رسالة المغرب : س (1) ع(8).

(ب) فيمن عصى دعوة المهدي من قصيدة :

وهل هو الامن اناس تهافتوا فراشا على اسيافكم وهي نيران

عصوا دعوة المهدي وهي سفينة فأغرقهم طغيانهم وهو طوفان
زاد المسافر (8).

(ج) من قصيدة في الصابوني الذي صلب:

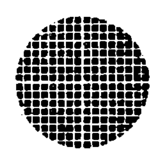
انيْ لاعجب من خساسة عقله نسى الذنوب فخانه الغفران
وغدا على مشروعة رهن الردى فالجو قبر والهوى اكفان
المصدر(7).

ابن خبازة (أ) في المهدي ابن تومرت لما تبرأ منه المامون بن المنصور...

وجد النبوة حلة مطوية لا يستطيع الخلق نسج مثالها
فاسر حسوا في ارتغا يبتغي بمحاله نسجا على منوالها
الازهار (2) 379 ـ 380. الجذوة 210.

(ب) حكي ان المعتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحدي ضرب بظاهر مراكش قبة حمراء، فبادر اليها العرب والنصارى من عسكر عمه المامون فقطعوا اطنابها فسقطت، فقال في ذلك ابن خبازة من قصيدة:

انظر الي القبة الحمراء ساقطة لما رأت مضر الحمراء عن كثب
من كان أولى بها ان كنت ذا بصر العجم او معدن العليا من العرب
وانما سجدت لما سمت وغدت فوق الضلال وكانت أعجب العجب
الازهار (2) 383.



الفنـــــون

نهضتهـا

(1) الصنـاعـــات

الفرع الصوتي

صناعة الموسيقى .

الفرع الرسمي

فن العمارة :

صناعة الغراسة . صناعة الفلاحة . صناعة البناء . صناعة جر المياه . صناعة السفن . صناعة السلاح . صناعة الورق . صناعة الصفر . صناعة السكة . صناعة استغلال المناجم . الصناعات الميكانيكية .

فن التصوير :

صناعة التصوير . صناعة الطرز .

فن النقش :

صناعة التزويق . صناعة الخطاطة . صناعة الوراقة .

(2) تذييـــــل

المكتبة المغربية لهذا العهد

عمارتها . اهتمام الموحدين باقتناء الكتب . اقتراحهم تاليف الكتب . اهداء الدفاتر والذخائر لمكاتبهم . مقام خطة المحافظة على الكتب. تاسيس المكاتب العامة . المكاتب .

الذخائر والآثار في هذا العصر

نهضة الفنون

ان الفنون ارتقت في كثير من مظاهرها على هذا العصر: وقطعت باحات من التقدم والازدهار؛ في دائرة طابع الدولة الثلاثي من العظمة والدين والتجديد؛ كما سنرى هذا في تضاعيف الحديث عن اصناف الفنون في هذا العصر؛ تصريحا في بعضها؛ أوتلويحا في اخرى. وفيما يلي شرح لتلك المظاهر الفنية التي تتجلى بوفرة في شيء غير قليل من الصناعات.

الصناعات

نهض مجموع الصناعات لهذا العهد؛ وبالاخص ابان عظمة الدولة نهضة فائقة؛ وذلك بما توافر حينئذ من اصنافها؛ وبما كانت عليه من الجودة والاتقان، وبما ظهرت به من الابداع والاختراع.

ومن مظاهر وفرة الصناعات اذذاك: ماذكره ابن ابي زرع في الانيس 26. والجزنائي في زهرة الآس 33: انه كان بفاس وحدها لعهد المنصور وابنه الناصر من معامل الصناعات ما ياتي: داران للسكة: واحدة في كل عدوة. و (3064) معملا لنسج الثياب، و (47) من ديار عمل الصابون، و (86) من ديار الدبغ، و (116) دارا للصباغة، و (12) معملا لتسبيك الحديد والنحاس، و (11) مصنعا للزجاج، و (135) من كوش الجير، و (400) حجر لعمل الكاغد، و (188) دارا لعمل الفخار، وكانت هذه خارج مدينة فاس.

ومما يدل ايضا على وفرة الصناعات حينئذ؛ ما نقله في النفح (1) 286: انه لما اراد عبد المومن تفخيم مصحف عثمان الآتي الذكر؛

حشر له الصناع المتقنين ممن كان بحضرتهم العلية وسائر بلادهم القريبة والقصية ـ وفي نقل الاستقصا (1) 151 وسائر بلاد المغرب والاندلس ـ فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ، ومهرة كل طائفة من المهندسين، والصواغين، والنظامين، والحلائين، والنقاشين، والمرصعين، والنجارين، والزواقين، والرسامين، والمجلدين، وعرفاء البنائين، ولم يبق من يوصف ببراعة او ينسب الى الحذق في صناعة الا احضر .

وان هذا الكلام ـ زيادة على انه يدل على وفرة الصناع والصناعات بالمغرب حينئذ ـ يفيد ايضا اهتمام الموحدين بجلب الصناع للمغرب من خارجه، ليتعاونوا مع الصناع المغاربة في بعض المناسبات، وانظر النفح (2) 124 ، ومن الشواهد على اتقان الصناعات الاتقان الفائق، ما كانت عليه ابنيتهم ـ مثلا ـ من التفنن العظيم والتانق الفائق، حسبما يعلم من مشاهدة ما بقي قائما منها، ووصف ما حفظ وصفه، وقد قال بعض : ان اتقان البناء من شواهد التقدم والرقي ، ولا ينتج الابنية الفخمة الشامخة الا حضارة ضخمة، وشعوب لها شان في فنون الهندسة والعمارة، ونزعة الى حسن الذوق.

اما إبداعات الموحدين وابتكاراتهم الميكانيكية فسنفرد لها فصلا على حدة فيما بعد .

وبعد هذه المقدمة افصل الحديث عما وقفت عليه من مظاهر النهضة لبعض صنوف الصناعة بما فيها من الفرع الصوتي ؛ فالفرع الرسمي باقسامه الثلاثة: فن العمارة، وفن التصوير، وفن النقش، ثم اذيل على الموضوع بملحقات له .

صناعة الموسيقى

لقد اثر اثرا كبيرا في ضيق نطاق نهضة الموسيقى لهذا العهد النشاة التي نشات عليها دولة الموحدين : من التدين والتقشف ومقاومة المناكر، بما فيها من آلات اللهو التي كان المهدي ابن تومرت يامر اصحابه بتكسيرها؛ مثل ما فعل في فاس؛ كما اشار لهذا في القرطاس 109 ، وبسطه في كتاب اخبار المهدي ابن تومرت 65.

كان ذلك عاملا قويا في تحديد النهضة الموسيقية في هذه الدولة، وبالاخص في اوائلها، ومن ابرز الشواهد على هذا أن الجيش الموحدي نفسه لم تكن به موسيقى تذكر؛ حسبما يشير لهذا قول ابن طفيل - كما في المعجب 157 - لو نفقت عليهم الموسيقى لانفقتها عندهم ، فان نفاق الموسيقى لو كان اظهر قبل كل شيء في جيشهم الذي لم يكن به منها سوى طبول كثيرة ، اما الطرب الشعبي فكان يعتمد على اغاني مغربية ؛ ينشدها بعض المغنين في المحافل والاسواق، مثل ابي علي حسن بن عمر الفهري السبتي الذي كان قوالا يحترف بهذه المهنة ، الاعلام (3) 149 .

كما كان هناك نوع آخر من الطرب عرفه المغرب في هذا العهد - فيما يظهر - وهو غناء العرب الداخلين للمغرب حينئذ باشعارهم وملاحمهم ، يضاف الى هذا وذاك : نوعان منحطان من الطرب كان يقوم باحدهما السودان كما في الروض الهتون، وبالآخر البربر؛ كما في رسالة الشقندي . نفح (2) 151 .

على أنه بعد اوائل هذا العصر اخذ الطرب يشيع ويترقي؛ وصار يستمع له بعض الامراء، مثل ابي الحسن علي بن عمر بن عبد

المومن . نفح (2) 102 ، كذلك وجد الطرب الاندلسي حينئذ بالمغرب،حسبما يوخذ من رسالة الشقندي، نفح (2) 151 ، وبخاصة نوع من الغناء يعرف بالسماع شاع اواخر هذا العهد، وتولع به حتى الخلفاء؛ مثل المرتضى من اواخرهم ، الاستقصا (1) 208 ، وكذا ورد ذكر السماع في شعر ابن المحلى السبتي لما قال :

اذا هز ارباب السماع تواجد   فحظي منه زفرة وصياح

الاعلام (3) 151 .

أدوات الموسيقى

تلخص مما ذكر ان المغرب حينئذ عرف اصنافا من الموسيقى ما بين مغربية واندلسية وغيرها، ونذكر هنا من ادوات تلك الاصناف ما وقفت عليه. ومن الموسف ان المصدر المهم عن هذه الآلات ـ وهو رسالة الشقندي بنقل النفح (2) 151 ـ كتبت عن هذا الموضوع كعادتها على اساس الحط من قيمة المغرب؛ فلم تذكر من ادوات الطرب بالمغرب سوى الدف، (واقوال) (واليرا) (وابو قرون) . . . .

اما آلات الموسيقى الاندلسية ؛ فذكرت منها ما ياتي : الخيال ، والكريج ، والعود، والروطة، والرباب. والقانون، والمونس، والكثيرة، والفنار ، والزلامي ، والشغرة ، والنورة ـ وفيها مزماران : الواحد غليظ الصوت، والآخر رقيقه ، والبوق .

ولا شك ان اشهر ادوات الطرب حينئذ هي الطبول الموحدية ـ ان صح ان فيها طربا ـ وكانت في نهاية الكبر ، وغاية الضخامة، يخيل لسامعها اذا ضربت ان الارض من تحته تهتز، ويحس بقلبه يكاد يتصدع من شدة دويها، وكان يصحب جيشهم منها عدد كثير

وفي غزوة عبد المومن لافريقية، كان في جنده اكثر من مائتي طبل : حسبما ثبت كل هذا في المعجب 150 ، وكان بين هذه الطبول واحد هو اكبرها،اذا ضرب فيه ثلاث ضربات علم انه طبل الرحيل، يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع، في يوم لا ريح فيه ، وكان مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعا، منشا من خشب اخضر اللون مذهب . الحلل 115 .

صناعة الغراسة

صناعة الفلاحة

اهتم الموحدون بالغراسات اهتماما فائقا وعاصمتهم مراكش كانت متفوقة في هذا الميدان الى حد بعيد : يقول عنها صاحب الاستبصار : انها اكثر بلاد المغرب جنات وبساتين واعنابا وفواكه وجميع الثمرات ... واكثر شجرها الزيتون ، وسلف عن مستشفى مراكش أن يعقوب امر ان يغرس به من جميع الاشجار والمشمومات والماكولات .

ومن البساتين الشهيره بمراكش : (1) بستان المسرة انشاه عبد المومن خارج مراكش، وغرس به كل فاكهة تشتهيها الانفس، طوله ثلاثة اميال، وعرضه قريب منه. الحلل 109 ـ 110 ، و (2) بستان الصالحة، من انشاء عبد المومن كذلك، وهو بستان كبير من جملة بساتين: (اجدال) بمراكش، ولا زال مشهورا بهذا الاسم الى الآن، قاله في الاستقصا (1) 108 ، و (3) البحائر : التي انشاها يوسف،وهي تفوق في غراساتها ما غرسه عبد المومن،حسبما يوخذ من الاستبصار .

و (4) البحيرة التي احدثها المنصور بمراكش الجديدة؛ طولها اثنا عشر ميلا.فيها العمائر الجليلة؛ والمصانع العظيمة، والبركة التي لم يعمل مثلها... طولها ثلاثمائة وثمانون باعا، على جانبها الواحد: اربعمائة شجرة من النارنج؛ وبين كل اثنتين اما ليمونة، واما ريحانة . مسالك الابصار (خ).

ولم تكن بساتين مراكش هي الوحيدة بالمغرب ؛ فقد كانت بساتين اخرى غرسها الموحدون اول ايامهم : (5) بمكناس و (6) فاس . و (7) المقرمدة . و (8) تازا . واكثر غراساتها الزيتون، كما في الروض الهتون الذي وصف بحيرتي فاس ومكناس: بان بهما ـ زيادة على الزيتون ـ انواعا كثيرة من الفواكه الصيفية والخريفية والورد؛ مما كان له غلة جليلة، وفيهما ارض بيضاء للخضر والكتان تكترى بمال جسيم ، وكما وصف هذا المصدر ما ذكر؛ كذلك وصف مؤلف مسالك الابصار بركة بحيرة فاس نقلا عن ابن منقد في رسالته المغربية ؛ الذي قال : ذرعت كل جانب منها مائتين وستة عشر ذراعا بالمرفق، ويكون دور البركة ثمانمائة ذراع واربعة وستون ذراعا. كذلك كانت قرية (بليونش) بضاحية سبتة ذات (9) جنات وبساتين واشجار، وفواكه كثيرة، وقصب سكر،واترج، يتجهز به الى ما جاور سبتة من البلاد؛ لكثرة الفواكه بها. نزهة المشتاق.

ويفهم من بعض هذه النصوص ان الغراسة لهذا العهد كانت على جانب من الجودة الناشئة عن النظام، وهذا يؤيده الاثمان الباهظة التي كانت تباع بها منتوجات تلك الغراسات ، وقد استعرضت ما وقفت عليه من تلك الاثمان في مقدمات الكتاب ص18 فليرجع اليه .

هذا ولا ادع الحديث عن الغراسة دون ان اشير الى ان الفلاحة هي الاخرى كانت متقدمة حينئذ؛ وعولجت بالاساليب الفنية.

صناعة البناء

أكثر الموحدون من تشييد البنايات الضخمة؛ ورفع الهياكل الخالدة، الامر الذي جعل الاستاذ سديو يحكم عليهم بان حب تشييد المباني اظهر صفاتهم . تاريخ العرب العام 343 .

وكان لهم ذوق خاص في البناء؛ تجلى فيما بقي من آثارهم متوجا بالعجائب الثلاثة: منائر اشبيلية. والكتبيين. وحسان.

ويعقوب منهم كان مهتما بالبناء الى حد كبير، وفي طول ايامه لم يخل من قصر يستجده، او مدينة يعمرها . المعجب 194 .

ولقد كانت مبانيهم مطبوعة بطابع ناطق بعظمتها، وهذه بعض شهادات المؤرخين في هذا الصدد : يقول في النفح (1) 97 عن منارة جامع اشبيلية : انه ليس في بلاد الاسلام اعظم منها . ويقرر صالح بن شريف في كتابه روض الانس (خ):أن مسجد مراكش ـ الذي ابتناه المنصور ـ ليس بعد جامع قرطبة مثله ، ويلاحظ بعض الباحثين ان مسجد اشبيلية ـ الذي أسسه المنصور ـ فاق مسجد قرطبة في اتساع الارجاء وفخامة البنيان، ويشهد صاحب الاستبصار (خ): ان قيسارية مراكش الجديدة ليس في بلاد الاسلام اعظم منها ، ويثبت المراكشي في المعجب 176 أن مسجد حسان ليس في مساجد المغرب اكبر منه ، كما يذكر ص 240 ان القصور التي بناها الموحدون بمراكش لم يكن مثلها لملك ممن تقدمهم من الملوك، ويصف ابن سعيد مراكش ويقول انها بغداد المغرب' وهي اعظم ما في بر العدوة واكثر مصانعها ومبانيها الجليلة انما ظهرت في مدة بني عبد المومن، النفح (2) 124 .

كما يقرر ابن سعيد نفسه أنه لم يشاهد في البلاد التي طاف بها - وهي المغرب وافريقية وما جاورها، والبلاد المصرية والشامية - لم ير ما يشبه الاندلس في حسن المباني والتشييد والتصنيع،الا ما شيد بمراكش في دولة بني عبد المومن . . . المصدر (1) 97 .

كذلك كانت بعض مبانيهم تحمل مسحة التجديد؛ فقد بنيت مدينة الرباط على هيئة الاسكندرية في الاتساع، وحسن التقسيم واتقان البنيان وتحصينه وتحسينه، وفيات الاعيان (2) 431 . وشيدت صومعتها العالية على هيئة منار الاسكندرية، المعجب 176، كما كان مسجد هذه المدينة يشبه مسجد مدينة (بلخ) في عظم سواريه، رحلة ابن بطوطة (1) 246 .

كذلك كانوا يراعون في بعض مبانيهم تخليد ذكريات غزوات الاسلام العظيمة، فقد بنى يعقوب بعد انتصار المسلمين في وقعة الارك منارة اشبيلية، الاستقصا (1) 180 . وانظر تاريخ العرب العام 343، كما بنى بعد استنقاذ مدينة شلب حصن الفرج العظيم على النهر الكبير: نهر اشبيلية، وشيد به قصورا وقبابا، ولما رجع من غزوة الأرك جلس للوفود في قبة من تلك القباب مشرفة على النهر الاعظم؛ واذن فدخل عليه الناس على طبقاتهم ومراتبهم وانشده الشعراء، المعجب 193-194 .

المصانع والمباني

وبعد ما تقدم اذكر ان مباني الموحدين كثرت بصفة خاصة بمراكش درجة اولى، وبالرباط درجة بعدها، كما شيدوا مباني عديدة في كثير من مدن المغرب وبعض جهات الاندلس، وفوق ما

ذكر من ذلك ـ في هذا المبحث وقبله ـ اذكر هنا طائفة من مصانعهم ومبانيهم في غير مدينة بالمغرب والاندلس، ثم اعقب على ذلك بنص فريد منقول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري(خ)، وهو يصف بعض مصانع مراكش القديمة؛ كما يصور تصويرا دقيقا مدينة «تا مراكش» او مراكش الجديدة التي ابتناها يعقوب المنصور، وهذه طائفة من مصانعهم ومبانيهم :

قصر ابي بكر ابن زهر بمراكش

شيده للمذكور يعقوب المنصور، واراد ان يجعله صورة طبق قصر ابن زهر باشبيلية؛ فارسل المهندسين الى هذه المدينة وامرهم ان يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته؛ ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش، ففعلوا ما امرهم به في اقرب مدة . . . أنظر النفح (1) **440-439** .

وهذه القصة تضرب رقما قياسيا كبيراً لرقي صناعة البناء حينئذ؛ وتشهد بما كان للمغرب اذ ذاك من التقدم في هذا الميدان .

قصر السيد أبي الربيع بمراكش

وهو قصر جليل؛ حسبما يوخذ من قطعة للسيد ابي الربيع يصف بها هذا القصر او الدار، وها هو نصها :

رعاك الله يا دار الكرام ... وجادك بالحيا صوب الغمام
ومتع فيك أعواما طوالا ... على نعم وخير مستدام
ارى مراكش الحسناء تزهى ... ـ وحق لها ـ على دار السلام

كأن الارض شخص وهي وجه وقت بوجهها وضح ابتسام
تقول لاهلها لما أتوها قدمتم فادخلوني بالسلام
أقيموا آمنين بخير حال فعندي للعلى أسنى مقام

ديوان السيد ابي الربيع (خ).

قبة السيد أبي حفص بمراكش

انشد فيها السيد ابو الربيع الابيات التالية :

أيا قبة العلياء حل بك السعد وحل بك التوفيق واليمن والمجد
وقرت بما نهواه فيك عيوننا وانجز في لقيا ابي حفص الوعد
وحالفه فيك السرور مخيما اذا ما اتى وفد قفا اثره وفد
ولا زال والاقدار تخدم أمره على وفقه والدهر في ملكه عبد

ديوان السيد ابي الربيع المذكور .

قصور الرباط

ورد عنها في الاستبصار ما معناه : ان في الرباط من المباني الملوكية الرفيعة، والمنازه البديعة، وقباب الجلوس للسادات، والقصور العلياء ما جعلها من متنزهات الدنيا .

مقدمة الفتح 124 .

دار العادل بالرباط

من آثار السلطان ابي عبد الله محمد المعروف بالعادل بن يعقوب المنصور . وانشد في حقها صاحب الجذوة :

يا عاذلي دع عنك عذل العاذل واخلع عذارك في الحبيب الواصل

وإذا ذكرت عشية لمحاسن فاذكر عشايانا بدار العادل

المصدر 124 ـ 125 .

قصر ابي العباس بن القاسم بسلا

من أخبار هذا القصر: انه لما شاده صاحبه وصفته الشعراء، وهنته به، ودعت له، وكان بالحضرة حينئذ الوزير ابو عامر بن الحمارة ولم يكن أعد شيئا؛ ففكر قليلا ثم قال:

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة فحل فيها حلول الشمس في الحمل

فما كدارك في الدنيا لذي امل ولا كدارك في الآخرة لذي عمل

النفح (2) 351 .

قصر عبد المومن بالاندلس

انشد فيه ابو جعفر بن سعيد؛ وقد مر به بعد ما رحل عنه عبد المومن :

قصر الخليفة لا اخليت من كرم وان خلوت من الاعداد والعدد

جزنا عليه فلم تنقص مهابته والغيل يخلو وتبقى هيبة الأسد

المصدر (2) 300

قصر السيد ابي يحيى بن يوسف خارج قرطبة

وهو مبني على متن النهر الاعظم، تحمله اقواس، وقيل للسيد ابي يحيى : كيف تأنقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن اهل

قرطبة؟!.فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر؛ لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية؛ فاحببت ان يبقى لي في بلادهم اثر اذكر به على رغمهم، وانشد لنفسه في هذا القصر ناهض بن ادريس شاعر وادي آش :

الا حبذا القصر الذي ارتفعت به ... على الماء من تحت الحواجب اقواس
هو المصنع الاعلى الذي انف الثرى ... ورفعه عن لثمه المجد والناس
فاركب متن النهر عزا ورفعة ... وفي موضع الاقدام لا يوجد الراس
فلا زال معمور الجناب وبابه ... يغص وحلت افقه الدهر اعراس

المصدر (1) 218 .

قصر السيد بغرناطة

وهو قصر كبير، بناه السيد اسحاق بن يوسف على نهر شنيل خارج غرناطة، وبنى امامه الرابطة .

الحلل 126 .

قصر السيد بمالقة

بناه المامون بن المنصور حين كان واليا على مالقة؛ وبرأيه واختراعه كان جميع بنائه .

المصدر 124 .

حمام وخان جليلان باحدى جهات الاندلس

بانيهما السيد ابو زكرياء، وكانا آيتين في براعة الصنعة والتانق والاتقان؛ حسبما يوخذ مما تصفهما به الابيات التالية:

قد كنت أحسب ان الحسن مسكنه — في ثغر أشنب او في جفن وسنان
حتى بصرت بـه والسحر يقسمه — على السواء لدى الحمام والخـان
تنافسا في بديـع الصنع فارتقيـا — هضب التانق في مرقاة اتقان
فذايتيه بتـاج فـوق مفرقـه — كانه هرمز فـي ملك ساسان
وذا عليه رواق لـم يلم بــه — كسرى فحط ولم يلمـح بايوان
.... — ....(1)
ماء يسح بمصقول الرخـام كما — سحت على الخدد معا مقلة العاني
حدا بـه السير فانقـادت اباتيـه — من بعدكم حلف حنث وايمان
ان اكثر الناس مما ابصروا عجبا — حتى لظنوا به من صنعة الجـان
فلست اعجب من بنـى تكنفه — من الخليفة سعد انجـد البان

من قصيدة في مدح السيد ابي زكريـاء، صاحبها الاديب الكبير محمـد بن محمـد بن عيسى ابن زنون الاندلسي. ت 627. وقـد وردت فـي ترجمته من كتاب : بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها (خ).

مباني الموحدين بمراكش القديمة والجديدة

وهذا كلام المسالك عن مصانع مراكش القديمة، وخطط المدينة الجديدة ؛ قال في صدد الحديث عن مراكش : وحكى لـي غير

1) البياض مكان بيت لا تستقيم قراءته .

واحد عن سعة دورها، وضخامة عمائرها، وما فيها من قصور بني عبد المومن واولادهم واجنادهم؛ حتى يقال انه اذا كان الرجل في صدر الدار ونادى رفيقه وهو في صدرها الآخر باعلى صوته لا يكاد يسمعه لاتساعها، ودورها سبعة اميال، وهي بسيطة يمتد فيها البصر، بناها امير المسلمين يوسف بن تاشفين . . . ثم ان يوسف العشري وهو ابن يعقوب[1] ابن عبد المومن؛ كبرها وفخمها، ومصرها وضخمها، وجلب اليها المياه والغراس، ومنارة جامعها المعروف بالكتبيين طولها مائة وعشرة اذرع من الحجر . . .

قال ابن سعيد : وحضرة مراكش مما سكنت بها وعرفتها ظاهرا وباطنا ، ولا ارى العبارة تفي بما تحتوي عليه ، ويكفي ان كل (قصر) من قصورها مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك . حتى يغلق الرئيس منهم بابه على جميع خوله واقاربه وما يحتاج ؛ ولا يخرج له امر الى خارج داره، ولا يشتري شيئا من السوق لمأكل، ولا يقري اولاده في مكتب خارج. ويخرج هو من بابه راكبا؛ لا تقع عليه العين راجلا، وفيها قصور عظيمة، وبها قصر الخلافة، بناه المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن؛ وهو وسط المدينة (التي) اختطها خارج مراكش خاصة به وبخواصه، وتعرف بتامراكش . قال ابن سعيد : ولا ادري كيف أصل الى غاية في الوصف؛ اصف به ترتيب هذه المدينة المحدثة، فانها من عجائب همات السلاطين ؛ ذات اسوار ضخمة وابواب عالية؛ وبها قصر الخلافة؛ وبه ديار عظيمة، منها دار البلور، ودار الريحان ودار[2] وكل دار منها لا يخلو من المياه،والبساتين العجيبة،

1) سبق قلم . والمراد يعقوب بن يوسف .
2) مواضع البياض في هذه النبذة ام تتبين كتابتها في نسختي المنقول عنها ، ثم يتيسر [illegible]

والمناظر المرتفعة المشرفة على بسائط مراكش، ولها ثلاثة ابواب مختصة بها: باب البستان، وكان لا يراه الا خواص بني عبد المومن يفضي الى مكان يعرف بالبحيرة... والباب الثاني باب الوادي وهو في داخل مدينة مراكش، ينصرف منه الى ما يحتاج اليه بالمدينة، والباب الثالث باب الرياض، امامه رحبة عظيمة تحمل طراد الخيل... وبها قبة الخلافة الى جانب الباب؛ كان يخرج اليها خليفتهم بكرة كل نهار؛ ويكون بها الخدمة، وفي رحبة القصر دار الكرامة والاضياف، وفي هذه الرحبة المدرسة، وهي مكان جليل به خزائن الكتب... وفيها دار مخصوصة للوزارة المحلاة بوزير الجند، وتفضي هذه الرحبة الى باب السادة، وهو يفضي الى خارج مراكش، كان مخصوصا ببني عبد المومن؛ اليه ينتهون على خيلهم، وعليه سلسلة امامها ينزلون، وهناك مقابر اكابرهم وجنائز الاعيان، في نهاية حسن المباني والغراس، وفي الرحبة باب السقائف، وهو باب كبير يخرج منه الى سقائف اهل الجماعة، وهي ذرية العشرة اصحاب: مهديهم ابن تومرت، وسقائف اهل خمسين، وسقائف الطلبة؛ وهم أهل العلم والقرآن، وسقائف الحفاظ، وهم المقدمون على الاعمال لحفظها، وسقائف اهل الدار، وهم غلمان الخلافة، ثم يخرج من هذه الرحبة الى سقائف القبائل واعيان الغز والجموع، ثم يفضي الى رحبة عظيمة فيها سقائف خنفيسة وجذميوة، والقبائل: هسكورة، وصنهاجة، وهؤلاء هم قبائل الموحدين، وبها موضع صاحب الشرطة. وبازائها الجامع المبني في تامراكشت؛ على صحنه شباك من الصفر الاندلسي، وهو في غاية الزخرفة والاتقان، ولا يبرح المنبر مستورا في بيت المقصورة، وهو

والمقصورة مستوران الى يوم الجمعة، قرب الصلاة ترفع ستورها، والنهر الذي جلبه المنصور يخترق قصوره، ثم يمر على السقائف والمرجات المقدمة الذكر، ثم يحدق بالجامع، ثم يمر بين الاسواق قدر ميل الى ان يخرج على باب الصالحة من ابواب مراكش، وفي هذه الرحبة المقدمة الذكر باب الكحل، كان منه دخول الموحدين، وامامه فضاء عظيم يسع وقوف الخلائق وتصرفها، وباب لا يدخل هذا النوع الا منه، لاحتمال ان مدخل المدينة حجر، وبها الصهريج الكبير، والصهريج في مصطلح اهل المغرب البركة، وهي بركة عظيمة عليها سور وباب، يصب فيها النهر الثاني الداخل الى مراكش، وفيها توزع بقياس معلوم على قصور الناس، ثم ينحذر بقية الماء في نهر يشق المدينة من جهة اخرى في وسط الاسواق وما بعد، وفيها بركة تصب فيها المياه، وفي هذه الرحبة باب الشريعة امام مصلى العيدين، وبينهما فسيح عظيم به سوق الخيل، وللسلطان به قصر مطل عليه، ويليه باب نفّيس يخرج منه الى بلد نفيس؛ المفضلة المياه والاعناب، وقدامه بركة اقنا؛ يتعلم فيها الصبيان العوم، ويليه باب مخزن السلطان كان به، والى جانبه قصر امة العزيز، وقصر ابن جامع؛ لا يعلم كم غرم على كل واحد منهما؛ حتى قال ابن سعيد في المغرب عن قصر ابن جامع وهو احد وزراء بني عبد المومن : انه كان في داره ساحة يلعب فيها خمسمائة جارية على خيل الخشب وتتطاعن، ويلي ذلك باب مسوفة يفضي الى المقابر، وباب دكالة، وهو مفض الى المنتزهات، ويليه باب الرخاء، ويليه باب تاغورت، ويليه باب فاس؛ وهو مفض الى فضاء يفضي الى نهر كبير، لا يخاض الا في زمان الصيف، وعليه بساتين جليلة ومتنزهات،

ويليه باب الدباغين ، ويليه باب سنار،ويليه ايلان، ويليه باب اغمات، وامامه منازل المجذومين لأنها دائم بالحضرة،ويليه باب الصالحة، وخارجه مقابر وبساتين . . .

الى هنا انتهت هذه النبذة الفريدة التي تنشر كاملة لاول مرة (فيما اظن)[1]،وهي مليئة بالشواهد عما كان لبعض عظماء الموحدين؛ وبخاصة يعسوبهم يعقوب المنصور؛ من الاهتمام بالبنيان والتشييد .

وبعد هذا نختم هذا البحث ببيان ان مواد البناء لهذا العهد كانت في منتهى الجودة، وكانت تعتمد في كثير من المباني على الاحجار الصلبة، كما كانوا يستعملون الطابية في مبان اخرى، حسبما هو مشاهد فيما بقي ماثلا من آثارهم حتى الآن .

صناعة جر المياه

وهي من ملحقات البناء،وقد بلغت اذ ذاك شاوا بعيدا؛ يدل لهذا ما جروا من مياه على مسافات بعيدة، وما شيدوا لها من هياكل عالية، ومن اجل أننا لم نقف على تفاصيل اعتنائهم بهذه الصناعة؛ نذكر جملة مما وقفت عليه من آثارهم الناشئة عن براعتهم في هذا الشان، حتى يمكن ان نستدل بتلك الآثار على ازدهار هذه الصناعة .

وأول ما يذكر من آثارهم في هذا الصدد ان يعقوب المنصور هو الذي قام ببناء الاقواس الممدودة عليها قنوات المياه الموجودة بالمدن المغربية، بناها بامره المسيحيون الذين اتى بهم قواد المنصور عند غزوه لجزيرة الاندلس، مقدمة الفتح 129 .

ومن آثارهم الاخرى في هذا الميدان جرهم المياه لكثير من المدن

1 - اعيد نشرها ضمن نص أوسع من مسالك الأبصار، بالعدد الأول من مجلة البحث العلمي .

والجهات بالمغرب، ومن المدن التي جهزوها بالماء مدينة الرباط؛ جلبه لها -عام 545-الخليفة عبد المومن، واتى به من عين غبولة في مادة ممدودة من نحو عشرين ميلا، المصدر 42و139-140، ومدينة مكناس اجروا لها الماء من عين تاكما على بعد ستة اميال، الروض الهتون، وآسفي ادخل لها الماء يعقوب المنصور، ورفع اليه ساقية عظيمة غاية في الاتقان من الوادي الاخضر بتساوت، ولا تزال تحفظ باسم الساقية اليعقوبية، ويوجد أثرها في بلاد الرحامنة الى ارض دكالة الحمراء، أنظر آسفي : وما اليه 172، وسلا جره عبد المومن لها من الرباط بواسطة قنطرة مائية، تاريخ الاندلس (2) 254، ومراكش اجروا فيها مياها كثيرة لم تكن فيها قبلهم، المعجب 240.

كذلك جلب الناصر الماء لجامع الاندلس من عين خارج باب الحديد من فاس، الانيس45-46. زهرة الآس 82، وجلب عبد المومن لبستانه الذي غرسه خارج مراكش الماء من اغمات، واستبط عيونا كثيرة، الحلل 110.

ذلك ما امكن ذكره من آثار الموحدين في هذه الناحية، ومن غير شك انهم ما تاتى لهم ذلك الا بواسطة صناع ماهرين، الامر الذي يدل على مدى رقي هذه الصناعة حينئذ.

صناعة السفن

وهذه الصناعة كانت مزدهرة بالمغرب الى حد كبير، بل ان المغرب حينئذ تفوق فيها تفوقا بز به من قبله ومن بعده، جاء في المقدمة 222 أنه لما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين، اقاموا خطة الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما

عهد . . . وانتهت اساطيل المسلمين حينئذ في الكثرة والاستجادة ؛ الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيماعهدناه؛ومن الشواهد الاخرى على ذلك التفوق ـ ولكن على المعاصرين فقط ـ ان صلاح الدين الايوبي ملك الشرق العظيم ؛ تقدم لملك المغرب يعقوب، يطلب منه ان يمده بالاساطيل ، المصدر 222 . وأدفونس الاسبان ، هو الآخر كتب للمنصور يطلب منه ان يرسل اليه اساطيله ؛ ليعبر عليها الى المغرب ، القرطاس 140 . الاستقصا (1) 176 ، كذلك أثبت يوسف اشباخ (2) 247 : انه في عهد يوسف نشبت عدة مواقع بحرية بين الموحدين والقطلونيين على مقربة من طرطوشة ؛ واحرز أمير البحر الموحدي كثيرا من ضروب التفوق، كما انه في حصار المهدية ـ التي كان يحتلها النورمانيون اصحاب صقلية ـ قدم من صقلية اسطول نصراني من مائتي سفينة ؛ ليحاول انقاذ المدينة ، فهاجمه أمير البحر الموحدي عبد الله بن ميمون ، وكان لديه اسطول كبير من السفن الاندلسية والمغربية ، ونشبت بين المسلمين والنصارى معركة بحرية كبيرة ، لم تغن فيها براعة النورمانيين في البحر شيئا ، واحرز المسلمون عليهم نصرا باهرا ، وأحرقوا وأغرقوا جانبا من سفنهم ، واستولوا على جانب آخر منها، هذا كله كلام يوسف اشباخ .

مصانع السفن

وكانت لتلك الاساطيل مصانع متوافرة ؛ منبثة على طوال مراسي المملكة الموحدية ، وكانت الواحدة من هذه المصانع تعرف بدار الصناعة، وقد امتدت من مرسى سلا الى المهدية، وطنجة. وسبتة،

وبادس، والريف، الى بلاد تونس، ووهران، وهنين -عنابة- الى الاندلس ، وكانت هذه المصانع تنشابها الاساطيل البحرية. والمراكب الجهادية ، القرطاس 127 . الاستقصا (2) 11 ، كما كانت هناك مصانع اخرى لانشاء سفن النقل، ومنها دار الصناعة بقصر مصمودة ،التي كانت تنشابها المراكب والحراريق : التي يسافر عليها الى بلاد الاندلس، نزهة المشتاق. ومنها ايضا دار الصناعة بالموضع المعروف بالحبالات من ارض بني عبودة؛ التي بقرب ملتقى ووادي فاس كان الغالب عليها ان تنشابها القوارب والسفن الصغار، انظر : زهرة الآس 27 والجذوة 23 .

انواع القطع البحرية

وهذا ما وقفت عليه من انواع القطع البحرية لهذا العهد : (1) المراكب. (2) الشواني. (3) الطرائد. (4) المسطحات. (5) الحراريق. (6) الزوارق. انظر : القرطاس 140 . نزهة المشتاق.

صناعة السلاح

وكما كان المغرب متفوقا في صناعة السفن، كذلك كان متقدما جدا في صناعة السلاح، وكانت معامله توجد في جميع جهات الموحدين، وكانت هذه المعامل تنتج يوميا مقدارا عظيما من السلاح؛ حسبما يوخذ كل هذا مما جاء في القرطاس 127 وغيره : ان عبد المومن امر سنة 557 بضرب السهام في جميع عمله، فكان يضرب له منه كل يوم عشرة قناطير او نحوها، فجمع من ذلك ما لا يحصى، وانظر تاريخ الاندلس (2) 248 .

صناعة الورق

وهذه الصناعة هي الاخرى بلغت شاوا كبيرا لهذا العهد، وكانت لها معامل كثيرة تنتج ورقا جيدا ، ومن مدن المغرب التي كانت مشتهرة في هذا الشان مدينة سبتة ، ومدينة فاس ، وهذه الثانية بلغت فيها معامل انتاج الورق حسبما مر بنا: (400) عمل، وذلك ايام المنصور والناصر 580 ـ 610 = 1184 ـ 1213 .

ومما يستحب ان يلفت اليه النظر ، انه بينما كان المغرب في هذا التاريخ بلغت فيه نهضة صناعة الورق ذلك المبلغ ؛ كانت بلاد اوربا كلها ـ باستثناء اسبانيا ـ ليس بها اذ ذاك ولا معمل واحد للورق ، وانما دخلت اليها هذه الصناعة بعد هذا الوقت بزمن ، وللتدليل على هذا ننقل كلاما نفيسا للعلامة (اسكورو) في كتابه الكاغد وفيه يقول :

وأنشيء أول معمل باسبانيا (الاندلس) في مدينة شاطبة حوالي سنة 1150 م في ولاية بلنسية ، ويرجع عهده بايطاليا الى اواخر القرن الثالث عشر ، وفي سنة 1390 انشيء معمل للكاغد بمدينة نورمبيرغ بالمانيا ، واما بفرنسا فأقدم المصانع قد انشيء في منتصف القرن الرابع عشر باحواز (طروي) وضواحي (ايسون) ، اما بانكلترا فأول المصانع يرجع الى عهد الملكة : اليزابيط سنة 1588 م .

من مقال نشره الاستاذ عثمان
الكعاك في مجلة «المباحث» التونسية
عدد 25 من السلسلة الجديدة .

ولا شك انه بمقابلة هذه الارقام مع الارقام الاخرى التي كانت

فيها معامل فاس وحدها تبلغ (400) يظهر مدى تفوق المغرب؛ وسبقه لكل بلاد أوربا النصرانية في هذه الناحية.

صناعة الصفر

وكانت لها اذ ذاك نهضه فائقة، ومما بقي لنا من آثارها قطعتان نفيستان؛ ناطقتان بما وصلت اليه هذه الصناعة اذ ذاك من الرقي، واول هاتين القطعتين الثريا الكبرى بجامع القرويين العامر. قال في زهرة الآس 59: وفيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن، اما الثانية فهي الثريا الكبرى بجامع مكناس الاعظم؛ كتب في دائرتها السفلى صنعت هذه الثريا بمدينة فاس حرسها الله، لجامع مكناس شرفه الله بذكره، وكان الفراغ من عملها في العشرين من شهر ذي القعدة، عام اربعة وستمائة.

صناعة السكة

وكان بها لهذا العهد اعتناء كبير، وكانت عاصمتها فاس؛ التي كان فيها بمدينتي القرويين والاندلس دارا سكة، فنقلها الناصر الى دار اعدها بقصبة فاس. حين بناها سنة ستمائة، واعد بها مودعا للاموال المندفعة بها ولطوابع سكتها، واتقن ثقافها على كل حال وأتمه، وغالب ما كان يسبك بها الذهب، واما الدراهم فكانت ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها، الدوحة المشتبكة (خ).

ولاجل ان نلم ببعض المعلومات عن مسكوكات هذه الصناعة التي كانت تقوم على اساس الدينار والدرهم؛ اذكر ان ما وقفت

عليه مما ورد عرضا في مصادر متعددة؛ يفيد ان دار السكة لم تكن تضرب عملة متحدة الوزن طوال هذا العصر ، وانها ضربت عملات اختلفت بتعاقب غير واحد من ملوك الموحدين ، ومن هذه العمل عملة عبد المومن التي كانت تنسب اليه فيقال : الدينار المومني والدرهم المومني؛ اخذا مما سنقتبسه عن رحلة ابن جبير والمعجب.

ومنها عملة يوسف بن عبد المومن ، قال ابن خلكان في ترجمته (2) 491 : والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه ، كما ان يعقوب المنصور ادخل تغييرات على نظام العملة؛ فاحدث ديناراً ضخما؛ اشار له ابن عذاري في الجزء المخطوط من تاريخه الذي نقلت عنه بواسطة في بحث الآداب ، كذلك ضرب دراهم جديدة ذكرها في المعجب 190 ، وكانت العملة الموحدية الى ايام المامون مربعة الشكل؛ حسبما امر بها المهدي ابن تومرت؛ الذي سن تربيع السكة لاول مرة كما في الدوحة المشتبكة .

وعندي -ضمن مجموعة النقود القديمة- قطعتان مختلفتا الوزن من هذه العملة الموحدية المربعة ، وقد كتب داخل دائرتهما المربعة من احد الوجهين في ثلاثة سطور : لا اله الا الله ، الامر كله لله ، لا قوة الا بالله . وفي الوجه الآخر في سطور ثلاثة ايضا : الله ربنا ، محمد رسولنا ، المهدي امامنا . ولما غير المامون تقاليد الموحدين وعاداتهم كان منها ابطال تربيع السكة؛ وجعلها مدورة ومحو اسم المهدي منها؛ كما بالقرطاس 161 وغيره .

وبعد هذا فهل يمكننا ان نعرف مقادير هذه العمل الموحدية ونقف على وزنها ؟ انني لم اعثر على نص يكشف عن هذه الناحية كشفا تاما، وكل ما وقفت عليه عبارات وردت عفوا تفيد - في

الجملة ـ مقدار عملتي عبد المومن ويعقوب، وهذا ما وقفت عليه على ما في بعضه من الاجمال : يذكر في المعجب 148 عن الدرهم المومني انه نصف درهم النصاب ، ويوخذ من رحلة ابن جبير صفحات 25،19،12 : ان الدينار المومني يعادل نصف الدينار المصري في ذلك التاريخ: ايام صلاح الدين الايوبي .

ويثبت ابن القطان في مقالته : انه وجد زنة الدينار اليعقوبي ـ نسبة الى يعقوب المنصور ـ من حب الشعير الوسط (اربعاوثمانين حبة)،وان الدينار يزن ثلاثة دراهم مربعة موحدية، الدوحة المشتبكة (خ) .

ذلك ما استطعت ان اقف عليه الآن مما يتعلق بمسكوكات دار السكة ومقاديرها ، اثبته هنا كنواة لدراسة هذا الموضوع دراسة ضافية .

صناعة استغلال المناجم

وكان لهم اعتناء بهذه الصناعة ، ويوسف منهم عنى عناية خاصة باستغلال مناجم الذهب والفضة في افريقية والاندلس، تاريخ الاندلس (2) 254 ، وظاهر ان هذا ناشيء عن معرفتهم اذ ذاك لبعض المعادن، ويدل لهذا ايضا بل ويدل على وفرة المناجم حينئذ: ان المراكشي ذكر آخر المعجب 242،241،232 عددا مما كان معروفا اذ ذاك بالمغرب والاندلس من معادن الذهب، والفضة، والحديد، والكبريت، والرصاص، والزئبق، وغير ذلك بكل دقة وضبط .

ومن غير شك ان الموحدين اكتشفوا بدورهم لاول مرة بعض تلك المعادن، ومن هذا معدن حصن (زكندر) بالسوس،فانه اكتشف

على عهدهم حسبما يؤخذ هذا من قول الانيس 135 لدى حديثه عن هذا المعدن: إنه ظهر هناك. ومن الادلة الاخرى على اعتنائهم باستغلال المعادن، ما جاء في الانيس 135 حوادث عام 578. أنه في هذه السنة خرج يوسف من مراكش لبناء حصن (زَكُندر)، وبناه على المعدن الذي ظهر هناك، فانظر بنيان يوسف على هذا المعدن وخروجه بنفسه من عاصمته للوقوف على بنائه.

ويذكر المراكشي في المعجب 241 عن هذا المعدن انه كان يسكن بحصنه العمال الذين يشتغلون في استخراج خيراته... وانه لم يزل يعرف السفار من التجار وغيرهم يقصدونه.

ولا شك ان من المعادن التي كانت معروفة حينئذ معتنى بها معدن (عوام)، فقد بلغ من اعتنائهم به الى ان سموا جهته به، ونصبوا فيها قاضيا على حدة، يدل لهذا ما ذكره في التكملة رقم 868 في ترجمة ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان السرقسطي؛ المتوفى سنة 598: انه ولي قضاء معدن (عوام) بمقربة من فاس، وبعد هذا أختم هذا البحث بكلام المعجب عن المعادن التي كانت معروفة لهذا العهد بالمغرب والاندلس؛ قال ص242:

قد تقدم ذكر معدن(1)الكبريت الذي بين برقة وطرابلس، وانه بالقرب من حصن يدعى (طلميثة)، وفيما بين سبتة ووهران موضع قريب من ساحل البحر يسمى (تمسامان) فيه معدن(2)حديد، وفيما بين سلا ومراكش قريبا من ساحل البحر الاعظم بمقدار يوم او اكثر قليلا موضع يدعى (إيسنتار) فيه معدن(3)حديد ايضا، وليس هذا الموضع على طريق السفار، انما يقصده من اراد حمل الحديد منه، وبالقرب من مكناسة الزيتون على ثلاث مراحل منها حصن

يدعى (وركناس) فيه معدن(4)فضة، وقد ذكرنا معدن(5) (زجندر) الذي بسوس، غير ان فضته ليست هناك،اعني فضة معدن زجندر.

وبسوس ايضا معدنان(6 ـ 7)للنحاس، ومعدن(8)توتيا وهي التوتيا التي يصبغ بها النحاس الاحمر فيصير اصفر، فهذه جملة ما بالعدوة من المعادن، وبجزيرة الاندلس معادن ايضا.فمنها معدن(9)فضة ببلاد الـروم فـي الجهة المغربية بموضع يدعي (شنترة)،وعلى اربع مراحل من مدينـة قرطبة؛ موضع يسمى (شلون) فيه معدن(10)زئبق منه يفترق الزئبق على جميع المغرب.

وفي اعمال المرية وعلـى يـوم ونصف منهـا بموضـع يعرف (بدلاية) فيه معدن(11)رصاص، وفي اعمال المريـة ايضـا على يـوم ونصف منها موضع يسمى (بكارش) فيه معدن(12)حديد ايضـا، وما بين دانية وشاطبة موضع يسمى (اوربة) على نصف يوم من دانية فيه معدن(13)حديد.فهذه جملة ما بالانداس من المعادن، هـذا كلام المعجب' وينبغي ان يضاف لمعادن العدوة معدن (14) عوام الآنـف الذكر، حيث تصير جملة المعادن التـي كانت معروفـه اذ ذاك بالمغرب والاندلس اربعة عشر معدنا.

الصناعات الميكانيكية

وزيادة على تلك الصناعات الوفيرة الراقيـة؛ كذلـك نهضت الصناعات الميكانيكية، وظهرت في كثير من المظاهر' وفوق مـا مر بنا في مبحث عامي الهندسة والتنجيـم من مقصـورة مراكش وساعتها الميكانيكيتين' وفوق مظاهر اخرى لها في بعض الصناعات السالفة؛ فوق ذلك كله ظهرت صناعات ميكانيكية اخرى، وتمثلت

في تركيب بعض اوعية مصحف عثمان ، ووضع بعض القناطير المديدة ، وصنع بعض الاعتدة الحربية ؛ مثل الدبابات ، والمجانيق والبارود ، وفيما يلي استعراض لهذه المصنوعات الميكانيكية :

أوعية مصحف عثمان

سنذكر عن هذا المصحف الكريم انه صنعت له اغشية بعضها من السندس ، وبعضها من الذهب والفضة ، واتخذ المغشاء محمل بديع ، واتخذ للمحمل كرسي ، ثم اتخذ للجميع تابوت يصان فيه ؛ كما سنبسط هذا في مبحث التزويق .

ونريد ان نثبت هنا ان كلا من صوان الذهب والفضة والمحمل ادخل في تركيبها شيء غير قليل من الصنعة الميكانيكية ، حسبما يوخذ من المصدر الآتي ، اما التابوت فقد كان قطعة فنية ناطقة بما كان لهذه المهنة حينئذ من الرقي العظيم ، وفيما يلي وصف لهذه الناحية في تابوت المصحف الكريم ؛ بقلم شاهد عيان هو الامام الكبير ؛ ابو بكر ابن طفيل في رسالته في هذا الصدد ، قال :

وله ـ تابوت المصحف ـ في احد غواربه باب ركبت عليه دفتان ؛ قد احكم ارتجاجهما ، ويسر بعد الابهام انفراجهما ، ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسي من تلقائه ، وتركب المحمل عليه ما دبرت الحركات الهندسية ، وتلقيت التنبيهات القدسية ، وانتظمت العجائب المعنوية والحسية ، والتأمت الذخائر النفيسة والنفسية ، وذلك ان باسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد اعد له مفتاح لطيف يدخل فيه ، فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه ، واديرت به اليد انفتح الباب

بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما، وخرج الكرسي من ذاته بما عليه الى اقصى غايته.

وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة، مقترنة بحركة ياتي بها من مؤخر الكرسي زحفا الى مقدمه، فاذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه، انغلق الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما، دون ان يمسهما احد، وترتيب هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط، دون تكلف اي شيء آخر، فاذا ادير المفتاح الى خلف الجهة التي ادير اليها اولا انفتح اولا الباب، واخذ الكرسي في الدخول، والمحمل في التاخر عن مقدم الكرسي الى مؤخره، ... كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين ايضا من تلقائه، كل ذلك يترتب على حركة المفتاح، كالذي كان في حال خروجه، وصحة هذه الحركات اللطيفة على اسباب ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسي، وهي مما يدق وصفها، ويصعب ذكرها، النفح (1) 288.

قنطرة بين الرباط وسلا

اقتضب المراكشي وصفها آخر كتابه: المعجب 240، وتبسط في وصفها صاحب الاستبصار (خ)، وذكر انها مركبة على ثلاث وعشرين معدية : مدت عليها اوصال الخشب، وصلبت عليها الالواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر، تجوز عليها العساكر والمسافرون .. ويمد البحر فترتفع القنطرة فتغطي الجسر، فتعوم عليه المراكب وترسي دونها الاجفان الكبار.

قنطرة نهر الوادي الكبير باشبيلية

ذكرها المؤرخ يوسف اشباخ في تاريخ الاندلس (2) 254 ، وقال : ان يوسف هو الذي انشاها من السفن ، وانها تثبت فيها السفن معا بالسلاسل .

آلات حربية
أو
دبابات موحدية

وبالاسم الاول وردت في (مجموع رسائل موحدية).ووصفها ص 105-107 بانها لما صنعت من الاخشاب العظيمة الاجرام وكملت، قدمت الى الاعداء، وانتهت الى حفيرهم، واستعلت على اسوارهم . كما ذكر عنها ص 205 انها لما تمت وشحنت بضروب الاسلحة، وسترت بانواع الخيش الواقية ، قربت الى الاعداء لردم حفيرهم .

وظاهر ان هذه الاوصاف تنطبق على الدبابات ذات الابراج التي كان المسلمون يستعملونها في حروبهم، واستعملها قبلهم كثير من الامم

ويذكر المصدر 105 انهم صنعوا من تلك الدبابات عددا في اقرب وقت، وهذا يدل على البراعة في الصناعة ، كما يذكر 107-206,108 انها كانت تعجل القضاء على الاعداء، وهذا يدل على جودة تلك المصنوعات .

وقد استعمل هذه الدبابات كل من عبد المومن ويعقوب المنصور في فتح مدينة قفصة من افريقية، وكانت تحمل اسم: (البرج المبارك)، كما بالمصدر المذكور 205.

المجانيق

كذلك استعمل عبد المومن ويعقوب المجانيق في الفتحين المذكورين؛ اخذا من المرجع المشار له 205,204,105.

وقد كانت هذه المجانيق - كما يصفها المرجع المذكور - تبلغ في نكاية الاعداء المبالغ، وتحل بهم القواصم والدوامع، وتنهك اسوارهم، وتهدم ديارهم، وتعفي آثارهم.

البارود

اما هل عرف الموحدون البارود؟ فامر يشك في صحته، ويؤيد الاستاذ يوسف اشباح في تاريخ الاندلس (2) معرفتهم لهذا السلاح الجديد ص (58): بان خلفاء عبد المومن من الموحدين؛ هم الذين نقلوا استعمال البارود في القرن الثالث عشر من افريقية الى اسبانيا، كما يؤكد ذلك ص 246-247 بانه لم يمض قليل على زمن الموحدين - أعني اواخر القرن الثالث عشر، واوائل القرن الرابع عشر - حتى شاع بين مسلمي افريقية استعمال الآلات القاصفة التي تقذف الكرات الملتهبة، ووصف هذه الآلات لا يدع مجالا للشك في ان هذه الكرات كانت تقذف بواسطة البارود.

صناعة التصوير

وبصفة خاصة ظهر اثر طابع الدولة الديني في التصوير ، فلم يستعملوه ويعتنوا به الا في دائرة الحاجة الدينية او العلمية، والا في ميدان اللهو المباح .

وابرز الامثلة للتصوير في هذا العهد ما سلف لنا ص 251 عن دار الوزير ابن جامع بمراكش الجديدة،من انه كان بها ساحة تلعب فيها خمسمائة جارية على (خيل الخشب) وتتطاعن .

ومن الامثلة الاخرى ما مر بنا انهم صوروا حول احدى نوافذ صومعة حسان بالرباط جهة البحر (سيفين عظيمين) مصلتين، رأساهما الى السماء؛ ارهابا للعدو المهاجم ، ورمزا الى التهييء له والاستعداد ، ومما يلحق بهذا ان ابن رشد الثاني قدم لاحد خلفاء الموحدين كتابه في الحيوان ؛ الذي يحتوي على (صور جميع الحيوانات) ، كتاب الفنون الجميلة 195 .

هذا إلى أنهم كانوا يصورون التصميمات لبعض المباني ، ومن ذلك ان حسان ـ الذي اضيف له فيما يظهر جامع حسان ـ عمل الشكل الهندسي لاستخراج القبلة للمنصور بمراكش ؛ مقدمة سوق المهر (خ) ، وأخيرا لا ننسى ان نذكر القارىء في هذا الصدد بالكرة والخريطة الادريسيتين؛ وقد مرتا في مبحث الجغرافيا .

صناعة الطرز

كذلك فن الطرز تاثر إبان عظمة الدولة بذلك الطابع ، لذلك لم يستعملوه الا في بعض الرايات ؛ اخذا من تاريخ الاندلس (2) 87،

والا في بعض الستور ، اخذا من تاريخ التمدن الاسلامـي (1) 167 .
الذي رسم صورة لستارة موحدية ، على انهم آخر دولتهم التفتوا لهذه الناحية واسسوا دار الطـراز الخاصة بهم ' على ما يوخذ من المقدمة 232 .

صناعة التزويق

وكان الموحدون اول نشأتهم معادين لهذا النوع من الفنون، حتى ان فقهاء واشياخ فاس اضطروا ان يستروا النقش والزخرف الواقعين فوق محراب جامع القرويين لما علموا بزيارة عبد المومن له' وخافوا من انتقاده عليهم،كما في القرطاس 35 ، هكذا كان موقفهم - اول الامر - ضد هذا اللون من الزينة' ولكن لم يكد يستتب الامر لعبد المومن ثم لخلفائه من بعده،حتـى اصبحوا من انصار التزويق والزخرفة ، واكبر مظهر ظهر فيه هذا الصنف من الفن هو المباني والكتب .

اما المباني فلا زالت منها لحد الآن لمحة شاهدة بالاثر فيما بقي قائما من المباني التي زخرفوها ، ناطقة بـذوق الموحدين في هذه الزخرفة؛ التي تجمع الى رقة الاندلس فخامة الشرق، وتنطـق باللطف والقوة .

واما الكتب فان تزويق بعضها مثل المصاحف -صحائف واغشية- بلغ جانبا كبيرا من اعتناء القوم ، وممن حافظ عليه التاريخ من اسماء المزوقين في الكتب لهذا العهد : ابو الحسن يحيـى بن محمد الغيسي القرطبي، ثم الفاسي مستوطنها، المعروف بـابن الاشبيلي . ترجمه في التكملة 2767 والصلة 358 ، ووصفه الاول بانـه كان

بارع الخط ، مذهبا صناعا ، وعبارة الثاني : كان من اهل الخط والتذهيب .

وهذه بعض الامثلة لزخرفة الكتب حينئذ :

زخرفة أوعية مصحف عثمان

يصف ابن طفيل في رسالة المصحف الكريم هذه الزخرفة التي امر بها عبد المومن بما يلي :

مما صنع للمصحف العظيم من الاصونة الغريبة، والاحفظة العجيبة ، انه كسي كله بصوان واحد من الذهب والفضة ؛ ذي صنائع غريبة من ظاهره وباطنه، لا يشبه بعضها بعضا، قد اجري فيه من الوان الزجاج الرومي ما لم يعهد له في العصر الاول مثال، ولا عمر قبله بشبهه خاطر ولا بال . . .

ونظم على صحيفته وجوانبه من فاخر الياقوت ، ونفيس الدر ، وعظيم الزمرد ، ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس في افراده ، وتتوارثه على مرور الزمن وترداده ، وتظن العز الاقعس والملك الانفس في ادخاره واعداده ، وتسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه في صنعه واتحاده، فانتظم عليه منها ما شاكله زهر الكواكب في تلألئه واتقاده ، واشبهه الروض المزخرف غب سماء اقلعت عن امداده ، واتى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر ، آخذا بمجامع القلب والبصر ، مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصور ، يدهش العقول بهاء ، ويحير الالباب رواء، ويكاد يعشي الناظر تالقا وضياء . . .

وتلطف في تتميم هذا الغرض المعتمد، وكسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر، ذي حلية عظيمة خفيفة؛ تلازمه في المغيب والمحضر. . . وصنع له محل غريب الصنعة؛ بديع الشكل والصبغة. . . مغشى كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع؛ في قطع من الابنوس والخشب الرفيع، لم يعمل قط في زمن من الازمان، ولا انتهت قط الى ايسره تواقد الاذهان، مدار بصنعة قد اجريت في صفائح الذهب، وامتدت امتداد ذوائب الشهب، وصنع لذلك المحمل كرسي يحمله عند الانتقال، ويشاركه في اكثر الاحوال، مرصع مثل ترصيعه الغريب، ومشاكل له في جودة التقسيم وحسن الترتيب، وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة على انوارها، والصدور على محفوظ امكارها، مكعب الشكل، سام في الطول، حسن الجملة والتفصيل، بالغ ما شاء من التتميم في اوصاله والتكميل، جار مجرى المحمل في التزيين والتجميل. النفح (1) 287 ـ 288 .

زينة راحلة المصحف

وكان خلفاء الموحدين يحملون هذا المصحف الكريم بين ايديهم انى توجهوا على ناقة حمراء، عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة ما يعدل اموالا طائلة، وقد جعلوا تحته بردعة من الديباج الاخضر يجعلونه عليها، وعن يمينه ويساره عصيان عليهما لوآن اخضران، وموضع الأسنة منهما ذهب شبه تفاحتين .

المعجب 166 .

حلية مصحف ابن تومرت وراحلته

ويكون خلف تلك الناقة في مواكبهم بغل محلى ايضا ، عليه مصحف آخر، يقال انه بخط المهدي ابن تومرت، دون مصحف عثمان في الجرم، محلى بفضة مموهة بالذهب. المصدر 166 .

تذهيب موطا ابن تومرت

ويحفظ حتى الآن في مكتبة القرويين بفاس هذا الموطا، وهو مكتوب في رق غزال، مذهب .

صناعة الخطاطة

انواع الخط

كان الخط الشائع لهذا العهد هو الاندلسي ، اخذا من المقدمة 367 ، وكان الى جانب هذا الخط العام يوجد نوعان من الخط الخاص؛ احدهما يكتب به في السكة والطراز وما اليهما، وكان آخذا من الخط الاندلسي والخط الشرقي ؛ حسبما هو مشاهد على المعروف من ذلك الصنف ، والآخر خط العلامة الموحدية : ــ الحمد لله وحده ــ وكانوا يكتبونها بيدهم بخط الثلث في راس المنشور، كما يذكر هذا المؤرخ ابن الوكيل في اختصار نفح الطيب؛ ورقة 164 نسخة كاتب السطور، وهناك نوع رابع من الخط وهو شكل

امضاء الموثقين ، وهل كان موجودا لهذا العصر ؟ هذا سؤال اضعه بين يدي القارئ الكريم .

نهضة الخطاطة

والآن وقد ذكرنا انواع الخطوط، اذكر ان مهنة الخطاطة حينئذ بلغت غايتها من الجودة والاتقان، بما كان لغير واحد من ملوك الموحدين من الاهتمام بهذا الشان .

ولا شك ان في طليعة هؤلاء الملوك : عبد المومن الذي جعل من بنيه قدوة حسنة في الاهتمام بالخط ، فنشاهم ثلاثة عشر كلهم حفاظ (خطاطون) المصدر **114** .

وقد كان بعض هؤلاء الابناء يمتدحون بجودة الخط؛ مثل السيد عمر بن عبد المومن ؛ مدحه الشاعر الاندلسي الكبير ابن مجبر، ووصف خطه بهذين البيتين :

تبث يمناه زهرا في الطروس ولا ذكر على السحب ان ينبثن ازهارا
خط هو السحر لاكنا ننزهه ونجعل القلم النفاث سحارا

زاد المسافر 9 ـ 10 .

وأخيرا نذكر ان عمر المرتضى من اواخرهم كان له حظ وافر من براعة الخط . حلل 126 ، ومن منتسخاته مصحف قرآني كريم في عشر مجلدات سنلم بالحديث عنه فيما بعد .

الخطاطون

ولقد كان من اثر ذلك الاهتمام بالخطاطة ان نشأ حينئذ خطاطون بارعون؛ نذكر منهم اسماء النخبة الآتية : (1) عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي الفاسي ت 597، التكملة 1491. الجدوة 236، و (2) ابا حفص عمر بن عبد الله السلمي الاغماتي نزيل فاس؛ حدود 530-603، التكملة 1831 . الجدوة 286، و (3) عبد الرحمن ابن يوسف الازدي الزهراني؛ المعروف بابن الماجوم الفاسي 535-605، التكملة 1652 . الجذوة 254، و (4) عقيل بن عطية القضاعي المراكشي 549-608، زوائد التكملة 1946، و (5) ابا الخطاب عمر ابن الحسن بن علي ابن دحية الكلبي السبتي؛ يعرف بابن الجميل؛ 547-633، التكملة 1832، و (6) محمد بن يحيى بن صاف؛ المعروف بابن المواق المراكشي ثم الفاسي 583-642، الاعلام (3) 141، و(7) ابا القاسم عبد الكريم بن عمران القصري ت 643، المصدر (3) 103، و (8) محمد بن احمد بن عمر السلمي الفاسي؛ المصدر (3) 144-196، ونختم اسماء الخطاطين حينئذ بـ (9) ابي الحكم بن غلنده؛ وهو وان كان اندلسي الاصل؛ فانه استوطن آخر عمره بمراكش وتوفي ودفن بها، وقد امتاز في خطاطته بانه كان يكتب بخطين اندلسيين؛ طبقات الاطباء (2) 79 .

النساخون

كذلك احترف غير واحد من الخطاطين بمهنة النساخة وهذه زمرة كريمة منهم :

(10) عتيق بن علي الصنهاجي الحميدي المكناسي ثم الفاسي

595

من السابقين الاولين في هذه الصناعة، كتب بخطه علما كثيرا، التكملة 2433 . الجذوة 278.

(11) محمد بن احمد بن محمد بن مرزوق التغمري السبتي

كان حيا 596

كتب بخطه كثيرا، وكان صاحب اتقان وضبط، التكملة 1061 ، 2133.

(12) محمد بن جرير المعروف بابن تاخميست الفاسي

608

كان له خط حسن؛ ينسخ المصاحف بيده؛ ويدفعها لمن يراه أهلا لها ابتغاء الثواب، الذخيرة السنية 41ـ42، القرطاس 175. الجذوة 137ـ138 .

(13) محمد بن ابي عمران موسى بن المعلم الفاسي

611

ممن اشتغل بهذه المهنة، وكان يعيش منها، القرطاس 43ـ44.

(14) احمد بن يوسف بن فرتون السلمي الفاسي

660

كتب بخطه كثيرا . الجذوة 56ـ57 .

(15) محمد بن علي بن العابد الانصاري الفاسي

662

نساخ بارع مواظب، نسخ بيده كبار الدواوين، ولم يفتر قط من قراءة او درس او نسخ او مطالعة ليله ونهاره، البغيـة 77 . الجـذوة 144 . النيل 254 .

صناعة الوراقـة

وهي من توابع الخطاطة ، وتزيد عليها بانها تشمل حتى تجليد الكتب وسائر الامور الكتبية، وكانت ناهضة لهذا العهد، ومن مشاهير اهلها : (16) ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الرحمن ابن الصقر الانصاري الخزرجي المراكشي ؛ ت حدود 590، كان جيد الخط سريع الكتابة؛ تعيش دهرا طويلا بالوراقة؛ وكتب بخطه الكثيـر واتقنه. الاعلام (3) 65 . و (17) عيسى بن واصل المراكشي؛ ت حدود 637 ، كان بارع الخط، جيد الوراقة، كتب بخطه دواوين عدة في فنون شتى ؛ الصلة 96 ؛ و (18) محـمد بن احمد السبائي ؛ المعـروف بابن الطراوة المراكشي؛ ت 659، بـارع الخط انيق الوراقـة ؛ الاعلام (3) 148-149 .

تـذيـيـل

ان الحديث عن الخطاطة والوراقة يحفزنا ان نذيل بالكتابـة عن نهضة المكتبة المغربية ؛ وما كان يوجد بداخلها؛ وحتى في غيرها من الذخائر والآثار .

I المكتبة المغربية لهذا العهد
عمارتها

تضخمت المكتبة المغربية لهذا العهد، وامتلات بنفيس الدفاتر والذخائر، وصارت تقارب في بعض مظاهرها المكتبة الاندلسية ابان ازدهارها، ومن الشواهد على عظمة المكتبة المغربية حينئذ ان قسم الفلسفة من مكتبة يوسف اجتمع فيه قريب مما اجتمع للحكم بالاندلس، المعجب 155، وكان بمدينة مراكش وحدها من دكاكين الكتبيين مائتا دكان لبائعي الكتب المخطوطة؛ كانت بجوار جامع الكتبيين؛ متصلة باسفل منارته العالية،(كتاب المغرب للاستاذ ريكار)، ومكتبة واحدة، هي مكتبة بعض بني الملجوم بفاس، بيعت اوراق كتبها التي هي غير مجلدة بل متفرقة ب 6000 دينار، النفح (1) 574.

اهتمام الموحدين باقتناء الكتب

وقد جاءت تلك الكثرة الفائقة من العناية الكبرى التي كانت للمغاربة، وفي مقدمتهم الخلفاء الموحدون؛ الذين كانوا مضرب الامثال في الاهتمام باقتناء الكتب وتملكها، وان هؤلاء بلغ بهم الاعتناء والاهتمام بهذه الناحية الى حد ان كانوا ينتزعون ملكية المكاتب ممن يخشى ضياعها عنده لاجل صيانتها في مكتبتهم؛ ويعوضون اصحابها عنها التعويضات السنية، ومن امثلة هذا ما رواه المراكشي في المعجب 155-156 عن ابي محمد عبد الملك الشدوني قال:

كنت في زمن شبيبتي استعير كتب هذه الصناعة - يعني صناعة الاحكام - من رجل كان عندنا بمدينة اشبيلية اسمه يوسف يكنى ابا الحجاج؛ يعرف بالمراني - بتخفيف الراء - كانت عنده جملة كبيرة منها، وقعت الى ابيه في ايام الفتنة بالاندلس، فكان يعيرني اياها في غرائر، احمل غرارة واجيء بغرارة من كثرتها عنده؛ فاخبرني في بعض الايام انه عدم تلك الكتب بجملتها، فسالته عن السبب الموجب لذلك، فاسر الي ان خبرها انهي الى امير المومنين يوسف فارسل الى داري وانا في الديوان لا علم عندي بذلك، وكان الذي ارسل كافورا الخصي مع جماعة من العبيد، وامره ان لا يروع احدا من اهل الدار، وان لا ياخذ سوى الكتب . . . وولوه بعد اخذهم لهذه الكتب منه ولاية ضخمة ما كان يحدث بها نفسه.

ولعل هذه القصة تكفينا لبيان مقدار اهتمام القوم بالكتب ومدى شغفهم بتحصيلها.

يوم كنا ولا تسل كيف كنا   نتهادى من العلى ما نشاء

اقتراحهم تأليف الكتب

وان همة الموحدين في هذا الميدان لم تقف عند حد اقتناء الكتب الموجودة؛ بل كانوا يقترحون تاليف الكتب من جديد لفائدة المكتبة العربية؛ فشروح ابن رشد الثاني على كتب ارسطو انما كانت بهمة يوسف حسبما مر بنا في مبحث الفلسفة - نقلا عن المعجب 159، كما ان شرحه الآخر على الفية ابن سينا كان باقتراح السيد ابي الربيع بن ابي محمد بن عبد المومن؛ كما يوخذ من طالعة الشرح المذكور.

اهداء الدفاتر والذخائر لمكاتبهم

وعرف الناس منهم ذلك الاهتمـام باقتنـاء الكتب، فتقدمـوا لمكاتبهم باهداء الكتب ؛ فعل هذا ابن رشد المذكور ، وقدم لخزانـة احد الخلفاء الموحدين كتابه في الحيوان ، (الفنون الجميلة 195) . وبعض الايمة الذي رفع لخزانة المرتضى الموحدي تاليفا يتضمن التوشيح ، (ازهار الرياض (2) 230 .)

بل ان الاهداء لمكاتبهم كان حتى من عظماء الملوك خارج مملكتهم ، ومن هذا ان السلطان الشهير صلاح الدين الايوبي اهدى لمكتبة الخليفة يعقوب مصحفين كريمين منسوبين ، الاستقصا (1) 174.

مقام خطة المحافظة على الكتب

ومما يندرج في هذا الباب اعتناؤهم بخطة المحافظة على الكتب، وكانوا يعتبرونها من الخطط الجليلة؛ التي لا يعين لها الا علية اهل العلم واكابرهم، كما يقول هذا في الديباج 49 .

وممن تولاها في هذا العهد : ابو العباس ابن الصقر صاحب المكتبة الآتية الذكر، جاء في ترجمته من المصدر المذكور 49 : وتولى احكام مراكش والصلاة بمسجدها، ثم احكام بلنسية؛ فكان بها قاضيا ، ولما صار الامر الى ابى يعقوب بن عبد المومن الزمه خدمة الخزانة العلمية ، فانظر نقله من القضاء الى المكتبة ، وناهيك بذلك دليلا على علو الوظيفة عند القوم .

تأسيس المكاتب العامة

ولم يقف اعتناؤهم بالكتب عند حد اقتنائها وما يتبع هذا الاقتناء؛ وانهم فوق ذلك اهتموا بتسبيلها ووقفها على العموم، ويقال: ان اول ما وقع وقف الكتب بالمغرب كان في هذا العهد، ولتحقيق هذا الموضوع انقل كلاما في هذا الصدد اثبتته في كتابي . (سالف المكتبة المغربية) تحت عنوان : اول مكتبة عامة بالمغرب ، وهذا نصه:

يقولون ان ابتداء تاسيس المكاتب العامة بالمغرب كان في اواخر العهد الموحدي وان الذي اسس اول مكتبة عمومية بالمغرب هو ابو الحسن الشاري، المولود والمتوفى 579-649 ، فانه اوقف بسبتة خزانة مدرسته الشهيرة، وهي اول خزانة وقفت بالمغرب على اهل العلم،كما يقول ذلك محمد بن القاسم السبتي في كتابه اختصار الاخبار(1):

وانا مع احتفاظنا بهذا النص،نستبعد ان يتاخر تاسيس المكاتب العامة بالمغرب الى هذا العهد الاخير من الدولة الموحدية،من غير ان يكون على الاقل في اولها ؛ ومن غير ان يكون لعبد المومن وابنائه اثر في هذا الميدان،لما علم من اهتمامهم بهذا الشان، واشتهر من ابتنائهم (بيت الطلبة)،وتاسيسهم الكثير من المدارس بالمغرب وغير المغرب ، وكل هذه المؤسسات لا تستغني عن كتب ومكاتب، تكون بجانبها مباحة للعموم ، فالظاهر ان ابتداء تاسيس المكاتب العامة بالمغرب كان قبل هذا العهد اوائل العصر الموحدي على الاقل؛ وانه اسست اذ ذاك مكاتب عامة ؛ اهملها التاريخ فيما اهمل ، فقاتل الله الاهمال .

هذا ما اثبتته اولا مع بعض حذف يسير: ثم وقع الي قسم كبير من كتاب : (المسالك والممالك) لابن فضل العمري: فاكتشفت به خزانة عامة أسسها يعقوب المنصور بمراكش: قبل ان يؤسس الشاري المكتبة العامة بسبتة .

فبعد ما ذكر ابن فضل ان يعقوب المنصور بنى قصر الخلافة وسط المدينة التي اختطها خارج مراكش خاصة به وبخواصه ، بعد هذا قال : وفي رحبة القصر ـ قصر الخلافة ـ دار الكرامة والاضياف ، وفي هذه الرحبة المدرسة، وهي مكان جليل به (خزائن الكتب) .

هذا كلام ابن فضل، وكيفما فسرنا عموم هذه الخزائن ، وكيفما ذهبنا في فهمه، فانه يفيدنا ان الخزانة الشارية ليست اول مكتبة عامة بالمغرب، وانها مسبوقة لا سابقة ، وبعد هذا فاني لا اقصد ان هذه الخزائن ـ التي أسسها يعقوب ـ هي اول خزانة عامة بالمغرب، واني اعود فأؤكد انني لا زلت استبعد ان يتاخر تاسيس المكاتب العامة بالمغرب؛ ولو الى هذا العهد من الدولة الموحدية .

المكاتب

أوعية الكتب

لم أقف على صفة اوعية الكتب عند المغاربة حينئذ، وانما وقفت على وصف موجز لبعض اوعيتها لدى الاندلسيين ، وبما انه لا يبعد ان تكون ظروف الخزانة المغربية على غرار اوعية اختها الاندلسية ، اثبت هنا ابياتا ثلاثة تصف بايجاز تلك الاوعية الاندلسية ؛ التي يغلب ان تكون مثل شكل الخزانة المغربية. وهذا نص الابيات :

ووعاءُ عـود للعلـوم صيانـة حملت ذخائرها قوائم أربـع .
محفوظة الاشكـال مما قد حوت فالعلم يحفظ مـا حواه ويمنـع
خشب كلون التبر يشرق فوقها حلي حكى لون اللجين ويسطع

من قطعة شعرية للاديب الشاعر
ابي عبد الله محمد المعروف برببيب
الحشى الجزيري كان حيا سنة 587.
وقد وردت في ترجمته من كتاب
بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها (خ).

الكتابة على الخزائن

وكانوا يكتبون على بعض الخزائن الجليلة، ويوجد في ديوان السيد ابي الربيع بيتان اثنان؛ امر بهما ان يكتبا على خزانة كتبهم المباركة .

أسماء الخزائن

تاسست على هذا العهد مكاتب عديدة؛ عامة، وملكية، وخاصة ونذكرها على هذا الترتيب فيما يلي :

المكاتب العامة

(1) مكاتب مدرسة المنصور بمراكش

سلف لنا آنفا الحديث عن هذه المكاتب، ولم أقف بعد على شيء زائد على ذلك .

(2) المكتبة الشارية بسبتة

مؤسسها — قيمتها

وهي منسوبة لمؤسسها ابـى الحسن علـي بن محمد الغافقي السبتي المعروف بالشاري الآنف الذكر ، كان شغوفا بجمع الكتب مغرما بتملكها ، فكون مكتبة عظيمة، جمعت من الاعلاق النفيسة وامهات الدواوين شيئا عظيما ، ولقد نافس فيها ' وغالى في اثمانها ' وربما رحل في ذلك حتى حصل منها ما لم يكن عند احد من ابناء عصره' ولا تحصّل عند كثير ممن تقدمه : التكملة 1922 . صلة الصلة 300 . جذوة الاقتباس 308 .

وقفها على اهل العلم بالغرب

ودفع ابا الحسن الشاري شغفه بالعلم وحبه لاهله ان اوقف خزانته هذه على اهل العلم بالمغرب، وجعل مقرها بالمدرسة المنسوبة اليه، والتي ابتناها من ماله بسبتة: اختصار الاخبار

عمرها

وقد استمرت هذه المكتبة قائمة الى قريب من عهد سقوط سبتة ، اعادها الله الى عز الاسلام ، فصاحب اختصار الاخبار الذي فرغ منه سنة 765 اشار الى انها بقيت موجودة الى زمنه .

وابن الخطيب المتوفى سنة 776 ذكرها في مقاماته: (معيار الاختبار) وسماها : (خزانة كتب العلوم) .

وكذا زارها بل مكث بها ثمانية اعوام ابو يعقوب يوسف الاعصاوي المتوفى سنة 802 حسبما ذكر هذا عنه ابن غازي في ذيل فهرسته (خ).

المكتبة الملكية

(3) الخزانة العلمية بمراكش

مؤسسها قيمتها

كذلك سماها في الديباج 49، ومؤسسها هو يوسف. ولقد كانت عامرة؛ وعامرة جدا. يدل لهذا ما جاء في المعجب 155 لما تكلم على اعتناء يوسف بتعلم الفلسفة قال: انه امر بجمع كتبها (الفلسفة) فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الاموي، فتأمل قوله: قريب مما اجتمع للحكم، وتذكر ان الحكم كان مغرما بالفلسفة الى حد بعيد، وان كتبها كانت تكون قسما كبيرا من مكتبته العظيمة؛ التي كانت تشتمل - فيما يقال - على 400.000 مجلد كما في النفح (1) 184؛ ثم لاحظ بعد هذا وذاك ان مكتبة يوسف لا بد ان تكون مشتملة على كتب كثيرة غير كتب الفلسفة... فاذا اعتبرت ذلك كله؛ تعلم ما بلغت اليه هذه المكتبة من العمارة والضخامة.

جهود يوسف في جمعها

وينبغي ان لا ننسى الجهود الجبارة التي بذلها يوسف في جمع شتات مكتبته حتى من البلدان القاصية، وقد مر بنا شيء من هذا.

القيم عليها

وكان القيم عليها : هو ابو العباس ابن الصقر الاندلسي كما مر بنا عن : الديباج 49

مكاتب الافراد

(4) مكتبة عبد الرحيم ابن الملجوم بفاس

604 524

قيمتها

وصاحبها هو الراوية ، عبد الرحيم بن عيسى الازدي الزهراني المعروف بابن الملجوم الفاسي ، كونها من مكتبة والده عيسى الذي كان جماعة للدواوين العتيقة ، والدفاتر النفيسة ، ومن مكتبة استاذه ابي عبد الله محمد بن احمد الخزرجي الجياني ، ومما اضاف لهذه وتلك ؛ حيث صارت مكتبة حافلة بالنفائس والذخائر التكملة 1930,1674 . الجذوة 262,281,267

(5) مكتبة عبد الرحمن ابن الملجوم بفاس

605 535

قيمتها

اسسها الشيخ عبد الرحمن بن يوسف ابن الملجوم : من قرابة السابق، وجمع لها من الكتب والدواوين شيئا عظيما ، حتى صارت اكبر مكتبة بالمغرب لذلك العهد . يقول عنها في التكملة 1652.

والجذوة 253 : وكانت له (عبد الرحمن) خزانة دفاتر جليلة الشان لم يكن لاحد من اهل عصره مثلها ، ويقول عنها في الذخيرة السنية 47 : وخزانة كتبه : (عبد الرحمن) كانت المشهورة في المغرب، بيعت خرمها بعد وفاته بستة آلاف دينار ؛ وهذه الفقرة الاخيرة من كلام الذخيرة تفسر لنا اجمال ما سلف من ان احد بنى الملجوم بيعت اوراق كتبه التي هي غير مجلدة ب 6000 دينار ، وتبين انه هو صاحب هذه المكتبة:عبد الرحمن ابن الملجوم .

مصيرها

وكان مصير هذه المكتبة العظيمة ان تصدق بها مؤسسها على ابنة له لم يترك عقبا غيرها؛ حيث تفرقت شذر مذر؛ التكملة 1652. الجذوة 253 .

(6) مكتبة المسوفي بفاس
609

كونها ابو عبد الله محمد بن يحيى بن تاكعت المسوفي؛ والي اعمال فاس آخر عمره، قال في ترجمته ـ من كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها ـ كان معتنيا بالكتب؛ جمع منها ما لم يجمع غيره، وانتفع به شيخنا الاستاذ ابو محمد ، فانه كان ينبهه عليها فيعتني بها حتى يحضرها، فينتفع الاستاذ بها اما بنسخ او بمقابلة .

(7) مكتبة الموماني بفاس
639

قيمتها

من تاسيس الامام الكبير؛ محمد بن عيسى بن معنصر الموماني

الفاسي، وكانت عظيمة جدا : بحيث كان فيها من الكتب ما لم يكن عند احد (كتاب بعض فقهاء مالقة وادبائها (خ).

(8) مكتبة ابن الطراوة بمراكش

659

قيمتها

جامعها هو الامام المؤرخ ابو عبد الله محمد بن احمد السبائي المراكشي، عرف بابن الطراوة، كان متهمما باقتناء الاصول التي بخطوط اكابر الشيوخ. او عنوا بضبطه، وجمع منها جملة وافرة. شديد المحافظة على كتبه، مثابرا على الاعتناء بتصحيحها، نسابة لخطوط المشايخ : الاعلام (3) 148 .

(9) مكتبة ابن الصقر بمراكش

569 502

قيمتها

وهي من انشاء الحافظ المكثر : ابي العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد الانصاري الخزرجي الغرناطي ؛ نزيل مراكش يعرف بابن الصقر ، وكانت مكتبة عظيمة طافحة بالذخائر والنفائس، يقول عنها في الديباج 49ـ50 : انه اقتنى من الكتب جملة وافرة سوى مانسخ بخطه الرائق ، وكان معه عند توجهه لمراكش خمسة احمال كتب ، وجمع منها بمراكش شيئا عظيما .

نكبته فيها

ولقد نكب فيها بضررب من المحن؛ كالغرق؛ والنهب خلال فتنة كانت وقعت ايام مقامه بغرناطة، وكذلك نهبت كتبه بمراكش حين دخلها عبد المومن ؛ الديباج 49 .

(9) مكتبة ابن غلنده بمراكش

581

قيمتها

من جمع الطيب الاديب ابي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن غلنده الاموي مولاهم السرقسطي؛ مستوطن مراكش، وكان بهذه المكتبة كتب كثيرة، طبقات الاطباء (2) 79 .

(10) مكتبة القيسي بمراكش

653

قيمتها

جمعها المحدث الراوية ؛ ابو عبد الله محمد بن احمد القيسي الرندي ؛ نزيل مراكش ودفينها ، وكان جماعا للكتب وفوائد الشيوخ، نسابة لخطوط العلماء ؛ الاعلام (4) 377.

II الذخائر والآثار في هذا العصر

بعد الحديث عن المكتبة المغربية اذكر قلا من كثر من الذخائر والآثار؛ التي كانت شائعة لهذا العهد، محفوظة بالخزائن المغربية وغيرها .

المصحف العثماني

سلف الحديث عنه في غير موضع من هذا الكتاب ، ونذكر هنا ان هذا المصحف ـ على ما يقال ـ احد المصاحف التي بعث بها عثمان الى الامصار، كان بمسجد قرطبة من الاندلس؛ ونقله عبد المومن الى مراكش عام 552 حيث بقي عند الموحدين موضوع تجلة واحترام، الى ان صار اواخر ايامهم لخزائن بني عبد الواد ملوك تلمسان، ثم استخلصه منهم ابو الحسن المريني' وكان آخر العهد به ان تلف في البحر سنة 750 عند غرق اسطول ابى الحسن في حادثة تونس الشهيرة، [1] (النفح (1) 283) .

مصحف ابن تومرت

وهو مصحف يقال انه بخط المهدي ابن تومرت، وقد سلف الحديث عنه، المعجب 166 . النفح (1) 288 .

مصحف المرتضى

هذا المصحف خطه بيده عمر المرتضى من اواخرهم في عشر مجلدات ، وكان يوجد تاما بمكتبة جامع ابن يوسف بمراكش

1 . قارن من هنا مع دراسة بعنوان : "مركز المصحف الشريف بالمغرب" مجلة "دعوة الحق" ص 11 . ع 3 .

الى عام 1149، حيث استعاره في هذا التاريخ محتسب مراكش، وحوالي سنة 1352 بقي من هذا المصحف اربع مجلدات، ولم يبق منه اليوم ولا مجلد واحد في هذه المكتبة.

وقد رايت بمتحف الرباط بعض مجلدات هذا المصحف، معروضة هناك منوها بها في الجملة [1]

النعال النبوية

ويزعم بعض من تكلم على النعال النبوية الشريفة الموجودة حتى الآن بفاس واحدة منها، انها كانت عند بني عبد المومن الى انقراض دولتهم؛ اهداها لهم بعض من رام التقرب لهم. انظر النشر المخطوط.

خريطة قبلة مراكش

وهي عبارة عن الشكل الهندسي الذي وضعه المهندس الشهير حسان لاستخراج قبلة مراكش، وقد كانت محفوظة بالخزانة الموحدية.

قراضة الذهب في ذكر لئام العرب

مؤلفه الامام النظار؛ مالك بن وهيب الاندلسي؛ ضمنه لئام العرب في الجاهلية والاسلام، وضم الى ذلك مايتعلق به من الآداب؛ فجاء الكتاب لا نظير له في فنه، وقد رآه عبد الواحد المراكشي في خزانة بني عبد المومن. المعجب 119.

1. تتمة هذا الموضوع في دراسة بعنوان «تاريخ المصحف الشريف بالمغرب» مجلة معهد المخطوطات. مايو 1969.

دراهم قديمة

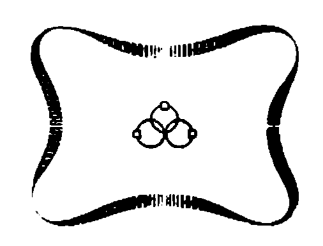
قص خبر هذه الدراهم ابن القطان في مقالته. وذكر انها وجدت في كنز ورفعت للناصر الموحدي، واعطى منها لوالد ابن القطان قطعة. وهي فضية مستديرة الشكل، مكتوب عليها امر بضرب هذه الدراهم امير المومنين عبد الملك بن مروان. (الدوحة المشتبكة).

مد أبي محمد صالح

كان هذا المد عند ابي محمد صالح الدكالي، وقد كيل بمد زيد بن ثابت (ض) بسند صحيح مكتوب عنده. شاهده عنده وعايره الامام الرجراجي الفقيه الشهير. (شرح الحطاب على المختصر (2)366).

عباءة عبد المومن

وهي عباءة حرب سوداء، من مخلفات [illegible] كانت من مدخرات خلفاء الموحدين الآخرين، وكانوا [illegible] في الحروب أخذا من تاريخ الاندلس (2) 118.



استدراكات

وهي مسائل قليلة لم يتأت الحاقها في اماكنها من الكتاب فاستدركتها هنا على ان تعتبر جزءاً من المواضيع الملحقة بها

تعليق على اواخر مبحث النهضة النسوية ص 35 :

نذيل هنا ــ فوق ما تقدم ــ بذكر سيدة مغربية من مثقفات هذا العهد وهـــي :

الثانية أم المجد مريم بنت أبي الحسن الشاري السبتي اوردها في (اختصار الاخبار) 6 . محليا لها بالمسندة وقال انها مدفونة بالبقعة الحبسة على دفن من يموت من طلبة مدرسة والدها بسبتة . وهذه الفقرة الاخيرة تفيد ان ام المجد كانت طالبة بالمدرسة الشارية المذكورة، كما تفيد ان هذه المدرسة كان يقرأ فيها حتى النساء.

تعليق على آخر بحث طلبة الموحدين ص 38 :

وكانت بين كثير من طلبة المغرب وطلبة الاندلس صلات علمية وثيقة جدا، وبخاصة بين طلبة سبتة ومقالة، جاء في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها : انه كان بين طلبة مالقة وطلبة سبتة مراسلات نبيهة. ومن سوء الحظ ان لم أقف على مثال من مراسلات طلبة سبتة لاخوانهم بمالقة وانما عثرت على بعض امثلة من مراسلات طلبة مالقة لطلبة سبتة، ومن ذلك ان ابا القاسم محمد

ابن هاشم بن نجيب الشريف الهاشمي المالقي المتوفى عام 613 نظم قصيدة طنانة يمتدح فيها طلبة سبتة ويصفهم بصفاتهم ؛ اطلق فيها عنان البلاغة ، وقدح زند البراعة ، فبلغ فيها مدى الاحسان ، وحاز قصب السبق في ذلك الميدان، وقد اوردها برمتها من 200 بيت بالمصدر المذكور الذي ذكر مع ما تقدم قصة هذه القصيدة، وتتلخص في ان طالبا من طلبة مالقة - يعرف بابي الحسن النجار - سافر الى سبتة فسجن بها على تهمة سرقة ، فتوسل لطلبة سبتة بطلبه فجدوا في امره حتى استخرجوه من سجنه .

ومن الامثلة الاخرى لذلك الرسالة التي كتبها لاهل سبتة ابو علي عمر بن عبد المجيد الازدي ثم المالقي ، والمشتملة على عدد من تراجم الاندلسيين ، وقد اقتبس من هذه الرسالة لمصدر المذكور في تراجم محمد بن عيسى بن زنون المالقي، ومحمد بن ابراهيم الانصاري، ومحمد بن عبد الله المالقي ، ومحمد بن عبد السلام بن مطرف المالقي ، ومحمد الحجاري المالقي ، ومحمد المعروف بابن الحناط ، ومحمد بن احمد بن عبد الملك الانصاري .

والى جانب سبتة ومالقة نجد طنجة يرفع نحاتها ومقرؤوها سؤالاتهم للنحويين والمقرئيين من اهل اشبيلية ، حيث ينتدب للجواب عن هذه الاسئلة في تقييد خاص ابو بكر محمد بن خلف ابن صاف اللخمي الاشبيلي. ارجع الى ص 62 من هذا الكتاب.

تعليق على تفسير عبد الجليل من بحث التفسير ص 44 :
يقع هذا التفسير في ستين مجلدا ، فسر في كل مجلد حزبا واحدا من القرآن، اشار لهذا عرضا في المقصد الشريف ، في التعريف بصلحاء الريف . ترجمة ابي القاسم ابن الصبان.

تعليق على آخر موضوع المذهب المالكي ص 56 :

وممن الف من المالكية في الرد على ابن حزم ابو يحيى المواق جمع من كتب ابن حزم مسائل كثيرة انتقدت عليه . انظر الخبر المغرب . لابي رأس المعسكري .

تعليق على آخر فن النسب ص 66:

ومن موضوعات النسب لهذا العهد : المرهف الهندي في الرد على التاج الكندي لابي الخطاب ابن دحية، اثبت فيه ان دحية قد عقب ورد على المذكور الذي زعم انه لم يعقب ، نسبه له في كتاب : بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها .

تعليق على آخر بحث التراجم ص 68 :

يضاف لكتب التراجم حينئذ الجزء الذي عقده ابو عبد الله محمد ابن القاضي عياض لترجمة والده . وقد نقل عنه في الديباج 168 وازهار الرياض ج (1) 24 و (ج) (3) 7 ـ 8 .



كلمة ختامية

هنا تم ما بلغه الجهد، ووسعه الوقت من حديث العلوم والآداب والفنون لعهد الموحدين، ولا ارى ان اودع هذا الموضوع دون ان اتقدم بآيات الشكر، وعبارات الثناء للاستاذ العلامة المؤرخ المطلع سيدي عبد الله كنون على ما بذل من جهد مشكور في السهر على طبع هذا البحث حتى خرج في حلته الانيقة التي تفصح عن نفسها بنفسها. بل ان ظهور البحث في هذا الوقت هو حسنة من حسنات الاستاذ كنون، فبفضل وعده لكاتب السطور بطبع البحث في معهد مولاي الحسن، وبفضل ما بذل في هذا الصدد من اعتناء واهتمام، ولطف وصبر؛ بفضل ذلك كله ظهر الكتاب، فالله وحده هو الذي يجازيه ويكثر من امثاله لهذا الوطن العزيز.

وبعد هذا لا انسى ان اشكر العلماء الاجلة الذين تفضلوا فاعاروني كتبهم الخطية؛ وهم الذين سميتهم في قسم المراجع.

كذلك يعود ثنائي وشكري للعلامة المؤرخ البحاثة سيدي محمد داود الذي تلطف فاهدى اخاه نسخة من تكملة ابن الابار، بعد ان لم اكن املك هذا المؤلف القيم، وانما كان عندي عارية من مكتبة العلامة المؤرخ الجليل سيدي محمد بن بوبكر التطواني حياه الله وبياه.

ولا انسى ان اسجل ممنونيتي وتقديري لصاحب السيادة، واسطة عقد البيت الزيداني، ونقيب العائلة المالكة الكبير الشريف الجليل مولاي المصطفى ابن زيدان، الذي اعارني من المكتبة الزيدانية العامرة - لهذا الصدد - الكتب التالية: اخبار الحكماء لابن

القفطي. صلة الصلة لابن الزبير خلاصة تاريخ العرب لسديو. تاريخ التمدن الاسلامي .

ولا انسى كذلك ان اسجل نفس الممنونية والتقدير لسائر الاخوان الذين باشروا انتساخ الكتاب ، سواء منهم مخرجه من مبيضته. او ناسخ ابواب منه، فلجميعهم تشكراتي العاطرة .

وحيث لم يتأت ادراج المقدمة بالكتاب لتاخر تحريرها عن الابان ، فلنختم بما كان في النية تتويج الكتاب به ؛ من الدعاء بالاعانة والتسديد والتمكين لحضرة صاحب الجلالة الملك المنصور بالله، الساهر على نهضة البلاد العامل على احياء موات العلم ، معززا بعضده الايمن صاحب السمو الخليفة المعظم، باعث النهضة العرفانية في المنطقة الخليفية. حيا الله جلالة الملك . وحفظ سمو الخليفة وسائر الامراء الكرام؛ يتقدمهم صاحب السمو الملكي امير الشباب ؛ ولي العهد المحبوب .



مصادر البحث

وهذه طائفة من المصادر التي رجعت اليها في تدوين هذا البحث اذكرها مرتبة حسب عصور مؤلفيها؛ او حسب تاريخ طبعها غالبا في مؤلفات وابحاث المعاصرين، وكثيرا ما اقتصر على اسم الكتاب فيما اذا كانت نسبته لمؤلفه مشهورة .

المخطوطات

(1) فهرسة القاضي عياض . غ[1]

(2) تعليق ابن رشد على الفية ابن سينا في الطب . (غ)

(3) ديوان السيد ابي الربيع الموحدي المسمى : نظم العقود ورقم الحلل والبرود جامعه محمد بن عبد الحق بن عبد الله الغساني. (غ)

(4) بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها. ابتدأ تاليفه محمد بن علي ابن خضر الغساني؛ المشهور بابن عسكر، وكمله ابن اخته محمد بن محمد بن علي بن خميس نسخة الاخ الاستاذ محمد العرائشي .

(5) روض الانس . ونزهة النفس، الجزء الاول . (غ)

(6) الوافي ، في نظم القوافي . الاثنان لابي البقاء صالح بن شريف الرندي . غ

(7) رحلة العبدري. نسخة المكتبة العامة بالرباط عدد 1012 (خ).

(8) منهاج الطالب، في تعديل الكواكب. لابن البناء (غ)

(9) الدوحة المشتبكة في احكام دار السكة. تاليف ابي الحسن علي بن يوسف الحكيم الكومي المديدني . (غ)

---

(1) رمز لمكتبة ابن غازي لكاتب السطر .

(10) قسم الممالك من مسالك الابصار للعمري. (غ)

(11) شرح الماراسي على روضة الازهار للجادري. (غ)

(12) مشاهير اعيان فاس في القديم. المنسوب لابن الاحمر. نسخة الاخ الاستاذ محمد بن بوبكر التطواني بسلا .

(13) ذيل فهرسة ابن غازي له . (غ)

(14) الجمان في اخبار الزمان للشطيبي . (غ)

(15) شرح ابن عاشر على مورد الظمآن . (غ)

(16) اختصار نفح الطيب، المسمى : تغريد العندليب، على غصن الاندلس الرطيب. تاليف ابي يعقوب يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الميلوي . (غ)

(17) النشر المخطوط. نسخة المكتبة الاحمدية بفاس للاخ الاستاذ عبد السلام ابن سودة .

(18) الخبر المعرب عن الامر المغرب . الحال بالاندلس وثغور المغرب لابي رأس المعسكري.

(19) تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب لابي القاسم الزياني . (غ)

(20) الاشراف على من بفاس من مشاهير الاشراف. لابي الفتح الطالب ابن الحاج . (غ)

المطبوعات

التاريخ وما اليه

(21-24) مجموع اخبار المهدي ابن تومرت بما فيه من (1) بعض رسائل الموحدين . و (2) المقتبس من كتاب الانساب في معرفة

الاصحاب لمؤلف مجهول . و (3) تاريخ الموحدين للبيدق . و (4) ترجمة عبد الله بن خيار الحياني؛ الماخوذة من كتاب الحلة السيرا لابن الآبار . باريز

(25) زاد المسافر . لابي بحر صفوان بن ادريس التجيبي المرسي . بيروت

(26) الرحلة ابن جبير. مصر

(27) المعجب في اخبار المغرب. للمراكشي. مصر

(28) اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم مؤلفه محمد بن علي بن حماد . ويترجح انه المترجم في الاعلام (3) 100ـ102 .

(29) اخبار العلماء باخبار الحكماء. لابن القفطي . مصر

(30) التكملة لكتاب الصلة . لابن الابار طبعة 1887ـ1889. مجريط

(31) زوائد التكملة .

(32) التكملة القسم الاول المفقود من طبعة مجريط. الجزائر

(33) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة(2). مصر

(34) وفيات الاعيان. لابن خلكان. مصر

(35) المنهاج الواضح. لابي العباس احمد بن ابراهيم بن احمد ابن ابي محمد صالح . مصر

(36) صلة الصلة لابن الزبير، القسم الاخير الرباط

(37) عنوان الدراية . فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. للغبريني الجزائر

(38) الذخيرة السنية. لمؤلف مجهول. الجزائر

(39) تاريخ ابي الفداء (3) . قسطنطينة

(40) الانيس المطرب، المشهور بالقرطاس فاس

(41) مسالك الابصار (1) . مصر

(42) زهرة الآس في بناء مدينة فاس . الجزائر

(43) الحلل الموشية ، في ذكر الاخبار المراكشية لابي عبد الله ابن ابي المعلى بن سماك العامري. طبع منسوبا غلطا لابن الخطيب . تونس

(44) طبقات الشافعية الكبرى. لابن السبكي (3) مصر

(45) اختصار الاخبار عما كان بسبتة من سنى الاثار. لمحمد بن قاسم بن محمد الانصاري السبتي . تطوان

(46) دائرة الاحاطة(1) ─ لابن الخطيب . مصر

(47) رقم الحلل في نظم الدول ─ لابن الخطيب . تونس

(48) شرح رقم الحلل. ─ لابن الخطيب . تونس

(49) معيار الاختيار. ─ لابن الخطيب . فاس

(50) الديباج المذهب . مصر

(51) مقدمة ابن خلدون . مصر

(52) وفيات ابن قنفد . الجزائر

(53) صبح الاعشى (2) (5) . مصر

(54) رحلة ابن بطوطة (1) . مصر

(55) جريدة العجائب . مصر

(56) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. ─ للسيوطي مصر

(57) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة. ─ للسيوطي مصر

(58) الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون فاس

(59) جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بفاس . فاس

(60) نيل الابتهاج، بتطريز الديباج. مصر

(61) نفح الطيب (1),(2),(3) . مصر

(62) ازهار الرياض . مصر

(63) كشف الظنون . الاستانة

(64) شذرات الذهب 4 , 5 . مصر

(65) بيوتات فاس في القديم. لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. طبع منسوبا غلطا لاخيه ابي عبد الله محمد. فاس

(66) الدر النفيس للحلبي . فاس

(67) نشر المثاني (1) . فاس

(68) صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار. للشيخ محمد بيرم الخامس التونسي (1) . مصر

(69) الاستقصا 1 , 2 , 3 . مصر

(70) السلوة . فاس

(71) دائرة المعارف البستانية (2) .

(72) دائرة المعارف الوجدية (8) . مصر

(73) دائرة المعارف الاسلامية (مج)(1) ع (3 , 4) . مصر

(74) تاريخ الآداب العربية (3) . } جرجي زيدان مصر

(75) المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية . } جرجي زيدان مصر

(76) تاريخ التمدن الاسلامي (1) . } جرجي زيدان مصر

(77) تاريخ سوريا للمطران يوسف .

(78) الفنون الجميلة قديما وحديثا (1) التصوير . مصر

(79) مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح . الرباط

(80) الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي 4 . فاس

(81) النظام في الاسلام . الرباط

(82) التراتيب الادارية (1) . الرباط
(83) فهرس الفهارس والاثبات (2) فاس
(84) اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس(1). الرباط
(85) الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام 1، 3، 4. فاس
(86) آسفي وما اليه قديما وحديثا. مصر
(87) الحلل السندسية للامير شكيب(1) مصر
(88) مجموع رسائل موحدية. الرباط
(89) امراؤنا الشعراء. تطوان
(90) مقدمة سوق المهر. الرباط
(91) المستشرقون. مصر
(92) الرحالة المسلمون في القرون الوسطى. مصر
(93) ترجمة تاريخ العرب لسديو المعنونة بخلاصة تاريخ العرب مصر
(94) ترجمته الاخرى تحت اسم تاريخ العرب العام. مصر
(95) ترجمة تاريخ يوسف اشباخ للاندلس في عهد المرابطين والموحدين (2) مصر

مصادر أخرى

(96) الاحياء للغزالي(1)، (2) مصر
(97) فصل المقال، فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد. مصر
(98) الفتوحات لابن العربي الحاتمي 1، 4. مصر
(99) قوانين ابن جزي. فاس
(100) رفع الحجب المستورة. في محاسن المقصورة. اسم شرح

الشريف ابي القاسم السبتي على مقصورة حازم (1). مصر

(101) المعيار للونشريشي 2 ,11. فاس

(102) الفتاوى الحديثية لابن حجر. مصر

(103) شرح الحطاب على المختصر (2). مصر

(104) القانون لليوسي. فاس

(105) شرح مرتضى على القاموس (4). مصر

نشرات متنوعة

(106) برنامج مكتبة القرويين القديم. فاس

(107) التقويم الجزائري لسنة 1330 ـ 1912. الجزائر

(108) مجلة «المقتطف» (مج)74(ج) 5. مصر

(109) مجلة «الرسالة» (مج) (2) 64ـ66. مصر

(110) مجلة «المباحث» (ع)43-42,39,25 السلسة الجديدة تونس

(111) مجلة «الثريا» (س)(1)(ع)11 مع العدد الخاص بالمغرب. تونس

(112) الملحق الثقافي لجريدة «المغرب» (ع) 9. سلا

(113) مجلة «الثقافة المغربية» (س) (1). (ع) 4 ـ 5. سلا

(114) مجلة «رسالة المغرب» (س)(1)(ع)(8) و(س)(6)(ع)(4). الرباط

(115) مجلة «الانوار» عدد جمادي الاولى 1367 مارس 1948. تطوان

(116) مجلة «المستمع العربي» (س) (3) (ع)15. لندن

(117) جريدة «المغرب» عدد ممتاز. سلا

فهرسة أبحاث الكتاب

كلمة تصدير

بقلم الاستاذ الكبير عبد الله كنون

7 - 3

مقدمات الكتاب

العلوم

صفحة		
146-136		**الآداب**
	نهضتها.مميزاتها	تشجيع الموحدين للآداب بما كانوا عليه من معاناتها. سريان الاهتمام بالآداب من الملوك للامة. الندوة الادبية التى اقامها عبد المومن فوق ظهر جبل الفتح . الجم الغفير من الادباء الذين وردوا على يعقوب لما رجع من غزوة الارك . العصابة الادبية التى اجتمعت على الامير عثمان بن عبد المومن، بلوغ صدى هذا النهضة الادبية حتى قطر السودان شاعر من هذا القطر. خلو الادب فى غالب مظاهره من الزخرف والصنعة. خلوه فى الجملة من السفاسف الادبية. ما يوثر من شعر لعبد المومن فى التغزل مفتعل عليه. تاثر الادب بمبادئ وانظمة الدولة . تاثره بكثير من العموم. الشائعة حينئذ . جملة من الدواوين التي جمعت لشعراء هذا العهد . طائفة من مؤلفات ادباء هذا العصر . تنوع الكتابة الى عدة الوان من النثر الفني . تجديد اسلوب الرسائل . مكانة الخطابة . نهضة الوعظ . بعض شخصياته . تشجيع نشر

أدبـــاء عصر الموحدين [51]

الفنون

صفحة		
257-256	صناعة الورق	من مدن هذه الصناعة سبتة وفاس . بلغ عدد المصانع للورق بفاس 400 معمل . تفوق المغرب على اوربا النصرانية فى عمل الورق .
257	صناعة الصفر	قطعتان نفيستان من مصنوعات هذا العهد لا زالتا قائمتين بفاس ومكناس .
259-257	صناعة السكة	دار السكة التي بناها الناصر بقصبة فاس واعد بها مودعا للاموال ولطوابع السكة . ضرب الموحدين عملا مختلفة. مثال لما كان يكتب على بعض نقودهم. ابطال المامون تربيع السكة . مقادير العمل الموحدية .
261-259	صناعة استغلال المناجم	اعتناء الموحدين ويوسف بصفة خاصة باستغلال مناجم افريقية والاندلس . اكتشافهم بعض المعادن . امثلة من اهتمامهم بالمعادن. اسماء المعادن التي كانت معروفة لعهدهم .
265-261	الصناعات الميكانيكية	نهضتها ممثلة في : اوعية مصحف عثمان . قنطرة بين الرباط وسلا . قنطرة

صفحة

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة
دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر
في 13 رجب 1397 / متم يونيه 1977

(حقوق اعادة الطبع محفوظة للمؤلف)

يطلب هذا الكتاب من

مكتبة الطالب

207 شارع محمد الخامس ـ الرباط

تيلفون 29 ـ 261